

آلهمصر

تأليف
فرانسوا ديماس

ترجمة
زكى سوس



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٨

الفهرس

الصفحة	الموضوع
	الفصل الأول :
٧	مصادر معرفتنا
	الفصل الثانى
٢٢	كيف نعالج موضوع جماعة الآلهة المصرية
	الفصل الثالث
٣٦	الآلهة المحلية فى مصر العليا
	الفصل الرابع
١٠٧	آلهة الدلتا ، المحلية
	الفصل الخامس
١٤١	التحديد اللاهوتى
	الفصل السادس
١٥٠	الاشراك والتوحيد

الفصل الأول

● مصادر معرفتنا

تعجز المخلوقات المادية وحدها عن تعريفنا بالآلهة التي تعبدها لها أحد الشعوب ، وانه لأمر هام ، دون مراعاة ، أننا مازلنا قادرين على تأمل أبولو أو زيوس على الصورة التي شكلها لهما الاغريق . وقد كان من الممكن أن تكون معرفتنا خواء لو لم نمتلك بعد الأناشيد الهومرية والنصوص الأدبية المتعددة ، أو ما يتصل منها بعلم النقوش ، تلك التي تسمح لنا بتصور الفكرة التي كان الأقدمون يشكلونها عن آلهتهم ، وما كان من الممكن - مهما كانت القرائن القوية - أن نجزم بأن الميسينيين (١) كانوا يعبدون آلهة الأولمب الكلاسيكية ، قبل أن يتاح لنا فهم كتاباتهم ؛ على أن مصر القديمة قد تركت لنا لحسن الحظ الى جانب العدد الوفير من الآثار المغطى أغلبها بالنقوش كثيرا من الوثائق الأدبية ، بفضل جفاف مناخها الفريد ، وهي تشمل : أدراج البردى ، ولفائف ورق الفزال والألواح الخشبية ؛ التي نستطيع عن طريقها ، أن ننفذ الى حد كبير الى عالم معتقداتهم وآرائهم الدينية .

ومع هذا ، فلن يكون هذا الكتيب عجالة عن الديانة المصرية أو بياناً عن أساطير آلهة النيل . بل اننا سنقتصر على بذل محاولة لوضع شيء من التصنيف لجماعة آلهة مصر القديمة Panthéon (٢) الوفيرة العدد ثم فحص طبيعة كل

(١) الجزء الجنوبي من بلاد الاغريق القديمة ولديه نشأت أقدم حضاراتهم (المحرر) .

(٢) معبد كان يخصه الاغريق والرومان لكل آلهتهم ويطلق على مجموع كل آلهة

قطر ، فيدل على علم أساطير مكتمل - (المترجم) .

اله على حدة ، ونحن نجتاز البلاد ، على قدر ما يستطيع المرء ان يتبينها . وسيكون للأساطير شأن في ذلك كما يكون لعلم اللاهوت في معناه الصحيح . وسنحاول في فصل ختامى أن نرى الى أى حد استطاع الكهنة المصريون ان يذهبوا في معرفتهم بالعلم الالهى (١) .

★★★

ومن الخير ، بادئ ذي بدء ، أن نتساءل : كيف نقلت اليينا المصنفات الدينية القديمة التى نستحوذ عليها ؟ فان لهذه التنصيلات أهمية بالغة فيما يتعلق بتفسيرها . ونحن نعرف من النصوص ومن الآثار ، أنه كانت توجد مكتبات فى خيازة المعابد . وقد كان بعضها فى متناول أيدي الكهنة كمكتبة ادفو التى توجد فى غرفة صغيرة ، على مقربة من

(١) من الصعوبة بكان كتابة أسماء الآلهة على الوجه القويم أو أسماء الأعلام التى نستقت من لغة أجنبية وتفسير هنا وفق بعض المبادئ البسيطة ، الهدف منها تسهيل استخدام الكتاب . عندما يكون النقل باللاتينية موجودا فاننا سنستخدمه لأنه وضع فى الزمن الذى كان المصريون أنفسهم لا يزالون ينطقون به . ولكن من الواضح أن هذا كان نطقا فى عهد متأخر لا يسمح لنا أن نصل - على الأقل مباشرة - الى الصيغة الصوتية فى المصور القديمة . أما فيما يتعلق بالأسماء الأخرى ، فانه على الرغم من البحوث الحديثة التى لا تكف عن عرض نظريات جدد ، فى بعضها استفاء عظيم ، فاننا سنتبع أسلوب الكتابة الذى ينتهج فى الكتب الفرنسية حتى نتحاشى مضايقة القارئ أو إيقاع الحنك بأقائم على الطباعة . ولقد وجدنا النهج بالتزام القواعد الآتية : العين السامية (فنكر المؤلف أنها occlusive laryngeal sourde أى : صوت انفجاري حلقى مهموس والواقع أنه متوسط بين الشدة والرخاوة وهو *Spirante laryngeal sonore* انسيابي حلقى مجهور - المترجم) تبيينها الذبارة *accent circenflexe* على حرف اللين المجاور . وقد نسخت النفخات البسيطة بالحرف (هـ) *h* والنفخات القوية بالحرف (خ) *kh* الذى يقابل *Ch* فى اللاتينية . وحرف القاف وهو *occlusive velaire sourde* شديد لهوى مهموس أدى بالحرف *q, dj, dj* يطابقان الحروف الأسنانية التى تختص بها اللغة قبل أن تضعف هذه الحروف فى لغة العصر المتأخر . ان حشو كتبنا بعلامات الطباعة التى يقصد بها تعديل اصوات الحروف ، *diacritiques* والتى يمسر على معظم القراء نراها . لا حدود منه . ولا يلقى الاخصائيون أى عناء فى الوصول الى صيغة الأصول .

ملحوظة - لقد حرصت على كتابة صيغة الأسماء الأصلية كما وردت فى الأصل المصري الى جوار الصيغة اليونانية الشائعة فى الكتب العربية وذلك لقراءة الصيغة الأصلية للغة العربية كما سيجيء - (المترجم) .

مدخل بهو الأعمدة - والبعض الآخر كان يودع في أكثر
الأمكنة خفاء في المعبد كما هي الحال في دندرة ، حيث يوجد
مخبأ السجلات الذي يقع مدخله على ارتفاع ثلاثة امتار في
أحد الهياكل التي تحيط بقدس الأقداس ، كانت المكتبات
المفتوحة تضم على الأخص كتب الصلوات التي كان الكهنة
يحتاجونها عدة مرات كل يوم . بينما كانت المكتبات الأخرى
تغلّق في حرص عظيم على البرديات الدينية او القانونية
التي تحدد امتيازات الكهنة المالية . وقد كانت هذه
البرديات وثائق أصلية أو نسخا منها أعدت في زمن لاحق .
وفي عهد الرومان كان يحتفظ في أسنا بنصب لتحتتمس
الثالث توضح نقوشه نظام تقديم القرابين .

★★★

وأيّا كانت طبيعة النصوص او قوامها المادى ، فانها
كانت تصدر عن « بيت الحياة » . وهو تلك المؤسسة الرائعة
التي يرجع تاريخ ظهورها الى عصور سحيقة . ولكننا لم
نعرف القليل عن وجوه نشاطها الا منذ منتصف الألف سنة
الثانية - ففي العصر المتأخر ، كان كل معبد في مصر يملك
بيت الحياة الخاص به والمتصل ببيت حياة معبد العاصمة أو
المعابد الكبرى والمعابد المجاورة أو تلك التي كانت ترتبط
به بروابط متصلة ، كذلك التي كانت على وجه خاص
تربط بين كهنة ادفو وكهنة دندرة ، إذ أن حاتحور وحورس
اللذين درجا على تقديم العبادة لهما ، كانا يعتبران في
الأساطير زوجين ، ولا يستطيع المرء أن يفسر - الا بفضل
وجود جهاز موحد - تطابق صيغ الأسرار المحجوبة (١) التي
تتعلق بالمولد الإلهي والتي كانت تتلى في الدير البحري ثم
في الأقصر بعد ذلك بمائة عام وكذلك النصوص التي توجد
في هيكل ميلاد « نخت نبف » (نختنبو الأول) في دندرة

(١) mystère - مجموعة المبادئ العقيدية أو الشعار التي لا يجب أن يعرفها
غير الذين ناقضوها .

وتلك التى توجد فى هيكمل ميلاد فيله ، وهما يكادان يكونان معاصرين ولكن تفصل بينهما مسافة تقرب من ثلاثمائة كيلومتر . وقد كانت هناك هيئة لإدارة بيت الحياة كان من أخص مهامها العديدة العكوف على دراسة الآلهة . وقد كانوا يعرفون كيف يحددون للفنانين أشكال هذه الآلهة والمواد التى تصور منها . وقد حرص المصريون دائما أشد الحرص على تشكيل صور الآلهة وإقامة المعابد وفق الارشادات التقليدية . وكانوا كذلك على معرفة بعلم اللاهوت الذى كان يحاول النفاذ الى طبيعة الآلهة وتحديد وظائفها وخصائصها . وكانوا يضعون الصلوات التى تقوم بالحفاظ على وجودهم ، وشغلوا انفسهم بكل العلوم الملحقه اللازمة لوجوه نشاطهم حتى الطب الذى كان هدفه حماية الانسانية . وكانت « بيوت الحياة » هذه تقوم كذلك بنسخ الكتب المقدسة وتوزيع نسخ متقنة منها على مكتبات المعابد . لقد كانت نوعا من مؤسسات التعليم العالى ، تنهض بنفسها بوضع طبعاتها ، بعد أن تكون قد رجعت الى أعظم الادراج (١) صحة وأكثرها جلالا .

وعلى هذا كانت توجد فى مصر حركة نقل مباشرة باللغة الأهمية للنصوص الأدبية والدينية ، ومع أننا لا نعرف الكثير عن تاريخها الا أننا نستطيع التكهن به . وكما أنه يوجد نوع من الصور الرسمية للمخطوطات الأدبية فى المدارس ، فقد كانت توجد فى « دار الكتب » الملحقه بكل معبد ، مخطوطات دينية تسترعى الانتباه على وجه خاص . ومن سوء الطالع لم تصل اليها أية مكتبة كهنوتية عتيقة ، كاملة . وليس لنا الفرصة المتاحة لعلماء اليونانية أو اللاتينية ، لأن التقاليد الاغريقية واللاتينية استمرت دون انقطاع حتى وصلت اليها . وكم من نصوص اغريقية ثمينة لم نعرفها الا عن طريق مخطوطات ترجع للقرن الخامس

(١) جمع درج بمعنى ما يكتب فيه وهو « ملف » البردى .

عقبر ! وعلى هذا فان علم لاهوت مصر القديمة يجب ان يعاد تصنيفه من عناصر متفرقة هياتها لنا الصدفة خلال الحفائر التى تجرى خلسة او الحفائر الرسمية او الصدف التى لا ضابط لها - صدف الحفظ والصيانة - ان مدنا كانت على درجة عظيمة من الاهمية من وجهة النظر الدينية مثل ممفيس أو هليوبوليس قد توارت بطريقة تكاد تكون تامة لأنها كانت قريبة جدا من التجمعات السكنية الحديثة الكبرى . فلم يصل الينا من هذه المراكز الدينية كبيرة الأهمية سوى القليل جدا من النقوش ، بل انه لم تبق لنا بردية واحدة منها . وعلى النقيض من ذلك فإنه توجد فى حوزتنا بردية فى الجغرافية الدينية والأسطورية ، فى حالة من الصون رائمة ، عثر عليها فى المقاطعة الثامنة عشرة ، ضئيلة الشأن ، فى مصر العليا . ويجب أن تكون هذه الحقائق ماثلة أمام أذهاننا ، عندما نريد أن نعرض صورة شاملة لآلهة البلاد .

★★★

ما هى الوثائق الأساسية وما الوسيلة الملائمة لفحصها ؟ هذان هما السؤالان اللذان يجب أن نبذل الآن محاولة للإجابة عليهما فى ايجاز .

ان النعوت التى تصاحب أسماء الآلهة ، فى اللوحات التى تزخرف جدران المعابد تتيح فى الكثير الغالب ، اعادة تشكيل علم أساطيرها بل وعقيدتها الدينية . وتتضمن نصوص أعظم استطالة أناشيد صلوات وشعائر ، على الأخص عن آمون أو أوزيريس ، ومسرحيات دينية مثل الشعائر المحجوبة التى تتصل بالمولد الالهى أو تلك التى تدور حول انتصار حورس ، وتقاويم عن الصلوات فى دندرة وادفو وكوم امبو وكذلك عناصر تتيح لنا اعادة وضع مصنف عن الجغرافية الدينية بعنوان : « كتاب البلدان الواقعة فى مصر ووصف كل ما له اتصال بها » . وهكذا كانت رغبة المصريين القدماء فى تخليد عبادتهم بتوضيح قصصها على الحجر ، هى

التي اتاحت بهم ان ينفضوا للخنف خنير، من اللتب التي نان
من الممكن أن تتوارى الى الأبد - وفي حالات استثنائية اجتمعت
لنا شذرات من النص المنقوش على الحجر وشذرات من
النص المخطوط ، كما هي الحال في موضوع « حمايه المهسد
الالهى والملكى » .

من الملائم ان يميز جيدا الموضوع الذى تحتله النفوس
فى المقابر . وعندما يكون الموضوع هيكل العبادة وتطوره .
فاننا لا نستطيع أن نجد غير الشعائر العامة أو مشاهد الحياة
اليومية ، التي لا يستطيع أن يصل الى مفزاهها الرمزى .
الا من تلقنوا العلم به ، ان وجدوا . وعندما تظهر شعيرة
فتح القم فى مقبرة الوزير رخميرع ، فى طيبة ، فانها تكون
فى موضع لا يتيسر فيه للزائر أن يقرأها دون أن يصعد
اليها على صقالة واذا كان رئيس كهنة تحوت فى هرموبوليس
الحكيم والقديس بتوزيرس ، يريد أن يحفر فى الموضوع
الأساسى فى هيكله الجنائزى ، الشعيرة المحجوبة الأوزيرية
عن البعث بواسطة الذهب ، فانه يضعها فى صيغة رمزية
تماما ويشوه النقوش التي تصحبها ، الى حد لا يستطيع معه
أحد فهمها الا من تلقن سرها ، وذلك هو ما فعله بالتحديد
فى بداية الأسرة الثامنة عشرة واضع انشودة أوزيريس
المحسولة فى متحف اللوفر : فقد دفعه وجوب اقامة النصب
الذى يحملها فى مكان يمكن أن يصل اليه عدد ما من غير
المؤمنين ، الى العناية بحذف كل ما كان يشير اشارة بينة
الوضوح لشعائر بعث الاله ، المحجوبة .

أما فى المواضع التي عرف أنه لا يمكن الوصول اليها ،
من الأبنية الجنائزية وغرف الدفن فى الأهرام والقبور
المنحوتة فى الصخر فى وادى الملوك ، Syringes (١) أو

(١) اساق الاغريق لفظ syringe ومعناه Flute de Pan « ناي الاله بان » على القبور
المنحوتة فى الصخر تحت الأرض فى طيبة للملك مصر الأقدمين . وقد تعرفوا على الاله «من»
فى الاله بان الذى كان اله القطمان والرعاة . يرسم بقرنين على رأسه وبوجه مانهب
والجزء الأسفل من جسمه يشبه نظيره فى التيس بما فيه الذيل . يرقص ويعزف على الناي
syringe — syrinx - (المترجم) .

المدافن الملحية المتأخرة المقامة فى أفنية المعابد كتلك التى توجد فى تانيس ، فانهم لم يترددوا فى نقش الكتب اللازمة لبقاء الملك الى الأبد أو نقش أجزاء منها * ولهذا فانه مازال يمكننا أن نقرأ نصوص الأهرام والكتب الجنازية الملكية التى ترجع لعهد الامبراطورية الحديثة : كتاب الأبواب ، كتاب الكهوف ، كتاب ذاك الذى يوجد فى الآخرة ، كتاب النهار والليل وأوراد الشمس .

والواقع ، أن مشكلة العبادة الجنازية التى كانت ضرورية للمخلود لم توضع بالنسبة للملوك كما كانت توضع بالنسبة للأفراد . فقد كانت الأوقاف الملكية الباذخة تطمئن الى أن الملوك لن يحرموا بتاتا من هذه الخدمة الدينية . ولكن عندما أدرك المرء أن الفراعنة أنفسهم لم يكونوا قط فى حمى من النسيان كما لم تكن معابدهم بمنأى من الدمار أو النهب ، فقد اتجه الظن الى أن العبادة التى تؤدى للسلف وتقام فى المعابد الحاضرة يمكن أن تكون بديلا فى مثل هذا الموقف البغيض . ولاشك فى أن اعتبارات من هذا القبيل - الى جانب ظروف الدلتا الجغرافية - هى التى دعت فى العصور المتأخرة الى دفن الملوك فى أفنية معابد الآلهة حتى يستطيع أولئك وهؤلاء التبرك بالعبادة(*) . وكان الأمر على نقيض ذلك فيما يتعلق بالأفراد العاديين ، فقد كان من اللازم أن يلج الكهنة أو أشخاص أولو علم وتقوى هياكلهم لتلاوة الصيغ المخصصة ، مع ذكر أسمائهم حتى يمكن جلب القرابين . وكذلك كان من اللازم أن يكون الوصول الى هذه الهياكل ميسورا وآلا تشى بأى سر من أسرار شعائر أوزيريس المحجوبة التى وجدت منذ زمن باكر جدا . ولقد عنوا بأن يصوروا على تابوت الميت الكتب الخفية الهامة لبقائه . ولدينا مجموعة طويلة جدا يطلق عليها « نصوص

(*) امتد هذا الى الأفراد الذين حرصوا على وضع تماثيل لهم فى افنية .

النواويس (١) « أخذت من كتاب (نصوص) » الاهرام
المديية « ووضعت بحيث تلائم الافراد ، وهذه المجموعة
كاملة بفضل النسخ العديدة المتماثلة التى توجد بين ايدينا
على عدد كبير جدا من التوابيت الخشبية المغشاة بالجص التى
ترجع للدولة الوسطى . وتتصف هذه المجموعات من الصيغ
الموضوعة للميت بالثراء الكبير ، لأنها مأخوذة عن اصول
جد متباينة : فعندما تحاول أن تطابق بين شخصيتى الميت
والاله الخالق للبدايات الأولى (٢) ، فإنها تنقل مقتبسات من
مصنفات تتعلق بالخلق . وعندما تلحقه بنموذج الاله
حورس فإنها تستخدم شعائر محجوبة دينية قديمة تشيد
بانتصار هذا الاله . وهكذا نستطيع أن نكون فكرة عن
اللاهوت والأساطير فى هاتيك العصور القديمة .

ولو أن كمية أدراج البردى التى عثرنا عليها لا تمثل ،
دون أى ريب ، الا نسبة ضئيلة من تلك التى كانت توجد
قيما مضى ، وعلى الرغم من أن بعضها جاءنا بالغ التشويه ،
فإنها مازالت تؤلف مصدرا عظيما لمعلوماتنا عن آلهة قدماء
المصريين . ومنع هذا ، فان ملاحظة تفرض نفسها من
البداية : فبينما وصلت اليها كمية عظيمة من مصر العليا
ومن الفيوم فإننا لا نكاد نملك منها شيئا من الدلتا وذلك
لأن المناخ فيها أكثر رطوبة ولأن سكانها ، وهم فى جميع
الأزمنة أكثر كثافة قاموا بالكثير من أعمال النهب فى المواقع
الأثرية . وقد بقيت معارفنا محدودة من الناحية الدينية

(١) فى كتاب « الهرم الدفين » خصصت لفظ ناووس ليؤدى معنى Sarcophagus
للترقة بينه وبين لفظ Cercueil-coffin تابوت .
(راجع الهرم الدفين - ص : ١٦) وذكرت أن اللفظ الأناى ناوس Naous عن
العربية - (المترجم) .

(٢) Demiurge - الاله الخالق وزد فى الفلسفة الأفلاطونية . وفى القرون الأولى
من المسيحية ظهر مذهب فلسفى كان أشباعه يضعون المعرفة فى المرتبة الأولى من بين
الفضائل الدينية ولهذا أطلق عليهم Gnostics . وكانوا يؤمنون بالهين عظيمين : الأول
هو الاله المتعالى والثانى هو الاله الخالق demiurge - (المترجم) .

عن مراكز مثل (صا الحجر) (سايس) و (تل بسطة)
 (يوباسطس) وابو صير ، التي اختفت معابدها أو حادت
 رغم ضخامتها ، والتي لا يوجد أى درج من البردى يوضح
 لنا لاهوتها ، لأن مصادرها تتألف بصفة فريدة من تلميحات
 إلى الهتها جاءت فى وثائق عشر عليها فى امكنة اخرى
 أصابها ضرر أقل .

لقد توافرت نسخ كتاب الموتى حتى العصر المتأخر وان
 يكن من الضرورى اصدار طبعة كاملة دقيقة لها . وما اسرع
 ما تتيج محتويات فصوله المتغايرة التعمق فى معرفة الالهة
 المصرية التى تشكل على الدوام النماذج التى يسعى الميت الى
 التوافق معها أو اذابة كيانه فيها ! - ويوجد المرء فيها أناشيد
 وبحوثا عن الخلق تملئها تفسيرات مبتعاقية ، وإشارات عن
 مختلف إلهة التى يطمح الميت فى إتخاذ سلطاتها . ولكن
 هذا الحشو ، المأخوذ جزئيا عن نقوش النواويس ، يتضاءل
 أمام كتابات أكثر أصالة .

ومن بين أعظمها أهمية الأناشيد التعبدية : تلك التى
 كانت تتلى للاله « حعنبى » وهو النيل الذى يغمر مصر بفيضه ،
 فى عيد الفيضان ، والأنشودة التى كانت تغنى لآمون اله
 طيبة ، ملك الآلهة ، المحفوظة فى مخطوط جميل بمتحف
 القاهرة ، والأناشيد التى كان المرء يترنم بها للاله بتاح ،
 اله الخاضرة القديمة ممفيس ، فى المعبد الذى خصص له فى
 الكرنك على مقربة من آمون . ولو أن غزارة علمها اللاهوتى
 لا تضارع ، فانها تتعمق الى غور أقل فى المعرفة الالهية
 بالموازنة بمصنفات أخرى مماثلة يرجع مصدرها ، على
 الدوام ، الى كهنة طيبة ولكن تتجاوز فى طولها الحد الذى
 يمكن أن تنشده معه فى الأعياد . مثل بردية ليدن الشهيرة
 التى تتضمن « مائة نشيد لآمون » فهى تبدأ باستغلال المعنى
 الرمزى للأرقام التى تستهل بها المقطوعات ، لتنفذ الى
 مجموعة من تفسيرات مجملة غالبا ما تكون ذات عمق عظيم

رسمو عظيم ، عن الإله « الحمى » ر « الاحد » * وتكملها
 أناشيد برديان تشستر بيتى Chesiter Beathy ، التى لم
 يتردد جاردنر فى وصفها بأنها تنتمى الى «مذهب التوحيد» *
 وفى استطاعتنا أن نضفى عليها اسم القوائد اللاهوتية او
 الفلسفية .

تملك متاحفنا عدة نسخ رائعة الجمال من الشعيرة
 الإلهية اليومية لآمون وقرينته «موت» وكذلك شعيرة لامنحتب
 الأول المؤله * وتمثل مراثى ايزيس ونفتيس أمام جسمى
 أوزيريس و « كتاب صد ابوفيس » التنين الذى يحاول ابتلاع
 مركب الشمس وبردية هاريس Harris انسحرية وعناصر
 مسرحية دينية تؤدى أدوارها عند التتويج الملكى ، مجموعة
 من الوثائق الهامة التى تعين على تعمق جوهر الإلهة ، على
 وجه أفضل ، عن طريق العبادة التى كانت تقدم لنا *
 وهناك قصص قد لا تبدى احتراماً للآلهة أكثر مما يفعل
 أحيانا هوميروس أو أرسطوفان ، لكنها تسرد مغامرات
 أسطورية متتابعة ، مثل قصة حورس و « ست » (Seth)
 أو قصة رع وايزيس * وهى بذلك تجنبنا الاختصار على
 القصص الاغريقية ، عندما توجد ، كمجالة بلوتارخ عن
 ايزيس وأوزيريس *

وليست البرديات التى يطلق عليها برديات بحيرة
 مورييس وبرديات تبتونيس Tebtynis (١) أو بردية يوميلهاك
 Jumilhac سوى كتب دراسية عن الجغرافية الدينية
 المحلية ، وتعدد بردية هاريس الكبرى - التى يتجاوز طولها
 أربعين مترا - منشآت رمسيس الثالث الدينية ، بينما
 تستهل المراسيم الكهنية التى تتعلق ب « بانجم » أو ب « نسي
 - خنسو » بأناشيد لآمون التى تمثل جزءا من اللاهوت
 الخالص *

(١) أم البرجات بالفيوم *

ويجب ان يضاف الى هذا مصنقات تكاثر عددها في عهد الامبراطورية الحديثة : كمجموعه القطع المختارة التي كان الهدف منها تدريب الكتاب الاحداث على صوغ الاسلوب الجميل . وهي تحوى عددا لا بأس به من الشذرات الدينية . وتوضح حتى قصص الحروب ورحلات الصيد الملكية كيف انها وضعت من خلال منظور ديني ، لقد كان الشعب بأجمعه اسير شبهة اسطورية نرغمه على تنظيم حل وجوه نسبه حتى انسرهما ببساطة ودينوية في ظاهرها ، بحيث تتناسق مع اسماذج الالهية ، فقد كانت هذه الوسيلة الوحيدة التي تتيح لها فرصة للنجاح . ووصل الامر الى انه لا توجد وثيقة مهما كانت ضئيلة ، لا يمكن ان تهيب عنصرا يفيد منه بحثنا . وكثيرا ما تتيح لنا شذرات من تمثال وألقاب أشخاص منقوشة على الجزء الخلفى من تمثال مهشم ، وكل هذه المواد التي تودعها المتاحف فى المخازن ، أن نقوم بعمل أبحاث دقيقة قيمة وقد تفقدنا ، على سبيل المثال ، الى أصغر معابد الدلتا التي لا نعرف عنها الا القليل . ويعرف المرء الأهمية التي يمكن أن توجد فى أيامنا فى القيام بدراسة منظمة لأمكنة العبادة . التي مازال المرء فى أوربا يغشاها فى أوقات معلومة من السنة للاحتفال بعيد . وقد يستطيع المرء الرجوع أحيانا الى أبعد أزمنة ما قبل التاريخ .



وكذلك فعلى الرغم من الحسانر الهائلة التي لحقت بالأدب القديم والفجوات المنظمة فى معلوماتنا ، فاننا بالحري نرزع تحت كوم الوثائق الأدبية والجنائزية ، أو التي تعالج الحياة اليومية والمنقوشة على الأحجار فى الوقت الذى نضع فيه قائمة لآلهة مصر . وما أكثر الصور المتناقضة التي قدمت لنا عنها فعلا منذ ما يقرب من مائة عام ! . وقد ذهب أوائل مترجمي النصوص الدينية من أمثال دي روجيه De Raugé وبروجش Prugsch — الذين تأثروا بما خلفه لنا الكتاب

الاغريق في العصر المتأخر واستمدوا علمهم بطريق مباشر على الأخص من نقوش المعابد التي أقيمت في العصر اليوناني الروماني ، الى أن الدين المصري عقيده بالغة السمو ، باله أوجد وخالق يتجلى في طائفة من الآلهة الثانوية التي تتساوى مع البشر في أنها من خلقه . ولا شيء أعظم مغزى في هذا المجال من كتاب صغير وضعه يريه Pierret ونشر في عام ١٨٧٩ بعنوان « عجالة عن الأساطير المصرية » *Essai sur la mythologie égyptienne* حيث تسترعى الانتباه تلك النصوص التي يذكرها المؤلف والتي مازالت ترجمتها ، في مجموعها ، قيمة ، وقد حدث في ختام القرن رد فعل عنيف بتأثير المذهب الوضعي (١) . لقد حاول ماسبيرو - كقارئ للنقوش العتيقة وعلى الأخص نصوص الأهرام التي كشف عنها ونشرها ، أن يوضح ان الديانة المصرية لم تكن الا نوعا من عبادة أشياء مولهة *Fétichisme* (٢) . وأن تلك الآلهة التي كانت لها رعوس وحوش كانت حيوانات تتصورها أخيلتهم . وكان مما يبعث الرضى في النفس أن يراود المرء التفكير أنه في عصر في مثل هذا القدم ، كان ذكاء الانسان أقل تقدما وأنه ظل سائرا في مدرجة الرقى دون انقطاع حتى وصل في النهاية على أيدي الاغريق الى تصور آلهة ذات خصال انسانية خالصة . واختلط بهذا مذهب فريزر عن الطوطمية « *totémisme* » (٣) .

(١) *Positivisme* : الوضعية - مذهب « أوجست كونت » الذي ينكر الميافيزيقا

ويقيم المعرفة على الوقائع والتجربة - (المترجم) .

(٢) *fétichisme* ، هو في مبدئه الاعتقاد بان الاستحواذ على شيء ما يمكن أن يجلب للجائز عون أو حماية الروح أو الملاك الحارس الذي يستقر في ذلك الشيء . وللفظ *fetisch fetich, fetiche* الذي أطلقه البرتغاليون على الهة غربي افريقيا ، عن *feticus* ، اصطناعي المشتق من اللفظ اللاتيني *facere facere* يضع - (المترجم) .

(٣) فريزر : (الطوطمية والزواج بغير ذوي القربى ١٩١٠) .

الطوطم أي نوع من الأشياء الحية أو الجماد تعتبره بعض العشائر وعلى الأخص في أمريكا الشمالية الرمز لرابطة وثيقة غير منظورة . و *totémisme* استخدام الطوطم كأساس لنظام اجتماعي فيه التزامات ومحظورات .

كانت مصر حقل أحلام لهواة الطواطم بشارات كل واحدة من مقاطعاتها • وعلى هذا النحو كان التفكير الدينى المصرى يتناول بالشرح ، عن طريق تفسيرات صاغها المحدثون لفهم عادات غير معروفة تماما على الوجه الصحيح فى كثير من الأحيان ، عند شعوب متأخرة فى أيامنا ! وفى غضون هذا الزمن كانت تتراكم وثائق ، نشرت ، فى أناة ونسخت وعلق عليها • لقد كشفت ومازالت تكشف فى اطراد لا يننى يتزايد ، عن لغة مرنة ومعقدة مازلنا حتى الآن على شوط بعيد من تعمق كل ظلال معانيها ، وعن تفكير فى نهج عقلى لا يختلف فى جوهره عن تفكيرنا ، وعن فن فيه دقة بالغة ، قادر على أن يلج بنا فى عالم من المعانى والرموز كثيرا ما تكون دقيقة ، وعن أدب رائع فى لطف معانيه النفسية واشراق ديباجة أسلوبه ورفعته الخلقية ، وعن فكر سياسى وفكر قضائى نجحا فى خلق حضارة استطاعت خصائصها الذاتية أن تقوم بالحفاظ على نفسها خلال تطور دام ثلاثة آلاف عام ونيفا • فما وجه العجب اذن فى أن يتمشى الدين الذى يتكشف بالبحث المطرد ، مع الصورة التى تقدمها لنا وجوه النشاط العقلية الأخرى فى مصر القديمة ؟

انه من غير المجدى أن نغامر بأنفسنا فى نظريات عنى بوضعها الفلاسفة منذ عهود التاريخ المتعددة • وعلى شريطة أن نظل متواضعين أمام النصوص والآثار وأن نهىء أنفسنا ليلهمانا — دون أن ندرى — المعرفة بدلا عن أن نفرض عليهما ، بأى ثمن ، تصوراتنا التى سبق اصطناعها فاننا نرى أن صورة تتشكل فى أنفسنا شيئا فشيئا ، قد تصححها قراءتنا اليومية والوثائق الجديدة أو تكملها ، ولكن خطوطها الأساسية تظل باقية •

على ان علينا ، ونحن تشكل معارفنا ، ان نشير من الآن الى وجود بعض العفبات ، ذلك انه على الرغم من وفرة المصادر الا انها تكون احيانا فى شذرات متناثرة حتى ان معلوماتنا تكشف عن فجوات محيرة محزنة ، فنحن نملك . على سبيل المثال ، نقوش معبد اقيم خصيصا للاله « سبك » sobek ، ومجموعة من الأناشيد تتغنى بحمده * ومع هذا فاننا نجعل من كانت الاساطير تجعله ابا له حتى ان الاشارة الواحدة التى توجد لدينا عنه فى درج من البردى ينمى الى الأدب وليس للكهنوت ، مازالت بالنسبة لنا اشارة بالغة الغموض * .

ان مسألة الترتيب الزمنى مشكله رئيسيه * ولكن لا يخاد يوجد حل لها ، لعدم وجود وناق منابيه * ومن الجلى ان معاصرا لهوميروس لم يكن يفكر فى الاله تفكير معاصر لبركلييس * ولكن كيف السبيل الى معرفة ما اضافه كل جيل الى الايمان الذى يتعلق باله ؟ فعندما يظهر نعت الهى لأول مرة ، لا يوجد شئ يبرهن على انه لم يكن له وجود زمننا طويلا قبل ذلك * فقد يكون سحيق القدم * وبخلاف هذا ، كان يعاد انتساخ نصوص عتيقة ويحتفظ بها لانها تؤلف جزءا من الثروات الدينية التقليدية حتى لو ان الراى عن الموضوع قد تطور * ومن المؤكد ان نصوص الأهرام تتضمن صيغا عتيقة تماما لم تعد تمثل العقلية المتطورة عند أولئك الذين اشاروا بنقشها ، وما كان مصرى الأسرة الخامسة محب البذخ والباحث عن أدب سلوك لا يقوم على العدالة وحدها بل وعلى الاحسان أيضا وواضع فكرة عن الاله بالغة السمو ، بالغة التهذيب ، ما كان ليقوم بنسخ الاهانات المنحطة الموجهة لبعض آلهة الملحمة الأوزيرية ، فى فقرات معينة ، الا لأنها كانت تقليدية * على نحو ما تفعل الكنيسة الرومانية فى زمننا عندما تدمج فى صلاتها شذرات من التوراة ؛ لم تعد تتطابق مع عاداتنا ولكنها استخدمت فى الواقع ؛ لأنها تنتمى الى قواعد الايمان التى

جاءت فى التوراة والانجيل ويجب أن تفسر فى معنى مجال النص الذى استخدمت فيه .

وعلى هذا يجب ان نحاول وصف تطور المعتقدات .
 فاذا لم يكن هذا فى استطاعتنا ، فيجب على الأقل بذل الجهد لتأريخ الخصائص البارزة التى نتبينها . ولكن فى هذا أيضا ، ما أكثر ما يوجد من صنوف عدم التيقن ! لم يكن أفلاطون يرى فى الآلهة ما كان يقره معاصروه . وليست البحوث الدينية للمهندسين المعماريين « سوتى » Souti و Hor أو التطورات الخلقية التى قدمها « بكى » Beki الا أعمال حكماء وأناس بذلوا الجهد لفهم عقيدتهم والحياة وفقا لها على قدر ما يستطيع من التعمق . انهم لم يكونوا سوى اقلية ، دون أى ريب . وكذلك كما يرى فى أيامنا يجب ان نضع موضع الاعتبار ان ما هو الهى يتركز فى الضمير الدينى فى أسمى صوره ؛ فلا يتبدد الى نثار من الصور التى تستحيل أحيانا الى مجرد خرافة خالصة . وهنا نعبر حدود الدين والآلهة ونهبط الى تلك الأرواح وتلك الشياطين التى ملأ بها خيال المصريين المحموم فى زمن الامبراطورية الرومانية المتأخر ، أدراج البردى السحرية . وليس لنا أن نغامر بأنفسنا هنا فى ولوج تلك الأصقاع التى تكتنفها الشكوك .

الفصل الثانى

● كيف نعالج موضوع جماعة الآلهة المصرية مناهج علماء اللاهوت القدامى

عندما يتصل المرء لأول مرة بعالم الآلهة فى مصر القديمة ، فإنه يقع فى شىء من الحيرة أمام هذه الوفرة من المعبودات والحيوانات الالهية او المقدسة والآلهة التى تتخذ فى كثير أو قليل ، شكل الحيوان * ويدور فى خلد المرء تجاه مثل هذا الخليط المتراكم من الأوصاف والنعوت والشعارات المميزة ، فى حدود متفاوتة ، ان يفكر فى « ديانات مصرية » وتلك نظرة سطحية تماما للأشياء ، يمكن أن تؤدى كذلك للتحدث عن « ديانات مسيحية » * وليفكر الانسان لحظة فى الدهشة التى تلم بصينى ، عالم بالأمور التى تتصل ببلده ولكنه يجهل كل ما يتعلق بنا ، حين يكون عليه ان يدرس الدين الكاثوليكي الرومانى فى فرنسا *

سيدرك باذى ذى بدء مقدار العبادات المحلية * فكم عدد كنائس العذراء الذى لا يستطيع المرء احصاءه وكم عدد القديسين الذين تطلق أسماؤهم على أكثر كنائسنا تواضعا فى الريف ، والذين يستحوذ كثير منهم على خصائص محددة تمام التحديد ؟ منهم من يعيد الرشد الى أولئك الذين فقدوه بشرط أن يولجوا رءوسهم خلال ثقب منحوت فى بلاطة فى كنيستهم * وآخرون يشفون أمراض الأطفال خاصة ، وسكان القرى يحجون الى كنائس منعزلة فى الغلاء ، تقع قريبا منهم

وذلك فى اوقات معلومة من العام * ان اكثرها هياكل للعذراء
جاءت فى اعقاب معابد للالهات - الامهات التى ترجع الى
عهد ما قبل المسيحية * واذا كانت العبادة التى تؤدى فى
هذه الكنائس تتشابه تقريبا ، فان كلا منها يحتفظ مع ذلك
بمراسم خاصة به ، وترجع الى ازمته لا تعيها الذاكرة * انه
لحق ان الاشارات والرموز الدينية هى التى تحتفظ
الانسانية بذكرها أطول زمن *

هل يمكن ان يكون ذلك سببا للتحديث عن « ديانا »
بصيغة الجمع ؟ * اننا نعلم ان الامر ليس كذلك لانه يوجد
كثيرون بيننا مازالوا يعيشون ذلك الدين بطريقة شخصية
وروحية * ان صورة حمل او حمامة او وعل لا تزعجهم كما
كان المصريون المثقفون والمهذبون لا يضيّقون بالعجل « أپيس »
او كبش خنوم * فلنحاول اذن فى البداية ان نرى كيف
تتنظم جماعة الآلهة المصرية * واذا كنا لا نستطيع ان نعيش
ذلك الدين روحيا ، فانه فى قدرتنا على الأقل محاولة فهمه *

★★★

وفى البداية نقول ان ما يلفت النظر فى مصر ، هو
الدور الذى تقوم به الآلهة المحلية * فقد كان لكل مدينة
الهة او الهتها * كانت مدينة بوتو (١) فى أقصى الشمال
تعبد الهة لها شكل ثعبان وتستوى على ساق بردى * وفى
منديس كان يسود اله له مظهر تيس * وفى هليوبوليس كان
أتوم يتخذ شكلا آدميا على الأقل فى العصر التاريخي * وفى
اطفيح كان لعاتحور الهة الحب وجه امرأة ، وان برزت من
شعرها المستعار ، أذنا بقرة * وكانت هيراكليوبوليس
(اهناسيا المدينة) تقدم عبادة لاله الكبش حرسافس (حرى
شف) * وكان تحوت وله رأس أبى منجل رب هرموبوليس
(الأشمونين) * وفى أسيوط كان افويس (Ophois) (أوبواوات)

(١) ابلو بالقرب من تل الفراعين - احفظت بالاسم *

يبدو في مظهر ابن آوى - وكان لحورس ادفو حيوان مقدس هو الصقر الذى هيا مصوروه وضع راسه على جسمه البشرى - وكان خنوم فى اسنا او فى الفنتين يبدو براس كبش - اما الالهة المسماة بحورس بالنوبة فكانت دائما تتميز بمدنها التى نشأت فيها - وعلى هذا ، فان لهذه الجغرافية الدينية بالغ الأهمية - لقد قامت الأمكنة المقدسة فى مصر بدور جد عظيم - ولا بد أنها وجدت منذ ابعد عهود ما قبل التاريخ ، وحتى اذا كانت الالهة التى تعبد فيها تغيرت ، فانها ظلت عزيزة لدى القوى غير المرئية وواصل الناس - على الرغم من حركة التاريخ الدائمة - تقديم العبادة لها -

على أننا نكتشف هذه التغيرات أكثر مما نعرفها - فنحن نخمن أن أوزيريس حل محل عنجتى (Andgety) فى أبى صير (أبوصير بنا) ، فى الدلتا ومحل خنتى منيتو Khenty Amentyou - أى الذى يرأس سكان الغرب » ، فى ابيدرس بمصر العليا - وفى ابان العصر التاريخى ، فى الدولة القديمة ، استعلى رع على اتوم فى هليوبوليس - ولكن حتى فى هذه الحالة الممتازة ، لا نصل الى ادراك السبب الذى دعا مدينة معينة الى اتخاذ اله جديد - يجب ان يكون هناك شئ فى امكانه تقديم العون لنا - انه الأصل المشتق منه أسماء الالهة - ان بعضها ينتمى ، فى جلاء ، الى اللغة المصرية - ان رع هو الاسم الشائع للشمس - وأمون مستمد من الأصل « امن » أى الخفى ، وأتوم من « تم » ، أى الكامل ، وأفويس معناه فاتح الطرق - ونفتيس سيدة المسكن ، وحاتور مسكن حورس ، وفى الواقع أنه لا يوجد ما يؤكد لنا أن هذه ليست الا البسة مصرية أضفيت على آلهة سابقة - وعلى أية حال ، فان بعض الأسماء الالهية ينم عن أصل سابق للمصرية : ان جمبى (HAPY) اله النيل فى الفيضان ليس مصرياً على اليقين (١) -

(١) لدى من الاسانيد ما يجعلنى أخالف المؤلف فى هذا - وقد اوردت حاشية لمر آخر الكتاب عن مرجع هذه الأسماء للغة العربية - (المترجم) -

و « مين » اله فقط يبدو انه جاء من الاقاليم الصحراوية ،
التي يقطن بها الزنوج فى الجنوب ، واحتفظ دون ريب
باسمه الاجنبى . ويبدو من غير الممكن تفسير نايت
وأوزيريس باللغة المصرية .

ولكن ملاحظة يجب ابداءها هنا . هي ان كثيرا من
الآلهة لا تحمل اسمها الحقيقى . وقد كان الاسم يحمل عند
الاقدمين ذات الشئ وجوهه ، ويمنع من يعرفه بعض
القدرة على هذا الشئ . وعلى هذا كان من الاهمية البالغة
ألا يباح باسمه الحقيقى الى اى كائن مهما كان . وقد عرف
التاريخ كيف يتكشف اسماء آلهة وعبادات مازالت متشابكة
الخيوط . وقد قدم « لاکو » افتراضا بارعا لو تأكدت صحته
لألقى الينا ببعض الضوء . فقد لاحظ ان الكتابة الصحيحة
القديمة لأسماءخنوم واتوم وانوبس (Anubis) وآمون وسبدو
(Sopdou) ومنتو (Montou) وما اليها كانت توجد فى اخرها
(و) ، من شأنها ان تجعل حامل الاسم ينتسب بالقرابة
لحيوان معين . وعلى هذا يكون معنى خنومو « ذاك الذى
ينتسب للكبش » ، وأنوبو (Anoupou) « ذاك الذى ينتسب
لابن آوى » وهكذا .

ومن سوء الطالع ان أصل الأسماء الالهية — فيما
عدا اسم خنوم — لا يطابق اسم أى حيوان معروف فى اللغة
المصرية أو فى أية لغة أخرى من مجموعتها الحامية —
النسائية (١) .

لنقلع عن الأمل فى أن نصل الى حالة عتيقة ، سابقة
للغة المصرية ، يمكن أن يكون فيها القول الفصل (٢) . ان
الدين الذى نعالج موضوعه ، قد بلغ الغاية فى تطوره كما

(١) انها تطابق أسماء الحيوان كما جاءت فى المصادر العربية كالدميرى والجاحظ
والقزوينى وهكذا . أو أسماء الأصنام التى عبدها العرب فى الجاهلية أو لها معنى واضح
فى اللغة العربية . وقد أصبح انتساب اللغة المصرية للحامية بخرافة — (المترجم) .
(٢) فى اللغة العربية حل لجميع مشكلات اللغة المصرية القديمة — (المترجم) .

أن الخصائص التي كانت له في الدولة القديمة ، خلال الألف
سنة الثالثة ، تماثل في مجموعها الخصائص التي بدا فيها
في العصر المتأخر في وقت مولد المسيحية .

من الأفضل ان نحاول ان نتبين بعض ملامح هذه الكتلة
الضخمة من الآلهة المصرية . وتبدأ بالطائفة العظيمة ، من
الآلهة المحلية التي قمنا بتقسيمها والمعروفة جيداً في كل
مدينة أو حتى في الصحراء . ثم هناك مجموعة ثانیة من
المعبودات شائعة في مصر بأكملها . ولها سمات جغرافية
مثل حعبى (Hâpy) ، النيل ، أو زراعية مثل : أخت (Akhet)
أى المرعى ، ونبرى (Nepri) ، الحنطة وارموثيس
(Ermouthis) (رثوث ، رنوت ، رنت) أى الحصاد ،
وغيرها مألوفة ، توپرس (Touéris) (تا - ورت) ، أى فرس
النهر الانثى ، وهى تعمى الجبال ، ومسخت (Meskenet)
وتعمى حالات الوضع - وپس (Bès) قزم عجيب الشكل ،
يحمى من المؤثرات الخبيثة .

وقد انضم الى هذه الآلهة الوطنية ، فى غضون التاريخ ،
بعض المعبودات الأجنبية التي استعيرت من الشعوب المجاورة
وتمصرت الى حد ما : ووصل من العالم السامى بعل وعناة
Anat (١) وعشتاروت - ووصل من سكان أعالي النيل ، ددون
(Dedoun) وانوكس (Anoukis) (عنقت) - ووصل غيرها من
ليبيا - وأحياناً رفع بعض الناس وبعض الملوك الى مرتبة
الآلهة السماوية : اموئيس (امحتب) ، المهندس المعماري
ذائع الصيت للملك زوسر ، وامنوئيس (امنحتب) بن
حابو وزير امنوفيس (امنحتب) الثالث وسيزوستريس
(سنوسرت) الثالث أو امنوفيس (امنحتب) الأول .

(١) كتبت « عنت » فى اللغة المصرية وأقدم ذكر لها يرجع لعهد الامبراطورية
(المترجم)

وأخيرا اذا ولجنا المعابد وسمح لنا أن نقرأ النقوش
التي تزخر بها ، او فتحت لنا المكتبة المقدسة ، فان امرين
يكون لهما وقع فى نفوسنا : الأمر الأول هو أن الآلهة المحلية
فى بعض المدارس اللاهوتية العظيمة توجد فى اسمى رتبة
فى جميع المصنفات اللاهوتية : فرع اله هليوبولس ، وتحوت
(Thot) اله هرموبولس ، تقدم لهما العبادة فى كل مكان .

وعندما يلم المرء بعلم لاهوتها فانه يتبين خصائص لها
فى كل مكان . ثم اننا سنجد معبودات ليست لها أية عبادة
محلية محددة وقديمة . ولكن اسمها جلى فى اللغة المصرية ،
وهى العناصر الأربعة التى ألهمت : الأرض والسماء والهواء
والماء والمحيط الأزلى تصوروها فى أشكال مختلفة ، نون
(Noun) ومثير (Methyer) ، ومعيار العالم : ماعت (Maât)
والتصور العقلى ، سيا (Sia) ، والكلمة الخالقة حو (Hou) .

وأخيرا نخص بالذكر آلهة الامبراطورية العظام ، بتاح
(Ptah) وآمون وآتون . وقد ارتقت بتطور التاريخ الى
أعظم المصائر رفعة ، رأت الكهنة يعمقون أغوار طبائعها
وينسبون اليها علم لاهوت المراكز (الدينية) العظيمة ، التى
عرفت كيف تضع الآراء عن الطبيعة الالهية وتنصب فى
النهاية فى تيار علم لاهوت عظيم ، يمكن أن يقال عنه انه
شائع لدى كل الانسانية المتاملة . وقد استطاع احد الملوك
أن يقدم لواحد من هذه الآلهة - آتون - فى أدينته التى
كرسها له كامل تجربته الدينية الشخصية ، دون أن يجعل
له ميتافيزيقا أصيلة .

ومع هذا ، فاننا اذا أردنا التوغل فى خفايا فكر دينى
كامل يلزمنا أن نقوم بخطوة أولى . يجب أن نبذل جهدا
لفهم المناهج العقلية فى التفكير المصرى القديم .

لم تكن اللغة المصرية فى العصر القديم تغرف التجريد
وعندما كانت تريد التعبير عن فكرة ، كانت تستخدم لفظا

معينا محسوسا • وعلى ذلك فان فكرة التفكير والذكاء كان يعبر عنها بلفظ « قلب » الذى كان يظن المصريون انه مقرهما • ان جزءا كبيرا من الفاظنا المجردة يرجع الى هذا المصدر عينه : ان الفاظ فكرة (idée) وفهم (comprendre) وعقل (raison) كانت فى الأصل أمورا أو عمليات معينة محسوسة تماما • وفى عصر قطع شوطا فى التقدم ، فى آخر الألف سنة الثانية ، حاول المصرى صوغ أسماء مجردة ، substantifs abstraits بأن درج على أن يسبق الاسماء المعينة المحسوسة substantifs concrets أو الصفات بلفظ « شئ » ، الغامض كل الغموض • وعلى هذا فان عبارة « كل شئ ميت » كانت تعادل « الموت » و « كل شئ سيئ » تعادل كل « السوء » ولكن هذا النهج لم يبلغ الغاية حقا الا فى اللغة القبطية • وتظل اللغة المصرية حتى النهاية تركيبية وليست تحليلية • وعلى هذا فان التفكير الذى تترجم عنه سيكون له القليل من صفة التجريد • انه لا يزال قريبا جدا من التجربة ويبدو بالحرى من خلال صور ورموز أكثر منه فى تعابير تحليلية ، فلا توجد الفاظ لقول : قوة وعناية الهية • • ولهذا كان على المصرى أن يبحث عن صور لتأدية آرائه • وقد لجأ للتعبير عن قدرة اله ، الى القول بأنه ثور ، دون أن يزعجه عدم توافق الصورة مع مجال النص : وعلى هذا النحو قال عن تحوت إله القمر انه « ثور النجوم » ، كما لجأ للإيحاء بالمعناية الربانية لاله الى تصويره فى صورة راع • ولكن المرء يرى فى الحال أن هذه الصور ، مع ما فيها من إيحاء ، يصيبها المرجح على الدوام فى ناحية ما • فالثور رمز القدرة ، وفى أيجاز ، بهجمته وقوته • غير أنه يمكن أيضا أن يكون رمزا للقدرة التناسلية • وعلى هذا يعدل الوضع بصورة قريبة فيقال ان الاله هو أيضا أسد •

ان هذا المنهاج هو الذى يفسر الغرابة الظاهرية فى
 كثير من النصوص الدينية . ويصف شاعر لاهوتى امون سى
 منظومة تتحدث عن قدرته المطلقة المخيفه على التعاقب بانه
 اسد ذو نظرة متوحشة ، وثور فى حالة انتصاب ، وتمساح
 يسرق ويذهب بمن يهاجمه . وهذه الصور المتعاقبة تصحح
 الواحدة الأخرى ثم تكملها لتشكيل لوحة نهائية تثير المشاعر .
 « ان الجبال تهتز من تحته فى ثورة غضبه . والارض ترتعد
 عندما تسمع زئيره » (ويمكن ايضا ان يترجم اللفظ :
 -خواره) (١) " انه كفاء بقرنيه " .

وعلى هذا ، فانه من خلال عدم التماسك ، الذى اريد
 وسعى اليه ، فى هذه الصور التى تضمنها تأليف جد رائع
 وبذل الجهد فى وضعه ، يجب علينا ان نبحث عن الحقيقة
 التى لا تنقلها على الوجه الاكمل واحدة منها والتى توجد
 فى ناحية ما بين الرسوم المتعاقبة ، غير القابلة للتراكيب ،
 التى عرضناها .

وعلى هذا فان المصرى لم يحاول اطلاقا ، على نقىض
 الاغريقى ، ان يحدد الحقيقة اللاهوتية بطريقة تحليلية ومن
 الداخل . بل يحاول الاحاطة بها من الخارج بواسطة صور
 موضوعة الواحدة الى جانب الأخرى ، تكمن هى خلفها .
 كان الاله الخالق ، عند علماء اللاهوت القدامى يستحوذ على
 الأبدية ، وتفسير هذا بالنسبة لنا أنه لم تكن له على الاطلاق
 بداية ولن تكون له نهاية قط . وفضلا عن هذا فانهم لم
 يكونوا يتصورون تلك الأبدية كأنها غير متحركة . لقد
 كانت بالحرى تنعكس فى حركة السماء التى لا انقطاع لها
 ولكن لا حيد عنها والتى يثير انتظامها فكرة تطور مستمر
 متعادل ومتماثل مع ذاته . ثم شبهوا الخالق بالشمس
 وعرضوا الفكرة على هذا النحو فى منهج معين محسوس :

(١) اللفظ فى اللغة المصرية هو خرو ، ويقابل فى اللغة العربية خوار - (المترجم) .

سيد الأبدية ، الذى لا ينقطع عن عبور الأعوام *
 الذى ليس لزمن حياته حدود *
 الهرم الذى يعاوده الشباب والذى لا ينقطع عن عبور
 الفراغ اللانهائى *
 الاله المسن الذى دأب على جعل نفسه شابا ،
 أمام العيون العديدة وأمام الأذان الوفيرة *

اننا لا نستطيع أن نعرف بدقة لفظ فراغ - لا نهائى
 الذى يترجمه المرء فى غالب الأحيان بلفظ ابدية ، وليس من
 المؤكد على اية حال ان يكون له معنى فلسفى بما ان المؤلف
 يشعر بالحاجة الى تحديده بصور حين يقول : انه لا ينقطع
 عن عبور الأعوام ، ولكنه يردف ، دون حدود * ثم يدخل
 بعد ذلك موضوع العودة الدائمة لشباب الكوكب دون أى
 تلميح الى حمل أمه نوت (Nout) به فى بطنها ليلًا :
 وهنا نجد صورة الهدف منها الاحاطة بفكرة وليست مجرد
 قسمة أسطورية * ولما كانت الأبدية تدل ليس على حدث زمنى
 لا نهاية له وحسب ، ولكن على امتداد كلى ، فانه يضيف فى
 الحال صورا توحى بحضور الله فى كل مكان وهو الذى يرى
 ويسمع كل شئ وعلى هذا يكون فى كل مكان *

لا توجد جدوى فى مضاعفة الأمثلة لهذا المنهاج فى
 التعبير * وستتاح لنا الفرصة لمصادفته عندما نحاول معرفة علم
 لاهوت بعض ألهة معينة * ومع ذلك ، لا يوجد أى فيلسوف
 لم يحس الحاجة الى أن يكمل بالصورة ، وفى بعض الأحيان
 بالأسطورة ، ذلك الذى يكون فيه الوصف المجرد للتجربة
 الداخلية رسما مجملا ، فى معظمه * ان الذى يتميز به
 الأدب الدينى المصرى هو فقط اسهاب واسع فى الشرح
 بالصور والسعى فى تجميعها ، وعدم تماسكها ، فى كل مرة
 يرغب فيها عالم اللاهوت تعمق الطبيعة الالهية * ولكن

توجد وسيلة أخرى لمعالجة الحقيقة ، كانت شائعة عند المصريين وتدهشنا كثيرا . انها تلك التي نطلق عليها في لغاتنا ، التورية أو التلاعب بالألفاظ .

ليست الألفاظ عندنا الا نوعا من الدعاية التي كثيرا ما تكون سخيصة . ولكن قدماء المصريين كانوا يظنون أن الأسماء كانت تعبر عن جوهر الأشياء عينه . وفي قصة أسطورية تسعى ايزيس ، الى معرفة اسم رع للاستحواذ على قدرته ومن الواضح أن الاله يرفض الإفصاح عنه . انه يعرف أن كيانه يرتبط باللفظ الذي يدل عليه . ان الجدل الذي قام حول الكليات (١) في العصور الوسطى بين أشياخ حقيقة الأفكار في العقل الالهي وبين اصحاب مذهب الاسمية (٢) الذين خاضوا يرون فيها مجرد ألفاظ ، يبين تماما أن الفكر المصري كان يسير في دائرة بلغت درجة كبيرة من الرقي . لقد اقام في سمو نظرية عامة ، تصورا ذاتها يصادفه المرء لدى كثير من الشعوب القديمة . حتى ان ادراكهم لتمائل الحروف الأصلية في كلمتين لم يجعلهم يستبعدون أن يكون أمرا وليد الصدفة فحسب ، بل كان يكشف لهم كذلك عن وجود ارتباط رئيسي بينهما ، فاذا كانت الحروف الأصلية في اسم أتوم (Atoum) الاله الأزلي، هي بعينها الحروف الأصلية في الفعل تم (Tmm) « كمل » فيكون مرجع ذلك الى أن أتوم (Atoum) هو الاله الذي « آتم نفسه » بذاته ، يخلق نفسه أولا ثم خلق العالم بعد ذلك . واذا كان أصل لفظ « خفي » يشتمل على الحروف الأصلية التي ترد في اسم آمون ، فان سبب ذلك هو أن المعبود ، على

Universel, universaux.

(١)

الاسم الذي كان يعبر به (السكولانيون) المدرسيون عن الآراء أو التعابير العامة التي كانت تستخدم لتصنيف الكائنات والآراء . والمدرسي (سكولائي) يطلق على كل ما يتعلق بفلسفة المدرسة أي تلك كانت تدرس في العصور الوسطى - (المترجم) .

(٢) nominalisme الاسمية .

الماذهب القائل أن الكليات ليست الا أسماء أو ألفاظا وهو يقابل الواقعية والتصويرية - (المترجم)

القول الصحيح ، « لا يمكن معرفته » . ان أفلاطون في محاوراته وبلوتارخ ، لم يفتهما ان يضعوا وجوه مقابلة من هذا النوع . انها تشرح وحدها بعض التطورات في علم اللاهوت المصرى .

ان امون ، كما كانت تعلم طائفة الكهنة في طيبة ، كان الواحد . وليس غيره من الآلهة الأزلية الا بعض اسمائه . التى تعبر عن صفة من صفاته فحسب . وهكذا كان يسكن أن يقال : خالق الانسانية طرا (تم و) (mm W) . اوجد (سخبر) (Skhpr) كل موجود باسمك الذى يحمله اتوم - خيرى (Atoum-Khepri) .

واستنادا الى الألفاظ « الانسانية طرا » و « اوجد » يتكون علم اللاهوت فيما يخص قدرة آمون الخالقة ، التى يعبر عنها الاسم الذى يحمله فى هليوبولس : أتوم (Atoum) الذى اتخذ شخصية اله الشمس الذى يتطور الى خيرى (Khepri) .

وكانت مدينة طيبة تحمل اسم « مدينة امون » وفى ايجاز « المدينة » كما كان الرومان يسمون روما Ur؛ بما أنها كانت تقع فى الموضع عينه الذى ظهر فيه تل الأرض الجرداء خارج المحيط البدائي فى الأزمنة القديمة جدا . فقد صارت بهذا ، الطراز الأول لكل البلدان التى استعارت منها اللفظ عينه الذى استخدم لتسميتها : وهو لفظ مدينة .

وكذلك من الجائز أن مكان العبادة الأصلي لماتحور كان يدل عليها فى الأزمنة القديمة : « تلك التى تنتمى الى أمبوس (Ombos) ولكن فى اللغة المصرية ، كان لهذا اللفظ نفس الحروف الأصلية التى تجيء فى لفظ « ذهب » . وكان ذلك لأن الآلهة كانت من الذهب ، كما كان لحم رع نفسه ، مادة الجسوم الالهية . ويرى المرء بجميع الآراء التى يمكن أن

ترتبط بهذا التماثل فى الحروف الأصلية التى تجى فى لفظين *

ويجب أن يضاف الى هذه الوسائل الغريبة فى نقل المعرفة أو انارتها ما درجوا عليه من عادات نفسية تزعجنا فى البداية * كان قدماء المصريين يصفون على ما نطلق عليه مبدأ تماثل الشخصية افاضة أوسع مدى عن مفهومنا ، بما لا يقاس * وفيما يبدو ، لم يفصلوا فكرة المشاركة التى تسمح ، دون سواها ، بتوطيد الروابط بين الجواهر المتميزة * وعلى هذا فقد كان يذهب ظنهم الى ان كائنين يمكن أن يستحوذا على شخصية واحدة * ان أتوم يمكن أن يكون خبرى والاثنان معا يمكن ان يكونا آمون * وهم يذهبون بعيدا فى مجال تماثل الشخصيات هذا حتى يصل الأمر بهم فيه الى ضمان المحافظة على كل التفسيرات الدينية التى يضعونها جنبا الى جنب فى رعاية ، دون احلال بعضها محل البعض الآخر * ان هذا يؤدى بنا الى الظن بأنهم كانوا يعتبرون كلا منها صالحا ، على طريقتهم * ان عاداتنا فى أن نستعير فى اطراد متزايد القواعد التى توجه فكرنا نحو العلوم الوضعية ، تنكر علينا هذا النوع من العمل ولكنها تمنعنا فى الوقت عينه من استشعار ما يكون أمرا عارضا فى معارفنا وعلى الأخص فى معارفنا الميتافيزيقية ، وأبعد من هذا ، فى التعبير عنها *

فلنأخذ هنا مثالا ، يبلغ من الصعوبة ما يجعله يعبر دفعة واحدة عن مصطلح متخيل عن الحقائق العقلية وعن تصورات أدبت فى ألفاظ معينة محسوسة * منذ العهد البدائى ، تصور علماء اللاهوت فى هليوبوليس الهمم أتوم فى صورة خالق ذاته * انه نجح بادىء ذى بدء فى خلق نفسه بنفسه وكان هذا نهجا للتعبير عن أبديته * وكان من صفاته « ذلك الذى جاء للوجود من تلقاء ذاته » * غير أن سيطرة الشكل الانسانى التلقائية على الفكر قد دفع بالكهنة الى

تصور عملية القران بوصفها حلا لخروج الاله من عزلته واحاطة نفسه بكائنات أخرى . ولما كان أتوم وحده ، فقد استتبع هذا أن ينسبوا اليه القيام بعملية استمناء أصيلة . ذلك ما تدفعنا الى قوله الأساطير ، وعلينا ألا نرى فيه خروجا عن الخلق القويم ولكنه التعبير غير اللبق عن فكر تراعى فيه الفكرة العميقة وحدها . وقد نسب أحيانا أيضا الى أتوم القيام بعملية أخرى أقل ايداء للشعور ولكنها فجأة أيضا وهى أنه لفظ من فمه أول زوجين الهيين . والعاقبة لا تثير صعوبة وهى عندنا أقل أهمية أيضا .

حدث بعد زمن وجيز ، ودون ريب فى عهد الأسرة الثالثة ، فى مستهل الألف الثالثة ، بعد أن قام كهنة بتاح (Ptah) ، اله مدينة الجدار الأبيض وهى التى أصبحت منف (فيما بعد) بتحليل الوسيلة التى اتخذت لتنظيم الأشياء والناس وعلى الأخص الملك ، أن بدعوا بوضع نظرية تامة للمعرفة ، وفى نهاية الأمر عرفوا نهجا خالقا أصيلا حقا : تحمل الحواس المعرفة الى القلب . وهو يشكل فكرة وينفذها باصدار أوامر نافذة تدرك نتيجتها المادية بالحس . وعلى هذا فالخلق يبدأ بالفكر ويتجلى بالكلمة الخالقة . والاله بتاح ، يفكر ، فى قلبه ، فى الأشياء والكائنات ثم يعطيها أسماء فتظهر للوجود . وهذا الخلق بالكلمة الالهية كان لا بد أن يلقي نجاحا باهرا . ويبدو لنا أنه كانت فيه كفاية ذاتية وأنه حل بجدارة محل الفكرة القديمة التى كانت سائدة فى هليوبوليس . ولكن بالنسبة للمصريين ، لم يكن الأمر على هذا النحو اطلاقا . لقد ظنوا بكل تأكيد أنه على الأرجح لم يكن الا صورة أكثر قربا للحقيقة ، من الصورة السابقة . وقد كان فى هذه الطريقة لمواجهة المعرفة فضلا عن ذلك ، ارضاء لغريزتهم فى المحافظة على التقاليد الدينية . ان رأيا يطبق على الآلهة يحمل نوعا من التقديس ويفرض نفسه بصفة نهائية . ولا يمكن دحضه فيما بعد . كيف يتاح لهم أن يفسروا منذ ذلك الحين أن التصور الأخير

ليس الا نهجا جديدا للوصول الى الحقيقة وان التصور القديم يظل صالحا ؟ انها صور متشابكة تبدو لاول وهلة بلا معنى ، ولكنها حين حللت طريقتها للمعرفة وللتعريف بالحقيقة بدت تامة الوضوح .

« ان تاسوع بتاح امامه كاسنان وشفاه أى أنه بذرة ويدا أتوم . ان تاسوع أتوم فى المواقع ، جاء للوجود ببذرتة ويديه . ولكن التاسوع هو الاسنان والشفتان فى فم ذلك الذى سمى كل شىء ، والذى خرج منه شو (Chou) وتفنوت (Tefnout) اللدان جاءا بالتاسوع الى العالم » .

والتاسوع هو جمع الآلهة الذى أوجده الاله الخالق Démiurge والذى واصل عمله فى خلق العالم . وقد خلق بتاح آلهة التاسوع بأن دعاها بأسمائها واستخدم فى هذا الأسنان والشفتين . ان هذين اللفظين المعينين يوضحان الوسيلة الخالقة التى استخدمها الاله ، ولذا فانهما يعادلان الأعضاء التى استخدمها أتوم ، فيما سبق ، للقيام بالخلق . ان كل صورة من هذه الصور حفظت على هذا النحو ولا تستبعد واحدة منها ، بصفة نهائية ، لصالح أخرى .

ويجدر بنا تذكر هذه الاعتبارات اذا أردنا ألا ننكر كلية قدر الفكر المصرى وأن ندرك مدى تأثيره فى نطاق علم اللاهوت . لقد تمكن من أن يفرض نفسه على حكماء العبريين وعلى عدد معين من فلاسفة الاغريق ، ذلك لأنه كان يستحوذ على معارف قيمة . ولكن بعد فقدان التقليد الحى الذى كان من شأنه أن يسمح باقرار المعنى الدقيق للنصوص والأساطير — كما يرى فيما يتعلق بالفكر الهندى الحالى — يتحتم علينا أن نبذل مزيدا من الجهد البالغ ، ودون معاونة ، لرفع البقاع السميكة الذى ألقتة اللغة واتجاه عقلى يختلف اختلافا عن اتجاهنا ، على هذه المكاسب العقلية القديمة .

الفصل الثالث

● الآلهة المحلية في مصر العليا

' وهكذا اصغ الى ما يتعلق بالآلهة وتلقته من أولئك الذين يفسرو
الأسطورة في تقى وفلسفة ، انجز على الدوام الأساليب المسمو
بها في المراسم المقدسة ، على أن تضع في ذهنك أنه لا شيء
أضحية أو أى عمل يمكن أن يلجزه المرء فيه رضا للآلهة أعظم
أن يكون له عنهم رأيا صادقا • وعند ذاك تصل الى القرار
شر ليس أقل من الإلهاد وهو التطير •

بلوتارخ (أزيد / ١٢

ان خليط الآلهة المحلية الوفير هو أكثر الأشياء التي
تسترعى انتباه ذاك الذى يسعى الى فهم ديانة مصر القديمة •
ولا ريب في آن النصوص القديمة لم تحدثنا دون انقطاع عن
آله الة للقطر ، كما تفعل النصوص الحيثية في التحدث عن
آله لخييتى • ولكن لم تكن توجد قرية لها شيء من
الأهمية ، دون أن تكون لها آلهتها الخاصة • ولم تكن حاضرة
كل اقليم أو مقاطعة nome هى وحدها التى لها آلهتها ولكن
كذلك كان للتجمعات الصغيرة فى داخل المقاطعة آلهة
مختلفة • ومن المؤكد أن هذه الآلهة كانت تفرس دعائم
قوية لنزعة حب الوطن المحلية ، ان لم نقل لنزعة الحرب ،
ويدور هذا فى حدسنا عن أكثر من مدينة صغيرة • ولكن
عندما كان الآله المحلي ، عقب ظروف سميعة ، يرفع الى رتبة
آله الامبراطورية ، فان الوثائق كانت تتضاعف ويشهد
ز هو المدينة التى ينتمى اليها ، كل حد • وعلى هذا النحو ،
أعلنت طيبة عندما أصبحت الحاضرة فى عهد الأسرة الثامنة

عشرة ، أنها المثال الأعلى لكل المدائن ، المدينة الأصلية ،
المدينة التي يجب أن يقدم لها الطاعة العالم بآجمعه : « يجب
أن تنتمي إليها مصر العليا ومصر السفلى » ويجب أن تكون
السماء والأرض والجحيم طوع أوامرهما . وأن تكون لها
الأمواه والجبال ونون مع مخلوقاته وحصى (مع) زرع
وكل ما يحمله جب (اله الأرض) . وكل ما تسطع عليه
الشمس ينتمي إلى « كاهها فى سلام » .

ويرى المرء من هذا المثال وحده ، أن النمو السياسى
لمدينة أو لاله قد خلق فى الحال مبدأ خضوع أو بعبارة
أخرى ، مبدأ وحدة . لقد سبق أن رأينا ما كان « لبيت
الحياة » من أثر على تنظيم علم اللاهوت والعبادة . لقد كان
له نفوذ فعال بالغ بنسبة ما كان للملكية من قوة عظيمة .
وقد أدى نشاط الكهنة المحليين دورا هاما أيضا ، وقد أخذوا
شيئا فشيئا ، يسعون إلى إقامة نظام لذلك الجمع من الآلهة ،
وايجاد تماثل بين الآلهة الذين يربطهم الجوار ، بعضهم إلى
البعض الآخر ، وإلى أن يجعلوا من كبير آلهتهم الاله الأوحده .
ويمكننا أن ندرك نتيجة تلك النزعة فى العصر المتأخر فى
ادفو ودندرة واسنا . حتى اننا لا نكاد نعرف عن هذه
الآلهة الا ما وصلنا من كتابات كهنوتية رسمية تمثل ذروة
عمل لاهوتى رسمى متتابع التطور يحجب عنا الآلهة المحلية
الأصلية . ان تنوع الاضافات التى أتت بها العصور
والكهنة تحول بيننا وبين اعادة تكوين الحالة القديمة . اننا
لم نعد نعرف ديانات مصرية ولكن آلهة متباينة لدين موحد
فى مجموعه .

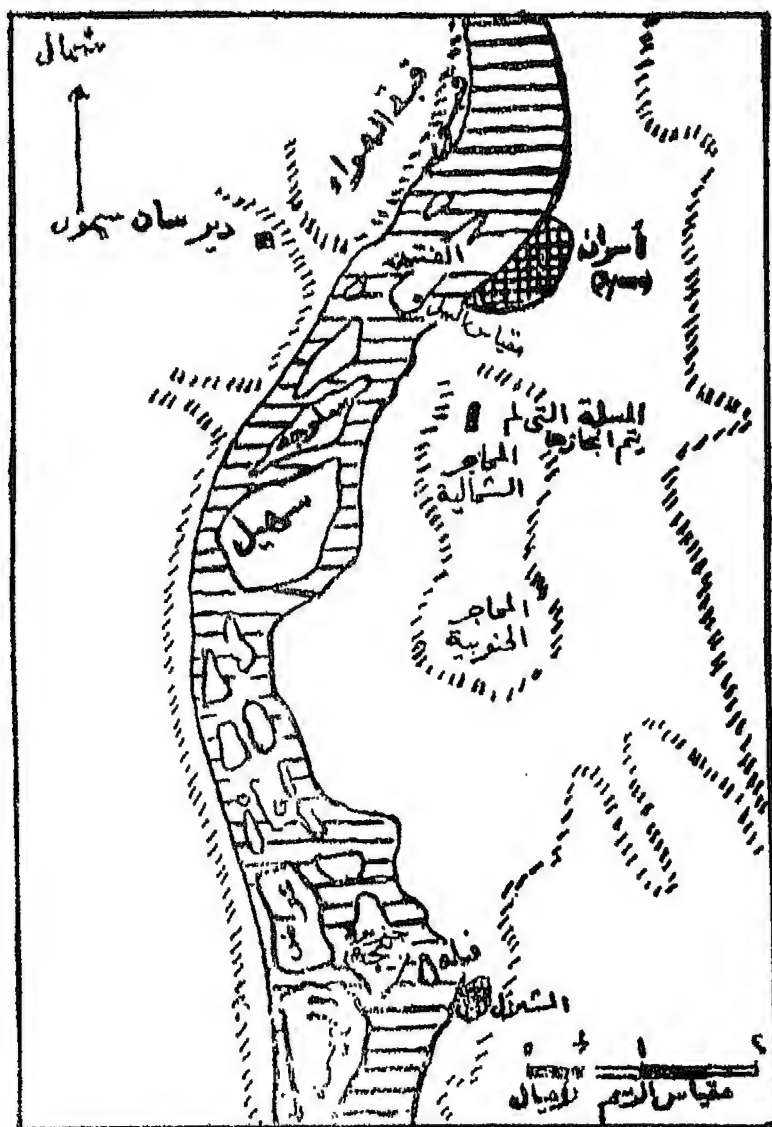
ومما يسترعى انتباه المرء عندما يزور معبدا مصرية
تنظيم المعبودات فى مجموعات يتألف كل منها من ثلاث
وقد يرغب المرء فى ارجاعها إلى عهد بعيد القدم . لكنه
يتبين أنها تشكيلات متأخرة نسبيا وغير مستقرة ، عندما
تواتيه فرصة ليرى كيف تطورت — وهو أمر نادر — وعلى

سبيل المثال ، نجد فى زمن الملوك الاغريق ثالوث حاتحور
 دندرة وحورس ادفو واحى ، مكونا تكوينا يبلغ حد الكمال .
 ومع هذا ، يلاحظ المرء الزيادة التى تقع مرارا عديدة فى معبد
 حورس ، سيد خادى (١) الذى كانت حاتحور تغشاه بنفسها
 فى خلال عام الصلوات . وفى الواقع ، فى بداية الدولة
 الوسطى ، كانت الالهة التى تصحب حاتحور فى هيكـل
 بنتو حتب هى حراختى الذى يدعى ببساطة سيد دندرة فى
 نفس مرتبة حاتحور ، وحورس سيد خادى وهو يظهر فى
 المكان الذى شغله بعد ذلك بزمن احى الاله الابن . ولا يظهر
 حورس ادفو . ان فصلا طويلا من نصوص التواويس ، فى
 نفس العهد ، مخصص لاحى . ويبدو فيه احى تماما كابن
 لحاتحور ولكنه ابن ايضا لتفتيس وايزيس وابوه رع . ان
 الخصائص التى يتجمل بها فيه تختلف اختلافا بينا عن تلك
 التى يبدو فيها ، على وجه عام ، فى دندرة فى العهد
 الاغريقى . ويرى المرء أن عمل علماء اللاهوت قد قطع
 شوطا بعيدا منذ تلك الحقبة القديمة ، ولم يعد فى
 استطاعتنا الرجم بالحالة القديمة التى كانت عليها المعبودات
 المحلية ، سحيفة القدم . وتتطلب الحال أعمالا عديدة
 مفصلة وحتى عند ذاك ، لا يكون من المتيقن أن غاية مداها
 يصل الى شىء أكثر من افتراضات فيها الكثير أو القليل من
 الحذاقة ، من الضرورى أن تثير فينا المطابقات الغريبة بين
 العبادات المحلية الكثير من التبصر . والواقع ، أنه لا يمكن
 أن يفوت المرء ملاحظة أن التصور الثنائى الذى يبدو أنه
 كان يلزم التكوين العقلى عند قدماء المصريين ، قد قام هنا
 بدور عظيم . وكما نرى على جانبى المحور ، فى مختلف
 ردهات معبد ، قيام المـزخرفين بوضع الآلهة التى تتطابق فى
 نفس الأمكنة ، فأننا نتخيل كذلك مطابقات غريبة بين مصر
 الشمال ومصر الجنوب ، واذا كانت توجد أون الشمال
 (هليوبوليس) وأون الجنوب (أرمنت) فقد لا يستطيع المرء

(١) الغابة المقدسة فى المقاطعة السادسة ، دندرة .

الشعور بالمطابقة • لأن الالهين جد مختلفان • ومع هذا يجب أن يلاحظ أن قرينة منتو هي مؤنث رع ، الشمس ، سيد هليوبوليس ولقد بذلت الجهود لتوثيق الصلات بطريقة مصطنعة • غير أنها في حالات أخرى ، تظهر واضحة أمام العيون • فأوزيريس يتولى الحكم في (أبو صير) في مصر السفلى وفي أبيدوس في مصر العليا • ويستحوذ آمون على ديوسبولس ماجنا وديوسبولس بارفا في مصر العليا • ولكن جعلت مطابقة لهما ديوسبولس الوطنية في مصر السفلى • ويمتلك حورس « بحدتي » في مصر العليا و « بحدتي » أخرى في مصر السفلى • ولتحوت « هرموبولس » في مصر العليا وهرموبولس أخرى في مصر السفلى • ويستبين الانسان في الحال ما كانت عليه من اصطناع مثل تلك الوسيلة في عرض الأمور • لقد أجبرت آلهة على اتخاذ دور أحد زملائها ، كان في الأصل مختلفا عنها كل الاختلاف ، وذلك لتوطيد التعادل غير الطبيعي بين شطرى القطر •

اننا أحيانا نلاحظ قيام أنواع من استبدال المعبودات • فقد حل أوزيريس في أبيدوس محل اله قديم يدعى « ذاك الذى يرأس سكان الغرب » ، كما حل في بوسيرص محل اله آخر يدعى « عنجتى » • فما سر ذلك ؟ في بلاد الاغريق ، كانت تحمل أمثال هذه التغيرات ، في معظم الأحوال دلالة على غزو • وهنا لا يبدو أنه كان يوجد شيء من هذا القبيل ، وفي أبيدوس على وجه اليقين ، واننا لنجهل تماما السر الذى دعا الى أن يكون لرع المكانة العليا هليوبوليس بدلا من أتوم • ولماذا وصل الأمر بآمون في النهاية الى ابعاد مونتو عن طيبة ؟ وقد لا تكون هناك الا مسائل دينية خالصة ولاهوتية ، هي التى أحدثت ذلك • ولكن يتحتم اقامة البرهان على ذلك • ان الأمر الوحيد المتيقن منه هو أنها ليست الوقائع العسكرية هي التى تفسر معظم هذه التغيرات •



منطقة قلا (Keen An, Eq.) 11.

فلنذرع اذن مصر من الجنوب الى الشمال ، وفقا للنهج القديم فى البحث ، ولنطالع ماذا كانت العبادات التى تقدم فيها . وسيكون ذلك مجرد وصف تاريخى ولن نتمهل طويلا حتى عندما يكون الانتاج الادبى فى احد المراكز الدينية وفيرا ويسمح بتقصى الخطوط العريضة لاحدى العقائد ، وان كان لنا ان نرجع للموضوع فى احوال خاصة جدا . وبعد كل تقدير ، فان هذا على التحقيق هو المنهج الذى يمكن ان نطبقه اليوم لمعرفة الدين المسيحى فى فرنسا . ان علم اللاهوت يجب ان يدرس فى ذاته وخارجا عن العبادات الخاصة . ومهما تكن خصائص سان - جن Saint-Gens أو سانت - آن - دوراي Sainte-Anne-d'auray ومقادس لورد Lourdes أو لا سالت La Salette (١) ، فانها لا تمس فى شىء صفات الله (عز وجل) أو حتى علم اللاهوت الخاص بالعدراء . فى أقصى جنوبى مصر ، كما تنطبق النسميه ، فى المكان الذى يشق فيه النهر ، لآخر مرة ، طريقا عبر سد من الجرانيت صوب ارض طليقة وصوب البحر ، كانت توجد مدينة استعارت اسمها من تجارة العاج التى كانت تمارس فيها وهى مدينة الفنتين . وكانت تتخذ مأوى لها أقصى جزيرة الى الشمال من الشلال ، وقد ورد ذكرها فى أقدم الوثائق المعروفة . وكان يعبد فيها الاله خنوم . وكان حيوانه المقدس الكبش . ويرسم الاله على الدوام برأس هذا الحيوان (شكل ١٢) . وكانت تعقد له الرياسة فى الشلال وكان أحد الأعمال التى تتصل بالشعائر والذى يجد فيه الرضى بصفة خاصة ، يتألف من سكب الماء الذى يأتى بالخصب أمامه - وهو الذى كان يظن أنه يتفجر من الصخور فى هاتيك الأنحاء - بجرة كانت تحمل اسمه . وقد ألحق به فيما بعد الهتان يبدو أنهما كانتا ترجعان الى عهد بعيد فى

(١) بعض المزارات التى تنسب لها معجزات خاصة فى فرنسا وخاصة لورد التى اذيع ظهور العدراء بها فاصبح الناس يحجون اليها طلبا للبركة أو الشفاء من الامراض .
(المراجع)

إلّقدم ودون ريب يرجع أصلهما الى أقطار تقع على مسافة
نائية الى الجنوب * (هما ساتيس وعنقت) ومن الراجع
أن الالهة ساتيس كانت ترتبط بحاملي الأقواس النوبيين *



١ - آمون - رع



٢ - عنقت



٣ - أنوبيس



٤ - باستت



٥ - شو



٦ - حراختي



٧ - حرسافس



٨ - حتحور



٩ - حرويرس

(أشكال الالهة من ١ - ٩)

وبعد ذلك بزمان ، أدى تشابه اسمها مع اسم سوتيس
Sothis : وهو نجم الشعرى الى أن تتمثل هذه الالهة في هذا

النجم (١) وفي ايزيس . وقد قدم اليها كغطاء رأس تاج الوجه القبلي الأبيض يحف به قرنان (شكل ٢٤) ، وكانت أنوكس (عنقت) تمتلك وحدها جزيرة سهيل احدى أعظم الجزر اتساعا ، تلك التي تقع في وسط الشلال على وجه التقريب . وكانت لها قسمة أفريقية بارزة تجلت واضحة في غطاء رأس من الريش (شكل ٢) . ولكنها صرت بإعطائها مثل ساتيس ، شخصية «عين الشمس» ، الالهة التي انسحبت وهي غاضبة الى الأقطار الجنوبية وكان يتحتم على آلهة مصر البحث عنها ، أن صلتها بخنوم ليست واضحة بصفة قاطعة . كانت ساتيس على وجه اليقين زوجته ، أما انوكس (عنقت) فربما كانت ابنتهما ، وهذا أرجح من أنها كانت زوجته الثانية . ولكن تاريخ كل هذه التنسيقات ، في الوقت الحاضر ، غامض كل الغموض .

لسنا نعلم متى جاء أوزيريس (شكل ٢١) ليقيم في هذه الأنحاء . ومع هذا فقد كان له في العهد المتأخر قبر في جزيرة بيجه وهو الذي سماه الاغريق اباتون Abaton (١) . ويقع مباشرة الى الغرب من جزيرة فيلة الصغيرة حيث سادت ايزيس (شكل ١١) . ولم يكن في قدرة أى أجنبي أن يجوس خلالها ، وكانت تحذيرات عديدة تحمى راحة الاله . وكانت ايزيس تذهب ، كل عشرة أيام ، في موكب لتؤدي على قبره شعيرة سكب اللبن . وفي فيلة كانت تعبد مع أوزيريس وحر بوقراط (حر باخرد) ومعنى اسمه في اللغة

(١) أشار بعض المؤلفين الى أن عبادة الشعري كانت شائعة عند العرب في الجاهلية . وذكر أبو الفرج والدمشقي قبيلة قيس على الاخص راجع : M, Paul Casanova
Quelques Légendes Astronomiques Arabes, considérées dans leurs rapports avec la mythologie égyptienne , Imp. I.F.A.O. 1902.

وجاء في القزويني : « وكان قوم في الجاهلية يعبدونه لأنه يقطع السماء عرضا دون غيره من الكواكب » وذلك قوله تعالى : « والله هو رب الشعري » - (المترجم) .
(٢) Abaton - الاسم الذي أطلقه الاغريق على قبر أوزيريس في جزيرة بيجه ومعناه « الذي لا يمكن الوصول اليه » .

المصرية « حورس الطفل » - وإلى جانب هذه الآلهة ، كانت تقدم لحاتحور عبادة في معبد صغير مستقل ، كان الناس يغنون ويرقصون فيه لأجلها ، أثناء الليل * وبحذاء المدخل ذى العمد الذى كان يسير من مرسى السفن الجنوبى حتى الصرح الأول ، كان يوجد فى البداية معبد الاله النوبى أرينسنوفيس (١) * لقد جاء من الجنوب ويعتبر سيد بونت على ساحل الصومال * ويجده المرء متمثلا فى اله آخر نوبى يدعى ددون * ولكن المصريين أعطوه شخصية الههم شو الذى ذهب بعيدا بحثا عن الالهة الغاضبة * وعلى مسافة الى الشمال ، كان يوجد معبد صغير آخر ، أقيم خصيصا لاموئيس (امحوتب) المؤله ، والذى أصبح الها يشفى من العلل ودعاء الاغريق لهذه الواقعة ، اسكليبيوس ، لقد عرف معبد فيله شهرة عريضة * لقد كان يهرع اليه الحجاج الذين يتحدثون بالاغريقية ، أنفسهم ، وتركوا نقوشا لا عد لها ، على حيطانه * وكان يجيء الهمج وعلى الاخص البلميس Blemmyes (٢) اليه لتقديم العبادة لايزيس التى رفعت فى عهد متأخر الى مرتبة الهة عالمية * وكان يسمح لهم بان يحملوا الى بيوتهم كل فترة صورة مقدسة كان يجب عليهم أن يعيدوها * وكان يجب الانتظار حتى عهد جستنيان واستخدام العنف ، لاطفاء شعلة آخر موطن للوثنية العتيقة فى عام ٥٣٥ م .

(١) اسمه .. irj hms' nfr - الهمد الاغريقى .

(٢) بلميس Blemmyes :

جاء ذكرهم فى « بلنى Pliny على أنهم شعب اثيوبيا وفى عهد ديوانهم . (٢٨٤ - ٣٠٥ م) غدا البلميس وهم رابطة من القبائل تقطن شرقى السودان ، من الغزو بحيث أجبروا الحماية الرومانية على الانسحاب من دوداكشواينوس Dodekaskhoinos وهو شطر وادى النيل من أسوان حتى ميراسوكامنوس Hieracykaminos (المحرقه) على بعد ٧٠ ميلا منها (١٢ شوينى ومن هذا اشتق اسمها) وأجبر الامبراطور على تاجير قبائل الصحراء الغربية لصددهم * ووافق ايضا على دفع مبالغ من المال * ديا للكف عن غزو اقاليم مصر الرومانية رافا معبدا فى قبيلة حيث يقسم مندوبون من جميع الشعوب المعنية على مراعاة الاتفاق فى حضرة الهتهم - (المترجم) .

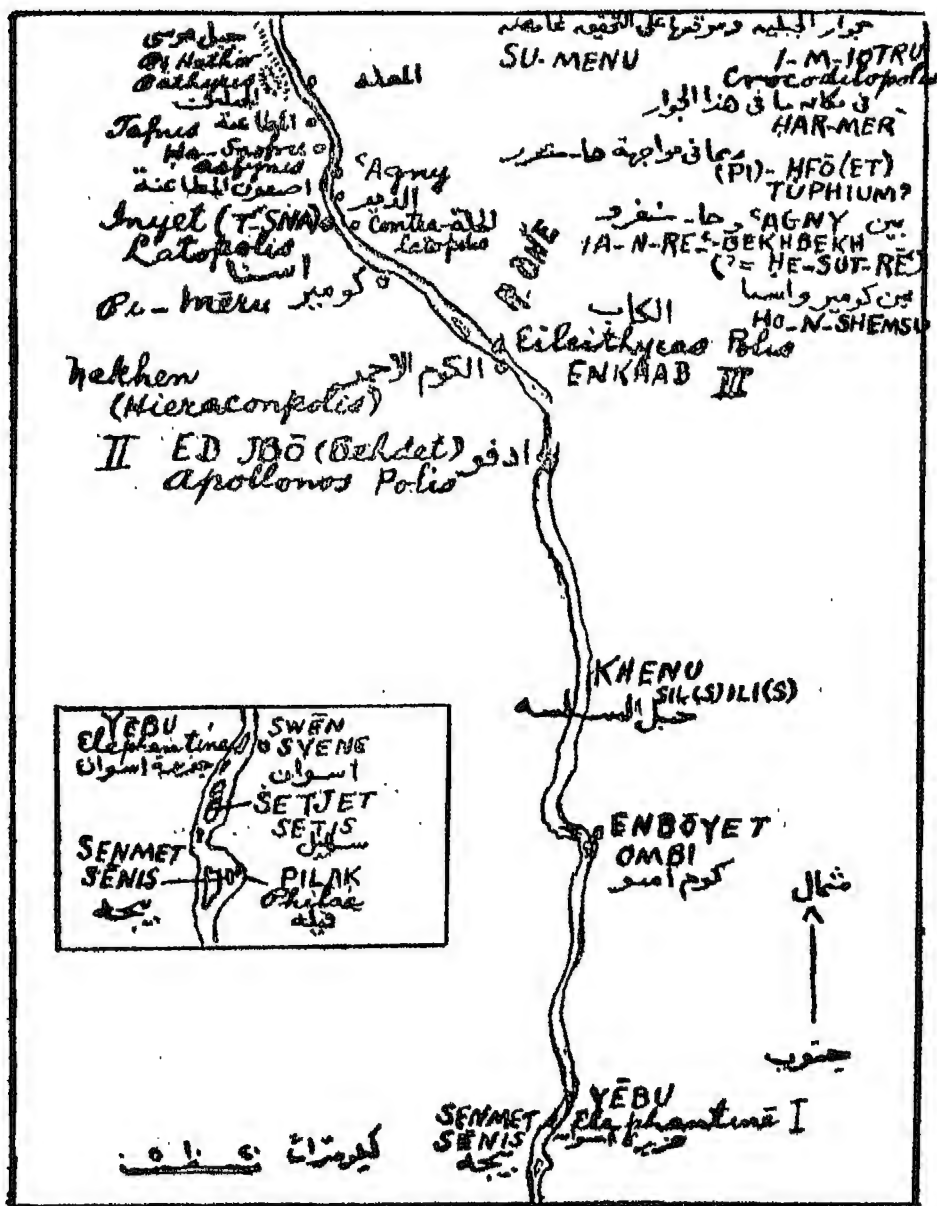
مصر العليا والصعيد الشرقية (الجنوية) (H, Kees, An Eg.)

وكانت تقوم على مسافة ابعد الى الشمال ، فى نفس هذه المقاطعة الأولى ، عبادة جد غربية لدينا عنها معلومات غزيرة لأن معبدا يرجع للعهد الرومانى مازال جزء عظيم منه قائما ، يستوى مشرفا على النهر فوق تل كوم أمبو المقدس . هنا يتقاسم الموقع الهان فى شطرين متعادلين وهو مالا يوجد متيل له فى أى مكان اخر فى مصر . وهذان الالهان هما حرويرس ، حورس المبجل (١) (شكل ٩) وسبك (شكل ٢٥) ، الذى كان يمثل فى معظم الاوقات براس تمساح . وكان يوجد معبد فى نفس المكان على الاقل منذ الأسرة الثامنة عشرة وبكل تأكيد فى زمن أعظم بكورا . ولكننا لا نعلم أنه كان يبرز خصائص المعبد الذى نضم بزيارته . وينهض لدينا دليل للاعتقاد بذلك لانه فى عهد الملكة حاتشبسوت يقدم نقش خفيف البروز لتاسوع الكرنك وضعا غريبا : فانه بينما كل الآلهة يتعاقب ترتيبها فى انتظام وتأخذ وجوها نفس الاتجاه ، يحول حورس ، دون سواء ، ظهره الى نفتيس التى تتقدمه ليواجه سبك الذى يتبعه . ومن سوء الطالع لا يصحب أى شرح هذا الخروج على القواعد المعتادة فى رسم المناظر المصرية . ولكن فى اثر تذكارى بذلت فيه العناية ، لا يمكن تفسير هذا الشذوذ الا بوجود صلة ، خاصة تماما ، بين حورس وسبك ربما كان يبررها أمر تفصيلى فى أساطيرهما لم نهتد اليه حتى الآن .

★★★

ان لمعبدهما فى كوم أمبو تصميمما فريدا فى نوعه الى الان فى فن العمارة الدينية المصرية . فهو ينقسم طولا الى شطرين يوجد فى كل شطر منهما ، هيكل مستقل . ويقابل هذين الهيكلين بابان متماثلان وهناك بابان لكل غرفة من الغرف التى تسبقهما ، للردهة المتوسطة ولردهة القرايين وردهة التجلى ولبهو الأعمدة ، وقد خصص القسم الشمالى بأجمعه لحرويرس والقسم الجنوبى لسبك . ولكل منهما

(١) حرويرس - الصيغة اليونانية لحور .



مصدرة مصر العليا - من فيلة الى الجبلين ، وبيان المقاطعات

أعياده وعبادته الخاصة المتميزة • وقد منحت أسرة لكل منهما • كان لحرويرس شخصية لاهوتية اتخذها زوجة : الأخت الكاملة وكان له ابن ، سيد - القطر - المزدوج - الطفل • وقد قدم لسبك كشريك له حاتحور وكابن خنسو - حر • ألا يكون سبك اسم التنكر الذى اتخذ ست أمبوس ، والذى أصبح فى نهاية الألف سنة الثانية اله الشر وتوصفه بلوتارخ باسم تيفون ؟ ليس فى قدرتنا الوصول الى معرفة ذلك ، ثم ان الاناشيد اللاهوتية المحفورة على جدران المعبد الحالى قد استطاعت تخفيف الاختلافات الاصلية التى كانت تقوم بين الالهين ، حتى ان أى تحليل دقيق لا يصل الى كشف الخصائص القديمة الا فى عناء • انها بالحرى تعرض الخصال العامة للألوهية ، أكثر مما تعرض الخصائص المعينة التى تظن ان آلهة العصور العتيقة تميزت بها •

فى رادى جبل السلسلة الضيق ، فى الموضع اسن ينحسر فيه النيل بين جبلين من الحجر الرملى حفرت فى عهد رعمسيس مصليات ونقشت فيها اناشيد لاله النيل الذى كان يبدو هنا أنه انفذ الممر قسرا • ولكن يجب ان نهبط مبشرين فى النهر حتى ادفو لنجد مركزا للعبادة معروفا تمام المعرفة بفضل معبد عظيم يرجع الى عهد البطالمة ، ومازال سليما ويكاد يكون فى الحالة التى كان عليها فى زمن الملوك المقدونيين • ولقد خصص لحورس ادفو « ذاك الذى ينتمى الى بحدتى » (١) فى اللغة المصرية • وقد كان ، أساسا ، خصما لست أمبوس • وكان يرمز له بالصقر • وقد كان يوجد عش عظيم لهذه الطيور المقدسة ومعبد للصقر فيما سبق ، فى مواجهة هيكل الميلاد الحالى • وكان الكهنة يقومون فى المعبد بمحاكاة مسرحية شعائرية تترسم أحداث قصص المعارك التى شنها الاله ضد خصمه • والعبادة هنا ترجع

(١) أشفى اسم بحدتى ومعناه المرش • على عدة مدن مصرية كانت تستحوذ على معان لاله حورس وكان أعظم تلك المراتح أهمية حاضرة المعاطلة الثانية فى مصر العليا وكان اسمها الشعبى Deb وبالتبليّة dbw الذى انحد من اللفظ ادفو ... (المترجم) •

الى الدولة القديمة • ولكن لا سبيل الى الوصول الى علم
اللاهوت سحيق القدم الذى يتصل بحورس بحدتى • ومنه
المؤكد أن أسبابا قوية كانت تربطه منذ عصور لا تعيها
الذاكرة ، بحاتحور الهة دندرة إذ أن هذه الآلهة كانت تقوم
كل عام بزيارته منذ عهد اتباع حورس ، أى قبل توحيد مصر
فى عهد مينا • وفى عهد الاغريق كان يؤدى هذا الاحتفال
فى شهر ابيب فى شىء عظيم من الوقار • ولقد كان يطلق
عليه عيد « الاجتماع الطيب » • وهكذا كانت تقدم حاتحور
كزوجة لحورس • وكان ابنهما ، « حورس - جامع شمل -
القطر - المزدوج - الطفل » الصغير ، حرسما توى • وشيئا
فشيئا ارتقى اله ادفو الى مرتبة المعبود الاوحد والازلى وكان
علماء اللاهوت يقصون كيف قام بخلق العالم والآلهة الاخرى •
وهذا هو ما كان يحدث على الدوام لكل رب الهى فى اية
مدينة وصل كهنتها الى شىء من الأهمية • ويجب أن يذهب
الطن الى ان هذه الادعاءات لم تنشأ الا فى العصر المتأخر •
وفى الحالة التى نحن بصدددها ، فإن النقوش التى تدلى الينا
بهذه المعلومات ، هى نسخة من مخطوطات يرجع تاريخها ،
فيما يرجع ، الى عهد الامبراطورية الحديثة • وعندما يسير
المرء هبوصا فى مجرى النهر ، فإنه يصل أول ما يصل ، وهو
يسير بمحاذاة الشاطئ الآيسر الى مدينة نخن ، الكوم الأحمر
الحالية • ولقد كان لها ، فى غضون عهد ما قبل التاريخ
البعيد ، أهمية عظيمة يشهد عليها ما عثر عليه من آثار ترجع
الى أسرات طينة (١) والدولة القديمة • ولكنها هوت كثيرا
عقب هذا • ولقد كان يعبد فيها حورس ، ويبدو أنه كان
محنتا ولكن ليس لدينا علم وفير به ، ولما كانت تضافى على
الملك شخصية حورس ، فيمكن أن تكون أرواح نخن التى
تطالعنا مرارا عديدة فى الشعائر الملكية ، على شاكلة عيد

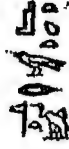
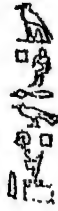
(١) تقع مدن طينه قرب « جرجا » الحالية وينسب اليها العصر الطينى الذى سادت
فيه الاسرتان : الاولى والثانية وهو عصر التأسيس والبناء الذى سبق ظهور الدولة
(المراجع) •

« حب - سد » او « الميلاد الانهى » هى ارواح المسونى من الامراء الاقدمين .

وفى مواجهتها على التقريب ، على التسامى واليسن ، كانت توجد مدينة نخب (١) . وكانت تعبد فيها الهه يرمز اليها برحمه ييصام وكان يطلق عليها نبت السى سسمى ان سجب ، سجب (سجد ١٨) . ومما لا ريب فيه ، ان هذه المدينة كانت عند نشأة الحضارة المصريه رمزا لافصى الجيوب وكانت تقوم على رعاية الملك الالهة - الوصيه التى تبسط جناحيها فوقه . ولقد وجدت معبودة مطابقه لها فى عهد توحيد القطر المزدوج ، وهى اوتو (واجت) ، الالهة الآفمى فى اقصى الشمال وكانت بسوم بالسهل على سبيل مسر السمل . ولهذا اصبح فرعون « داك الذى ينمى الى السيدتين » . وكان تاجه يحمل سى المقدمة راس عراب وراس افعى وكانا يثيران ذكراهما ويحميان الملك . ان تاج توت عنخ آمون هو احد مباحج متحف القاهرة . وكانت الاثنتان تشتركان فى احتفال التتويج . وتقوم كل واحدة منهما بوضع تاج اقليمها الاصلى على رأس الملك . وكانتا ترضعان الملك بلبنهما السماوى للحفاظ على ألوهيته . ومع هذا ، فان نخب كانت تحفظ على الدوام ذكرى أصلها المتواضع بأن ظلت الهة مدخل الوادى الذى كان يؤدى من الكاب الى مناجم الذهب . ومن ناحية أخرى ، فاننا نجد لها منذ الأسرة الثامنة عشرة شبيهة بـ « حكت » الالهة - الضفدعة فى مدينة أنطينوى (Antinoé) (٢) ، وهى تقوم بتيسير الميلاد الملكى . وعلى هذا ، فقد كانت تقوم بدور شبيه بدور القابلة وكذلك تعرف فيها الاغريق هوية الهتهم ايلايثويا Philothya ، التى أطلقوا اسمها على مدينتها . وقد ارتفعت فى خاتمة المطاف

(١) الكاب - كانت حاضرة مصر العليا الدينية فى عهد ما قبل التاريخ وظلت احدى المدن الهامة فى البلاد حتى عهد البطالة . وما زال سور لواء معابد نخب قائما ويقع على بعد ثلاثة كيلو مترات الى الشمال من محطة المحاميد (المترجم) .
(٢) الشيخ عبادة .

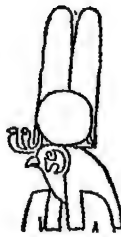
الى مرتبة آلهة الكون الخالقة بوصفها أم الشمس • وعند
ذاك مثلت بحاتحور وموت ونوت •



١٠ - حرقراط

١١ - ايزيس

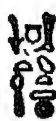
١٢ - خنوم



١٣ - خنسو

١٤ - منتو

١٥ - مون



١٦ - نغرتوم

١٧ - نايت

١٨ - نخبث

(الشكال الآلهة والالهات من ١٠ - ١٨)

وكانت تقدم لها عبادة ليس في معبد الوادي ، فسيح
الجنبات ، الذي مازال الجانب الأعظم من سور فثائه قائما
حتى الآن ، وحسب ، ولكن أيضا في معبد بطلمي حفر نصفه
في الصخر في مدخل الوادي الذي يؤدي الى الصجرء ، وعلى
مسافة أبعد قليلا ، في معبد جميل أقيم في عهد أمنحوتب
الثالث • وكذلك كانت تقدم الى تحوت عبادة في الكاب •

وعلى قرابة عشرين كيلومترا هبوطا فى مجرى النهر
من انساب ، عرفت عبادة كانت تقدم للالهة انوس (عنس)
ولغزالها فى ابر - مرو (١) . ولا شك فى ان مكانها يقع
بالقرب من كومير الحالية *

وابعد قليلا الى الشمال ، عرفت منطلقه اسنا معرته
افضل ، ويرجع ذلك خاصة الى نقوش المعبد الذى مازال بهو
أعمدته من العصر الرومانى ، قائما . ونان يعبد فيه اله
خنوم (شلل ١٢) الذى يتخذ راس كبش كما سى السنين *
ولابد ان عبادته كانت ترجع هنا الى عهد قديم ، لقد حدد
تحتتمس الثالث القرايين التى كان يجب ان تسمى سى بيس
الحفلات الشعائرية . ولقد لوحظ مدى قرب الاناشيد
المحفوظة فى النقوش من حيث التفكير والصياغة والمغنى ،
من اناشيد الامبراطورية الحديثة الكبرى التى كانت توجه
الى آمون أو بتاح . وكان خنوم هنا ، اكثر من اى مكان اخر
الخراف الالهى الذى شكل على دولابه ، الانسانية جمعاء .
وقد صور أحد الحكماء تناقص السكان خلال الثورة التى
أودت بالدولة القديمة ، بهذه العبارات :

« كان ذلك هو الحال : النساء عقيمات ، لم تعد واحدة
منهن تحمل . لقد كف خنوم عن تشكيل الأجنة بسبب حالة
البلاد » . وقد كان عليه لسبب أقوى أن يصوغ الملك - الاله
الصغير فى لحظة مولده . لقد رفعت القوة الخالقة التى
تبعث الحياة والتى كان يستحوذ عليها الى مرتبة الاله الذى
يصور الخلق (٢) . وقد كانت طبيعة الكبش فيه تعبيرا قويا

(١) كتب اسمها بالمصرية (الكوم الأحمر) بر - مرت ومى كومير التى تقع بين
هيراكوبولس واسنا - (المترجم) *

(٢) dieu plasmateur لفظ يونانى معناه التكوين والصوغ مثلا . وأصبح يطلق
على الجزء السائل فى الدم *

وقد جاء نص فى معبد اسنا فيه يشرح واضحه كيف كون خنوم جسم الانسان عذرا
بعد عضو وكيف مزج الدم واللحاح حتى يكون المظم . وكان الدم فى المظم نشطه
حركة قوية . وقد أمد الكائنات التى فى دور التكوين بالنفس (Sauneron, Éna) : «

عن هذه القدرة • غير انه كان يجب شرح الأسباب التي تربطه بالآلهة الشبيهة به في الفنتين وهوابسليس Hypselis (١) وانطينوى (٢) وهيراكليوبولس (٣) وتمويس Thmouis (٤) وقد شرح علماء اللاهوت ذلك بأنه يمثل المجموع الكلى لأربعة آلهة - كباش • كان يطلق عليها الكباش الأربعة الأحياء ، ولم يكن خنوم الا اله هيراكليوبولس واله ثمويس ومنديس الذى يوزع بذره ، المستخفى عن الآلهة وعن الناس • ولم يكن فى هذا الكفاية وقد اتخذ بنفسه مهمة الخلق بأكملها بوصفه الها أزلها أصبح خنوم - رع :

وقد نسب اليه الزواج من الهة خصب زراعى كان يطلق عليها « نبت وو » أى «سيدة - الاقليم - الخصيب » • ولقد شبهت بالآلهة أرموئس ، الهة الحصاد • وقد نسبت اليهما أبوة حكا الطفل وهو شخصية فيها قدر من الغموض • واننا لا ندرى متى التحقت نايت بخنوم • ولقد اتخذت زوجة خنوم هذه ، فى العصر المتأخر مكان الصدارة ، فى اسنا التى صارت تمثل فى الصعيد ، ما تمثله سايس (صا الحجر) فى الدلتا • وكانت معبودة مصر السفلى العتيقة ذات الحول، فى كل الأزمنة القديمة، أزلية وخالقة • ولم تضم اليها أى اله لأنها كانت تستحوذ على ثنائية جنسية أصيلة • ولا شك فى أن عجالات اسنا اللاهوتية قد نقلت عن

• وكذلك لما فى المخلوقات بأجمعها تعلن لك اعترافها بالجميل ، لأنه بتاح - تانن ، الخالق بين الخالقين ، الذى أوجد فى « اسنا » كل ما هو كائن : ذلك الذى هذى الكائن الصغير داخل بطن أمه الى أن يحين الوقت الملائم • ولهذا فانه صاغ البشر وأتى بالآلهة العالم وصنع الحيوانات سخرها وكبرها • وخلق الطيور والأسماك وكل الجنس الزاحف : وجعل الأسماك تفتل ، بأمره ، فى مياه نون ، فى مخرج الكهف حتى تغذى الناس والآلهة ، فى اللحظة المناسبة • وجعل المزروعات تثبت فى وسط الريف وجعل الشواطئ بالأزهار • وأخيرا شق صدوعا صخرية فى قلب الجبال وأجبر المناجم على قذف المعادن التى تحتها

(ترجمة سونديرون) • (المترجم) •

(١) شملب •

(٢) الشيخ عبادة •

(٣) أمناسية المدينة •

(٤) تسمى الامديد •

أعمال دينية أصلية في سايس (صا الحجر) حين شرحت
 سيف ان : الابهاء ، وام الامهات ، البائن الالهى الذى بدأ
 يبدونه فى البدء ، كان يوجد داخل المياه الأولى التى خرجت
 من تلقاء ذاتها بينما كانت الأرض فى ظلمات الاعماق ولم
 تكن اية ارض قد ظهرت أو أى نبات قد نما * * * (ترجمة
 سونيرون) *

فى ذلك الحين كانت تتصور فى قلبها عناصر الكون
 التى كانت توجد بمجرد تصورها لها . وكانت تسعى فى
 أن تحدد بوضوح الكائنات ثم تنطق باسمها فتظهر للوجود .
 وعلى هذا النحو تلفظت بسبع كلمات خالقة . لقد عملت ،
 يادى ذى بدء ، على أن تبرز التل الأول الذى اتخذت فوقه
 مكانا . وكان هذا التل هو أسنا وساييس ، فى نفس الوقت .
 وبعد ذلك خلقت الشمس ، رع - آمون - خنوم ثم آلهة
 هرموبولس الثمانية Ogdoade وفى النهاية ، تحوت . وهنا
 يجد المرء أفكار خلق الكون السائدة فى منف وهليوبوليس
 وطيبة ، وقد صيغت لصالح سايس واسنا . وبمجرد أن
 تهيئ المصادر شيئا من الوفرة ، توجد نفس النوازع العامة
 التى يلحظها المرء فى كل مدرسة محلية . وهى الارتقاء
 باله المكان أو الهته الى مقام الاله الأوحى ، فيصبح خالق
 العالم والآلهة والناس فى نفس الوقت .

ان وجه الغرابة هنا ، هى الأهمية التى اتخذتها نايت
 الهة سايس التى تستحوذ لنفسها على المكانة الأولى فى اسنا .
 ومع هذا ، فإنه ليس من المؤكد تماما بأنه كان يوجد أى
 تناقض بين خنوم الذى صور الخلق ونايت الخالقة . ان عمل
 نايت يتخذ مكانه فى الأصل الأسطورى عينه ، بينما يقوم
 خنوم بعد ذلك بذاته بصنع العالم والآلهة والناس . وهكذا
 تنتظم الفوضى الظاهرة فى وسائل الخلق المتباينة هذه ،
 والشخصيات الالهية المختلفة التى ذكرت . ولا شك أن أكثر
 علماء اللاهوت دراية ، كانوا يظنون - كما سبق أن أوضحنا

عند دراسة مناهجهم في التعبير أن الحقيقة تستقر في مكان ما ، يقع فيما وراء كل هذه الصور التي حاولوا في عسر شديد تنظيمها حتى مع إبرازهم بعض التناقضات ، مثل ظهور التل الأول في اسنا وسائيس ، في نفس الوقت .

وعلى أية حال ، كانت نايث قد وطلدت قدمها في اسنا في العصر المتأخر ، حتى ان السمكة لاطس . Latos (قشر البياض) (١) ، حيوانها المقدس ، كانت تكرم فيها اعظم مما كان يكرم كبش خنوم وأن الاغريق أطلقوا اسمها على المدينة : لاتوبوليس Latopolis . شاهد اعضاء اللجنة المصرية في عهد بونا بريت في مواجهة اسنا تماما ، على الشاطئ الأيمن ، معبدا يرجع الى العهد المتأخر خصص للالهة حاتحور . ولو أننا رجعنا الى البيانات الايجابية الواردة في نقوش لاتوبوليس ، لما رأينا لهذه العبادة الا القليل جدا من الصلات بعبادة الالهات العظيمات ، التي كانت تقوم في مواجهتها .

وعلى مسافة لا تبعد كثيرا عن اصفون « مسكن سنفرو » (٢) العتيق ، وفي مدينة على الشاطئ تسمى حفات (٣) ، كان يعبد الاله حمن ، وكان يتخذ أحيانا شكلا آدميا وأحيانا أخرى شكلا محنطا كحورس هيراكونبوليس ، وكان له مظهر محارب وتقام له أعياد بحرية تنتهي بمقتل فرس نهر يرمز للشر والعدو . وقد كان له تواصل مع ايزيس ونفتيس التي كان له ابنة منها . ولكن شخصيته لا تزال بمناى عنا .

(١) لاطس Ltaes Niloticus سمك في النيل من فصيلة ألقفور serranisae تعرف له في مصر أسماء كثيرة منها القشر والفرخ وحمار البحر (معجم الحيوان ، أمين المعلوم) - (المترجم) .

(٢) اسم اصفون في اللغة المصرية كاملا هو h(w)t-sntfrw ومعناه قصر سنفرو . وتوجد أمكنة عديدة تحمل اسم سنفرو ثبت أن معظمها يرجع الى الدولة القديمة . (٣) حفات - اسمها بر - حقاو (أى بيت الافرعى ، بيت الحفات) . وكتب حفات وحفت الخ . وكانت تقع على شاطئ النيل الأيمن الى الجنوب من الجبلين ربما عند « الملة » بين اصفون جنوبا ، وبرحوت حرت Pathynis شمالا .

ولا تتيح لنا الوثائق أن نضفى خصالا معينة على
حاتحور الهة مدينة الجبلين ، وهى باثورس Pathynis (١)
القديمة . وان كانت معارفنا ستزداد عنها فى دندرة ، وقد
كان يعبد على مقربة منها « سبك » بالاشتراك مع « خنوم »
فى مدينة سومنو التى لا نعلم أين تقع على وجه التحقيق فى
المنطقة (٢) .

وتسمح الأناشيد التى يرجع مصدرها الى سومنو عينها
بأن نتبين بعض ملامح شخصية الهها فى شىء من دقة أعظم ،
وذن فى العصر المتأخر ، دون سواه . ومع هذا فلا بد أن
خصالا ليست بالقليلة كانت أعظم قدما . لقد أصبح ، بادئ
ذى بدء ، حليف أوزيريس وأخذ يغوص فى النهر ليلتقط
منه العناصر المتفرقة من جثمان الاله . وهكذا يتعاون مع
آلهة فريق أوزوريس . ويبتهج الآلهة الآخرون بمحضره
وينحنون أمام الوهيته . وهذا لا يدعو الى الدهشة ، لأنه
دافع عن رع فوق مركبة وأطاح بالمارد أبوفيس الذى يهدد
دون انقطاع بابتلاع الشمس . والأفضل من هذا ، القول
انه رع نفسه . انه يصبح شمسا وينير العالم بأشعته .
ومنذ هذا الحين ، ستوصف أبديته الالهية بتعابير
شمسية : فى كل الأمسيات تبتلعه أمه نوت ويضىء لسكان
الغرب (الموتى) أثناء الليل وبعد استكمال حمله ، يعود
للطلوع فى الصباح . ولقد اتخذ من رع طبيعته الأزلية فهو
الذى ظهر فوق تل البدايات الأولى وجفت الأرض بعد
ظهوره . انه خالق الأرض وكل ما تحمله .

(١) فى أسفل الجبل ، الى الجهة الشمالية يوجد تل هو موضع مدينة عتيقة ، دلتا
تقش يرجع للسنة الثانية عشرة من حكم طريان على أنها باثورس ، بر حاتحور اى بيت
حاتحور .

(٢) تقع بين ارمونت والجبلين فى المقاطعة الرابعة واستقر الراى على أنها الرزيقات
Gauthier — Dict. Geog. Tome Cinquieme.



وكذلك فقد وهب الثنائية الجنسية ، على غرار عدد معين من الآلهة التي صورت الخلق • ولما كان انحدر عن نون ، فإنه هو النيل المخصب الذي يغرق الأرض بفيضه ويجعلها تأتي بنتاج • بل لقد أعلن لها أوجد مرات عديدة •

ويجب أن نصل الى مدينة الطود « طوفيم » القديمة ؛ لنعثر على معبودات توجد عنها وثائق وفيرة ، فهناك نجد أطلال معبد عظيم خصص للاله موننتو • (شكل ١٤) • وقد كان لها في أربع مدائن : الأولى أرمنت واسمها القديم هرمونثيس Hermonthis ، وتقع على بعد ما يقرب من خمسة عشر كيلومترا الى الجنوب من طيبة ، على الشاطئ الأيسر والطود التي تواجه أرمنت تماما وطيبة ومدامود ، على مسيرة بضعة كيلومترات شمال الكرنك ، انه زب قديم جدا لهذه المنطقة • وكان حيوانه المقدس الصقر وكان يصور في الكثير الغالب برأس هذا الكاسر • ولم يحدث الا في زمن متأخر ، أن اتخذ أيضا الثور كرمز له • وكان هذا هو الثور الذي عرف - في أرمنت - في العصر الاغريقي باسم بوخيس (١) • وأحيانا كانت صورته تمثل رأس ذلك الحيوان • وكان يربى في حظيرة مقدسة بالقرب من المعبد وكان يشاهده الأوفياء والغرباء ، وكان يعد رفضه أو قبوله الغذاء الذي يهيأ له بمثابة النبوءة ولكن ذلك لم يكن الا تطورا متأخرا لعبادة أكثر قدما •

وفيما يبدو ، لم يكن لموننتو ، أكثر من غيره من آلهة المدن ، تخصص متميز في بداية ألوهيته • ولكن من الراجح أنه بعد الزمن الذي نجح فيه الملوك الذين يطلق عليهم منتوحتب أي أولئك الذين يحملون اسمه ، أن يعيدوا عن طريق الغزو وحدة القطر المزدوج ، قد غدا لها محاربا

(١) اسمه في اللغة المصرية (به) bh وترجع مصادره الى العهد المتأخر والعهد

الاغريقي يقابل بها وهو صنم عبد في الجاهلية - (المترجم) •

يأتى بالتصبر ويحالفه الظفر • ولما كانت لديه ، على الأخص ،
 موهبة الحرب ، فإنه هو الذى يخضع للملك الأقطار
 الأجنبية • انه هو الذى أسرع الى نجدة رمسيس الثانى فى
 لحظات الشدة على أرض معركة قادش ، ولقد سمع فى
 أرمنت نداء ابنه • وقد شبه بالاله المحارب بعن عندما
 نشأت بين المصريين ، فى عهد امبراطوريتهم الآسيوية ، وبين
 الساميين روابط متصلة • وبعد الغزو الآشورى أقيم فى
 مدامود نصب يصور أربعة آلهة بهيئة مونتو برأس ثور ،
 وكل اليها السهر على الدفاع عن الجهات الأربع الأصلية فى
 طيبة ؛ للحيلولة دون انتهاكها مرة أخرى ، وقد صنعت له
 تماثيل من البرونز تمثله فوق الأقواس التسعة – التى ترمز
 الى مجموعة الشعوب المعروفة •



١١ - بفس



٢٠ - أونوريس



٢١ - أوزيريس



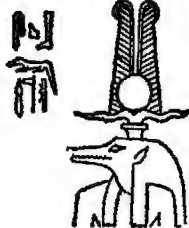
٢٢ - أوتو



٢٣ - ثاج



٢٤ - ساتيس



٢٥ - سبك



٢٦ - سخمث



٢٧ - سلكيس

(أشكال الآلهة من ١٩ - ٢٧)

ومع هذا ، فقد بقيت ذكرى الزمن الذى كان فيه الهاء لجميع انواع النشاط فى المقاطعة • ولقد كان على الدوام يظهر على راس الجماعة الالهية التى تتألف منها حاشية آمون ، تاسوع الكرنك العظيم الذى كان ، فى عهد الدولة الوسطى ، ينتمى اليه ، بادىء ذى بدء فيما يرجح • ولقد كان سيد طيبة • وفى عهد تحوتمس الثالث على الأقل اتخذ الصفات الشمسية باسم مونتو - رع • ولقد آل أمره أيضا ، على مثال اله فقط ، الى أن يتمثل تمثالا تاما بالاله آمون وأن يطلق عليه مونتو - رع • وقد رتل له فى العهد الاغريقى الأناشيد التى كانت تتغنى به بوصفه الها خالقاً رحيماً بخلقه • حقا أنها كانت تنتهى بأنغام عسكرية تثير ذكرى الوحشية والعنف فى معارك القتال ، ولكن ما نعلمه عن حورس ادفو وخنوم يسمح لنا بأن نفهم كيف جرت الأمور فى مراكز عبادة مونتو •

كان يظهر فى أرمنت وقد أحاطت به معبودتان ، ترجمان ، دون ريب ، الى عهد سحيق القدم : تاننت وايونت اللتان لا نعرف عنهما الا أقل الأشياء ، والأولى تحمل على رأسها ساقى نبات يلتفان فى شكل لولبى ، على هيئة صليب فى أقصى طرفهما الأعلى • ومن الجائز أنهما كانتا معبودتين قديمتين من معبودات الخصوبة فى الريف ويجدهما المرء بالقرب من أرمنت على كتلة من الحجر فى مقدس حاتشبسوت بالكرنك • وعندما أضيفت على مونتو خصائص شمسية ، وبذلت الجهود لعمل مقابلة أوثق بين أون - الشمال (هليوبوليس) وأون - الجنوب (أرمنت) ، خلقت للاله زوجة يطلق عليها « شمس - القطر - المزدوج - المؤنثة » رعت تاوى التى شبهت بتاننت • وعند ذاك جاء اله الاين «حربا رع» الذى صور مولده فى هيكل ميلاد أرمنت ، والمتهدم اليوم • وكانت النقوش التى تشرح الصور تنوه بالرمز الفلكى لظهور اله الشمس هذا •

وبقيام الأسرة الثانية عشرة اكتسب آمون (شكل ١) أهمية بالغة في المقاطعة * اننا نتساءل : من اين جاءت هذه الاهمية له ، وقد كان الاله المغمور في قريه حبيبه الصغيرة في نهاية الدولة القديمة ؟ ونستطيع ان نتبين ذلك مما ورد عنه قديما في نصوص الأهرام * فمما يسترعى النظر انه منذ ذلك العصر البعيد كان اسمه يتبادل ، في صيغة مغايرة ، مع اسم اله فقط « مين » * بل انه في بداية الدولة الوسطى ، يصبح التمييز بين آمون ومين مستحيلا في معبد استراحة (١) سنوسرت الأول بالكرنك ، ومع ان النقوش كانت تستعير في كثير من الأحيان صورة الاله « مين » ، فان اسمه لا يظهر على الاطلاق ويدعى الاله على الدوام آمون . أو آمون - رع * وتشير هذه التسمية الأخيرة الى حدوث امتزاج منذ نهاية الدولة القديمة * وفي الواقع ، يقرأ المرء على ظهر تمثال صغير من الحجر الصلب ، عثر عليه في الكرنك في آخر القرن الماضي ، أسماء الملك بيبي الأول يتبعها ذكر « المحبوب من آمون - رع ، سيد طيبة » * ومن الجائز أن الملك وقد أراد كذلك أن يستحوذ لنفسه على الانتساب لآلهة مصر العليا ، عمد الى تشبيه آمون بأبيه رع * وكان من شأن العملية أن تكون أعظم يسرا بما أن اسم الاله يطابق الأصل المصرى « امن » خفى * وكان هذا « الاله الخفى » يمكن أن يتجلى في كثير من الأشكال ، شكل رع على الأخص أو شكل « مين » *

وعلى أية حال فاننا نجهل المعنى الأول لاسمه * ولقد قوبل باللفظ البربرى آمان ومعناه ماء (٢) * ويمكن أن يعزز هذا التقريب ارتباط أحد حيوانات آمون المقدسة وهو الكبش - على ما يبدو - بعبادات الخصوبة في

(١) - المكان المعد للراحة ، أو هو جوسق يعد في طريق موكب عيد تدوع به الأسرار المقدسة - (المترجم) *

(٢) هذا مجرد تشابه صوتي وأحيل القارئ الى التعليق الوارد في آخر الكتاب * (المترجم)

الصحراء • ومع أنه لا يوجد لدينا الا القليل من المعلومات القديمة عن آمون ، فإنه يتجلى بجميع خصائص قدرة الهية تاصلت جذورها تماما في ركن صغير من الارض هو - دون ريب - الكرنك الحالى ، حيث يحتمل ان يكون قد ولد وزير آخر الملوك المسماة منتوحتب • ولقد استولى هذا الوزير الذى يدعى امنميس (امنمحات) على الملك وقام بتأسيس الأسرة الثانية عشرة • وعند ذاك ازدهر حظ آمون • وبعد أن أصبح اله الامبراطورية ، لم يتوقف تزايد هيئته • انها حقيقة واقعة أن علماء اللاهوت فى طيبة قد كشفوا عن قدرة رائعة فى وضع النظريات • لقد أمكنهم أن يستغلوا تماما الخاصية التى يهيؤها اسمه : « الخفى » • وتعرفوا هويته فى أعظم الآلهة قدرة فى جماعة الآلهة المصرية ؛ وأفادوا من أفكار هرموبوليس عن خلق العالم وبما أن واحدا من أعضاء الآلهة الثمانية Ogdoade فى هرموبوليس كان يحمل نفس اسمه فقد جعلوا منه الها أزليا •

ومع هذا ، لم يمنعه ذلك من أن يرتبط - على غرار جميع الآلهة المحلية - بجيرانه ليكون معهما ثالثا • وقد كانت هناك الهة كان حيوانها المقدس العقاب وهى موت (شكل ١٥) ، ولعلها « الأم » النموذجية ، كانت تقيم فى مكان قريب جدا ، تحيط به من ثلاث جهات بحيرة لها شكل شبه دائرى وتسمى أشيرو Achérou (١) • وقد عدت موت قرينته ونسب لهما ابن هو خنسو (شكل ١٣) الذى كانت شخصيته مزدوجة ، على الأقل فى العصر المتأخر : « خنسو - فى طيبة - نفرحتب » و « خنسو - الذى - يحكم - فى - طيبة » •

(١) أما لفظ أشيرو الذى جاء فى النصوص المصرية فهو اسم البحيرة التى كانت تقع الى الجنوب من معبد آمون بالكرنك وأطلق على الهى الذى أقيم بالقرب من تلك البحيرة والذى كان يحوى معبد موت - (المترجم) •

ولقد تعددت أماكن عبادة آمون في المنطقة • وفي الأقصر كان لاله « حرم - الجنوب » وهو اسم معبد الأقصر الذي أعيد بناؤه في شكل رائع، في عهد امنوفيس (امنحوتب)، الثالث • وعلى الشاطئ الأيسر، كانت تقدم له العبادة في المدرج الذي اتخذته كل من منتوحتب وحتشبسوت بعده موضعاً لمعبيهما الجنائزين • كما أقام له كل من الملكة ثم الملك تحوتمس الثالث، جوسقاً مقدساً بلغ الغاية في الروعة المعمارية، وفي مدينة هابو، وفي الأسرة العشرين، عرفت هياكل لآمون تحمل أوصافاً متنوعة: آمون - با - خنتي وآمون - تا - شنيت وآمون بوكنت • ويدور في ذهن المرء أنه تجاه هياكل مختلفة على غرار هياكل السيدة العذراء « نوتردام » التي توجد لدينا ! ومرة أخرى لنقتصر هنا على منطقة طيبة، بما أن عبادة اله الحاضرة تشعبت في جميع أرجاء القطر •

سنعود لنحدث فى اطناب ، عن آمون اله الامبراطورية
عن علم لاهوته المعروف لنا معرفة جيدة من وتائق عديدة *
وتوجد ، فضلا عن هذا ، مشكلات عامة جدا تتصل بالديانة
المصرية * ويكفى أن نوضح ، فى هذه الاونة ، أن هذا الاله
الذى قدر له أعظم مصير ، تتعمق أصوله تماما ، كالكثر من
الآلهة غيره ، فى التربة المحلية التى استمد منها المجد ملوك
حملوا اسمه وعبقريه علماء لاهوت أوتوا القدرة على تعميق
طبيعته *

ولكن طيبة كانت زاخرة أيضا بكثير من الآلهة غيره *
ومنهم حاتور (شكل ٨) وأنوبيس (شكل ٣) اللذان عبدا
فى مدرج الدير البحرى ، وأوكل اليهما الجبانة * وكانت
حاتور تتقبل عبادة على مسافة أبعد الى الجنوب فى
« موطن الحق » ، أى دير المدينة الحالى حيث كان يعيش ،
فى عزلة ، عمال الجبانة الملكية * وكان الجبل يرتفع فوق
وادي الملوك ، بما يدعو للدهشة ، وهو يتخذ شكل هرم *
وكانت تقيم به الهة يطلق عليها أحيانا « القمة » وأحيانا
أخرى « سجر » (تلك التى تحب السكون) وهو اسم أجيد
اختياره ، بصفة خاصة ، ليطلق على الهة موتى * وكانت لها
أيضا مغارة تقدم لها فيها القرايين وتقع فى منتصف الطريق
بين دير المدينة ووادي الملكات * وكان خنوم ومعبدات
الشلال تستحوذ كذلك على معبد الشاطئ الغربى ، فى
الأسرة التاسعة عشرة *

وإذا أضفنا الى هذا أنه كان يوجد ، داخل فناء معبد
آمون فى الكرنك ، ذاته ، معبد لبثاح ، ومعبد لأوزيريس
صوب الباب الشرقى ، كما أقيم فى عهد متأخر على مقربة
من الباب الجنوبي معبد فيه أنجبت الالهة أوبت - نوت
أوزيريس ، وقد تجمعت لدينا معلومات فى تلك المنطقة
ندرك منها الى أى مدى كانت العبادات المحلية وفيرة ومتباينة
فى مصر *

والى الشمال من طيبة ، فى قفط ، كان يسود انه غريب : وكان يصور مرتديا ثوبا شديدا الالتصاق بجسده ، رافعا يديه اليمنى التى كان يدعها تمر فوق كتفه سوطا دون أن يقبض عليه حقيقة . وكان عضوه « منتصبا » وفى معظم الاحيان تتخذ بشرته اللون الأسود وهو ما يمثل رمز الخصوبة أكثر مما يمثل اللون الحقيقى للشخص . وقد ساد « مين » فى الواقع فى كل الوادى النصاراوى الذى يطلق عليه « وادى الحمامات » وكثيرا ما ربطت النصوص بينه وبين اقليم الجنوب . والى الخلف من صورته يوجد فى الخثر الغائب ، كوخ القش الذى كان يستخدم فى الاصل معبدا له . ولأنه يزحف الزنوج وقد غرسوا ريشة فى شعرهم ، فى اتجاه سارية اقيمت . وكذلك ذهب الظن الى انه يرجع الى اصل أجنبى ، أفريقى دون ريب . وليس مستحيلا أن يكون قد جاء عن طريق قفط ، لأنها منتهى طريق البحر الأحمر ، عند النيل . ولكن يبدو أن أصل « مين » يرجع الى أخميم التى تقع على مسافة ابعد الى الشمال . ولقد طابق الاغريق بينه وبين الههم « بان » . وكان يقدم له خس مصر عظيم الحجم الذى يعد مصدرا للقوة الجنسية . ولقد استعار منه جاره آمون صورته وشخصيته أيضا . وقد ارتفع « مين » - فى مقابل ذلك - الى مرتبة الاله الأزلى والخالق ، مما كان يتلاءم مع الرمز الالهى للخصب . وقد عدت ايزيس زوجة له كما عد حورس ابنا له . وكانا يظهران أحيانا معه فى النقوش العديدة التى تركتها فى جميع العصور ، البعثات التى كانت تذهب الى وادى الحمامات بحثا عن حجر « بخن » (١) .

وفى مدينة قوص الحالية ، التى تتبع نفس المقاطعة ، ولكنها أقل أهمية ، كان يعبد حورس والهة تدعى حكمت . ومع هذا فقد كانت العبادة العظيمة الأخرى المجاورة ، عبادة ست (شكل ٢٨) . وكان الاغريق يطلقون اسم

« أصقاع تيفون » على اقليم نبت أو أمبس الذى ولد فيه ست والذى يقع بالقرب من كوم بلال الحالى • ولقد كان فى العصور البعيدة الها كغيره من الآلهة على الرغم من معاركه التى خاضها ضد حورس وكان كذلك يقوم بدور فى الأساطير الشمسية وفى حماية الملك • ثم شبه بالشر عينه وأخذ ينحى جانبا مع تزايد أهمية عبادة أوزيريس الى حد أننا لا نعرفه معرفة جيدة •



٢٨ - ست

٢٩ - صوكاريس

٣٠ - تعوت

(الأشكال ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠)

ويقص جوفنال Juvenal (١) أن فى زمنه تقاتل أهل أمبس مع أهل دندرة ، جيرانهم فى الشمال ، وأنهوا صرايحهم بالتهام لحوم البشر • ألم ينسب أعداء أشياع ست اليهم جرائم شنيعة جمعها اللاتينى الساخر دون نقد واف ؟

★★★

وبمواصلة الابحار هبوطا فى النهر ، نصل الى دندرة: تنتورس Tentyris القديمة • وهذا تعبير مصرى معناه « المنتمى للآلهة » • وقد كانت تلحق هذه الصفة فى الواقع باسم المدينة ، وهو أون ، لتمييزها عن المدينتين اللتين تحملان نفس الاسم ، هليوبوليس وهرمونثس • ولقد كانت حاضرة مقاطعة ، ظل اسمها يكتب خلال زمن طويل ، برمز

(١) Juvenal : شاعر ساخر لاتينى ولد فى اكوينم حوالى عام ٤٢ م • وتوفى حوالى عام ١٢٥ • وقد وجه سخريته المليئة قوة وحرارة ضد مساوئ روما • وقصيدته الخامسة عشرة عن مصر وفيها يعدد صنوف الآلهة من حيوان ونبات بروح مجانة عظيمة - (المترجم) •

تمساح يحمل ريشة وكانت هذه وسيلة للدلالة على أنها كانت مقدسة * وكان يقرأ «يك» أو شيء يقرب من هذا وقد عرفت أمثلة نادرة لاله تمساح تطلق عليه تسمية كهذه في أماكن أخرى ، ولشعار مقاطعة دندرة ولاسمها أيضا تاريخ شديد الغرابة يبين الى أى حد كان يمكن أن تختلط فيه المنازعات اللاهوتية والتنظيم الإدارى فى مصر القديمة * فان سبك الذى كان جزءا من تاسوع أمون فى الكرنك ، قد ظهر بهذه الصفة فى دندرة حتى عهد الأسرات الوطنية الأخيرة بينما تقص احدى العجالات التى يحتمل أن تكون قد كتبت بعد ذلك أن سبك هو ست فى دندرة وهذا يعنى أنه كان يطارد بلا شفقة فى مقاطعة أوزيرية ، ومع هذا فانه لم يحدث الا فى عهد البطالمة أن هُشمت صورته التى كانت نادرة واستبدلت بها صور آلهة أخرى * ولقد وصل الأمر الى إعادة تسمية المقاطعة « آدى » الذى استعير من اسم المعبد الذى ولدت فيه ايزيس. فى اليوم الرابع من أيام النسيء ويوجد ذلك المقدس الذى اُشار اليه استرابون ، الى الجنوب تماما من معبد حاتور *

كانت حاتور ، فى الوقت ، (شكل ٨) الهة دندرة فى كل العصور القديمة * ونحن نعلم أنها كانت تعبد فيها منذ الدولة القديمة ولقد خصص لها الملك بيبى الاول آثارا تذكارية عديدة : منها تمثال صغير لها من الحجر الجيرى الصلب كان يمثل بكساء عيد « سد » ، وتمثال آخر آثمن كثيرا منه ، لأنه من الذهب يصوره راكعا وهو يتهدأ لتقديم صورة ابنه الموسيقى « احي » للالهة * لقد كانت معبودة قديمة جدا يجدها المرء فى عهد ما قبل التاريخ ويرد ذكرها فى نصوص الأهرام * وكانت قد غدت توصف بعبارة « تلك التى تنتمى لدندرة » ويحاول الملك المتوفى أن يصل الى المنطقة السماوية التى تقطن بها * أولم يكن اسمها يعنى « مسكن - حورس » الصقر الذى يحوم فى أبعد مناطق السموات ؟ لقد كانت أيضا بقرة السماء ، المعبودة الكونية

العظيمة ، التي تلد الشمس • وعلى الرغم من غموض
الأسطورة • لأنه لا يوجد لدينا أى قصة متصلة لها ، فقد
سمحت للشمس أن تطلع ، فى ظروف أخرى ، من بين قرنيها •
وقد أعيرت هذه القصة بعد ذلك الى نايت أو الى البقرة
« مثير » ، الفيض العظيم ، وهو خلق لاهوتى خالص •
وتشهد هذه الدلائل القليلة على أنه ، منذ أقدم الوثائق
الدينية ، وجد عمل لاهوتى كان قد وصل الى تقدم عظيم •
وهو ما يدعونا الى الحذر فى أن نتصور اكتشاف علامة
عصور أكثر حداثة حين نلتقى ببعض الدقائق أو التعقيدات
اللاهوتية • بل ان الكثير من خصال الآلهة ، التي تحددها لنا ،
فى دقة ، نقوش المعبد الاغريقى - الرومانى ، ترجع الى
أقدم العصور •

فقد شبهها كتاب النواويس بالالهات الأجنبية :
« أليست » سيدة بيلوس » ، تلك الالهة « بعلات » السامية
كتلك التي تسكن سراييط الخادم ، على مقربة من مناجم
الفيروز فى شبه جزيرة سيناء و « سيدة بونت » على ساحل
الصومال القصى ؟ فضلا عن هذا ، فقد كانت على الدوام
المعبودة الكونية العظيمة المرتبطة برع • ان الأسباب التي
تربطها بالشمس كانت موضوع أسطورة أتاحت لنا المعابد
التي أقيمت فى العهد المتأخر الى جانب نص أدبى جميل
مكتوب بالديموطيقية أن نعبد تشكيلا • كان رع مازال
يعيش على الأرض ويتولى بنفسه حكم البشرية • ولكن ابنته
حاتحور - تفنوت لم تكن تقيم الى جواره فى مصر • بل كانت
تقطن صحارى النوبة الشرقية فى صورة لبوة متوحشة
ومخيفة تقذف عيناها النار وتلتهم لحم أعدائها ودمهم •
ويرغب « رع » فى أن يحضرها اليه ، وذلك دون ريب لأنها
ابنته ولأنه يحبها وكذلك ليجعلها حامية له وقد كان عليما
بقدرتها • ويعهد بمهمة حملها على العودة الى الالهين « شو
وتحوت » • وكان أولهما ، بصفة خاصة ، مخلصا لرع وكان
يعب أخته تفنوت التي كان يجب أن تصبح زوجته •

وكان تحوت سيد كل سحر وكل كلمة مؤثرة ، قادرا على تهدئة غضب الالهة واستئناسها . ولقد أخذ الاثنان سبيلهما الى قطر بوجم (١) البعيد حيث تقيم وتحولا الى فردين للوصول اليه . وكان أحد مواضيع حديثهما الكمال الذي بلغته مصر ، بلد رغ والنيل الذي يجتازها والحقول المزروعة يانعة الخضرة والقرى والمدائن التي تجعل منها بلدا منظما . واذا قدمت اليها ، فستشيد لها المعابد وستقدم لها كل يوم الغزلان والطيائل والطيوس التي تعودت عليها . وسيضاف اليها النبيذ الذي يجلب النشوة ويطرد وساوس القلب . ولن تنقطع الموسيقى والأناشيد وأنواع الرقص في ساحات أبوابها . ويرفق تحوت الحركة بالقول ويقدم لها اناء النبيذ للمرة الأولى ويضيف اليه الصيغ السحرية .

ولم يكن في استطاعة الالهة مقاومة مغريات الرسولين الالهيين ، المتضافرة . ويتألف موكب بهيج : من قروود وأقزام غريبة مضحكة ، ويصحبه بس وحيتى وهما يعزفان على القيثارة والعود . - ويصير شو نفسه موسيقيا ولا يكف تحوت عن أن يصف في الفاظ ساحرة « البلد - المحبوبة » التي يتجهون اليها . وفي البداية يصلون الى فيلة حيث تقوم باستقبال الالهة التي عادت راضية ، سيدات توجن رءوسهن بالأزهار وأذن يحتفلن بمقدمها على صوت المصلصات والطبول وهن يغنين ويرقصن ، وقد انضم اليهن كهنة يعزفون القيثارة ويحملون على ظهورهم غزلانا ويقدمون أواني النبيذ وباقات الأزهار والمر وتيجان الورد . وتصبح اللبوة المتوحشة حقا وقد طهرها الماء المقدس الهة الحب : محيا.

(١) قطر بوجم أو بوكم - اختلف علماء الآثار في موقعه فذكر أحدهم (بروجش) أنه يوجد الى الشرق من مدينة الكاب ، بين النيل والبحر الأحمر ويقرر يونكر أنه في جهة أبعد كثيرا الى الجنوب أما سكاپرلى Schiaparelli فيقول أنه يوجد في السودان ، إقليم بورت . ويضيف (جوتيه) الى هذا أنه يذكر مرارا عديدة مرتبطا مع بونت وبلاد الالهة (بلاد العرب) - (المترجم) .

جميل ، شعر تنتظمه عقائص عظيمة وعينان تلمعان
وصدر نافر .

ثم تستمر الرحلة وتستقبلها أذرع مبسوطة فى كوم امبو
وادفو واسنا وعلى الاخص فى دندرة ، مدينتها : وهى « مقر
القلب » و « أمكنة تفنوت » و « الموضع الذى تحبه تمنوت »
الذى قال عنه تحوت : « ان البهجة تسوده وفيه يقدم لها
النبيذ ، دون انقطاع ، قبل اية الهة أخرى » ولقد تبتها رح
فى جبينه مثل الحية يوراييس (١) لتدافع عنه . وقد غدت
آلهة الحب ، مع احتفاظها الدائم بالجانب العنيف فى
شخصيتها وهو الذى جعل منها اللبوة المتعطشة للدم . انها
تمثل « باستت » الوادعة تماما ولكنها فى لحظة يمكن أن
تتحول الى « سخمت » الرهيبة التى يتبعها ركب الكوارث .
وقد عبرت الأسطورة عن طبيعة الحب المزدوجة ، الخالقة
والمدمرة على التناوب بطريقة رائعة فى هذه المظاهر
التكميلية للالهة التى تحاول الأسطورة شرحها . ولقد امتدت
عبادتها الى كل المدائن التى استقبلتها فى مثل تلك البهجة
والتي كانت تقيم الاحتفال بعيد « لقد أعيدت » .

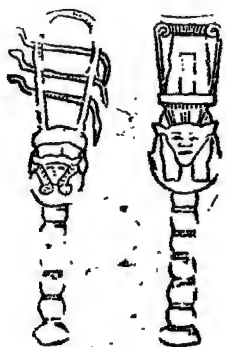
ثم أصبحت الهة الحب ، الى حد جعل الاغريق يطلقون
عليها افروديت - وهو الاسم الذى يشار اليها به فى النقش
الاغريقى المحفور على دائرة الكورنيش فى واجهة معبدها
العظيم . ألم تكن « الجميلة » و « سيدة الحب والبهجة ؟ »
وقد أطلق عليها فى نوع من الأوراد ، سيدة الموسيقى ،
سيدة أغنية الجوقة ، سيدة المديح ، سيدة الفرح (دور)
سيدة رقص الباليه وسيدة الطرب . ومعلمة الرقص . وقد
كانت أيضا سيدة النشوة التى يشمل المرء من أجلها ، ومن
الجلي أن هذه كانت وسيلة للاتصال بها ، وبالإضافة الى ذلك
كان يحتفل لأجلها بعيد النشوة المهيب ، طوال خمسة أيام
فى شهر توت أول شهور السنة المصرية .

(١) الصيغة اليونانية للفظ icyt الذى يقابل عرتن فى اللغة العربية وهى نحية

عظيمة ، تاكل الحيات كما جاء فى المراجع العربية - (المترجم) .

وكان أحد الأشياء الأساسية المقدسة التي تصاحبها دون انقطاع في دندرة آنية النبيذ ولكن كان يوجد أيضا التاج والساعة المائية والمصلصلتان (شكل ٣١ و ٣٢) ، وأوانى اللبن ورمز معقد كان يعبر عن قدرة الالهة الكونية ، وهيكل الميلاد والصرح ، وأخيرا العقد « منات » الذى كان يرمز كذلك للحياة . وكانت تتمثل ، فضلا عن هذا ، فى « منات » والمصلصلات وكانت هى التى تستقبل الكهنة وتقوم باعدادهم للبهجة الضرورية للدنو منها فى الأعمدة المصلصلة ، فى بهو الأعمدة . وكانت تمثل فى قمته رأس حاتحور عينها .

ومن الشعر المستعار الثقيل ، كانت تبرز آذنا بقرة ، ذكرى الشكل الحيوانى الذى كانت تضيفه عليها الأسطورة القديمة . وفوق الوجه المتألق كانت تستوى المصلصلة « سشات » (شكل ٣٢) التى كانت تبعد الحزن والألم بأقل حفيف . ومن هذه الآلة التى كان يمكن أن تكون الالهة عينها ، توجد نماذج قديمة جدا .



شكل ٣١ و ٣٢ - المصلصلة - سخم والمصلصلة سشات فى دندرة

ولكن بما أن أفروديت الاغريقية كان يمكن أن تكون أيضا الهة كونية ذات جاذبية شاملة والهة خالقة ، فان حاتحور حافظت من البقرة السماوية ، التى كانت فى البدايات الأولى ، على قدرتها الأزلية . لقد كانت خالقة ،

ليس فقط لأنها كانت تجعل النبات ينمو، بدلا عن ارمونس،
آلهة الجيصاد، ولكن لأنهم جعلوا منها بسبب اسم «الأم»
(تمت) الشطر الانثوى المقابل لأتوم (تم)، الخالق،
ولأن جوفها يحوى مكان الحمل الأبدى لشمس الليل التى
كانت تعود وتولد، صغيرة وجديدة، كل صباح، لقد كانت
فريدة، وقامت يخلق كل الكائنات وعلى الأخص الآلهة
والبشر، ولهذا لا يدهش المرء عندما يجدها الهة - شمسية
مجادلة أثنية لرع.

وهى تشبه ايزيس، التى تسود معها فى دندرة، حتى
انها فى أكثر من نقش تستعير من ايزيس عبادة.
كان من العادة ان تجيء فى النصوص خاصة بزوجة
أوزيريس: لقد جاءت للوجود فى «أبدى» فى نهار ليلة
«الطفل فى مهده» وكان لها كإيزيس عديد من الأسماء.
وكذلك، أعطيت لها فى الاعتبار العليا ليهو الأعمدة فى معبد
ادفو، السيادة على ثلاثمائة وستين بلدة فى مصر، ومنه
عهد الامبراطورية الحديثة، أدمج الاعتقاد الشعبى بسبع
الهات حاتحور سبع جنيات فاعلات خير، كان يظن انها تحدد
مصير الأطفال عند مولدهم. ولقد عينت لها مدائن فى مصر
عرفت بالعبادة التى كانت تقدمها للآلهة، ولكن فى داخل
هاكل الميلاد، حيث يجدها المرء مرارا عديدة، لا تتطابق
القوائم مما يدعو الى الظن بأنها آراء جاءت فى حقبة
متأخرة. ويشهد انتشار هذه العبادة على ما كانت تستحوذ
عليه «ذهب الآلهة» من تقدير. وعندما نجدها فى
«القوصية» أو فى «هيراكليوبوليس» فاننا لا نجد
لاهوتها، كما أن الخصائص المحلية التى تتصل بعبادتها
تظل فى معظم الأحيان غير معروفة لنا.

لقد كون لها فى دندرة منذ القدم ثالثوث مع حورس
يوصفه زوجها و «أحى» بوصفه ابنا. وكان لحورس معبد
صغير بالقرب من معبد الهة المكان. وقد خصص «أحى» بناء

ذو أبيباد أعظم فى أقصى الطرف الشرقى للمدينة القديمة -
ولم يتبق منه الا باب خارجى هائل الحجم - وفى « خادت »
وفى الجانب الآخر من النيل ، كان يعبد حورس - جامع
شمل - القطر المزدوج ، جرسما توى الذى كان يقوم بدير
عظيم فى دندرة والذى كانت تقوم حاتحور أحيانا -
بزيارته .

وإذا كنا قد تحدثنا الآن فى ايجاز حتى هريوبولس ،
فليس مرجع هذا الى أن عبادات أو ديانات مقاطعات مصر
العليا من المقاطعة السابعة الى المقاطعة الخامسة عشرة أقل
تشويقا - بل ان السبب الوحيد لذلك هو فقر وثائقنا
باستثناء الاله «مين» الذى صادفناه فى قفط ، و «أوزيريس»
الذى نحفظ به للدلتا .

وبالقرب من مدينة « هو » التى كان يطلق عليها قديما
ديوسبولس بارفا ، كانت تعبد فى باطيو الالهة باط التى
كان يرمز اليها فى العصور البدائية برأس آدمى تبرز منه
أذنا بقرة يعلوهما قرنان يلتوى طرفاهما للداخل (شكل
٣٣) - ولما كانت شخصية باط قد طغت عليها شخصية
جارتها القوية حاتحور فقد حول هذا الرمز ، فى الدولة
الوسطى ، الى المصلصلة سشات (شكل ٣٢) - ومن المؤكد
أن الها باسم سبك كان يعبد أيضا فى نفس المكان - ولكن
ليس من المعروف أنه كانت توجد أية رابطة بينه وبين
الالهة -

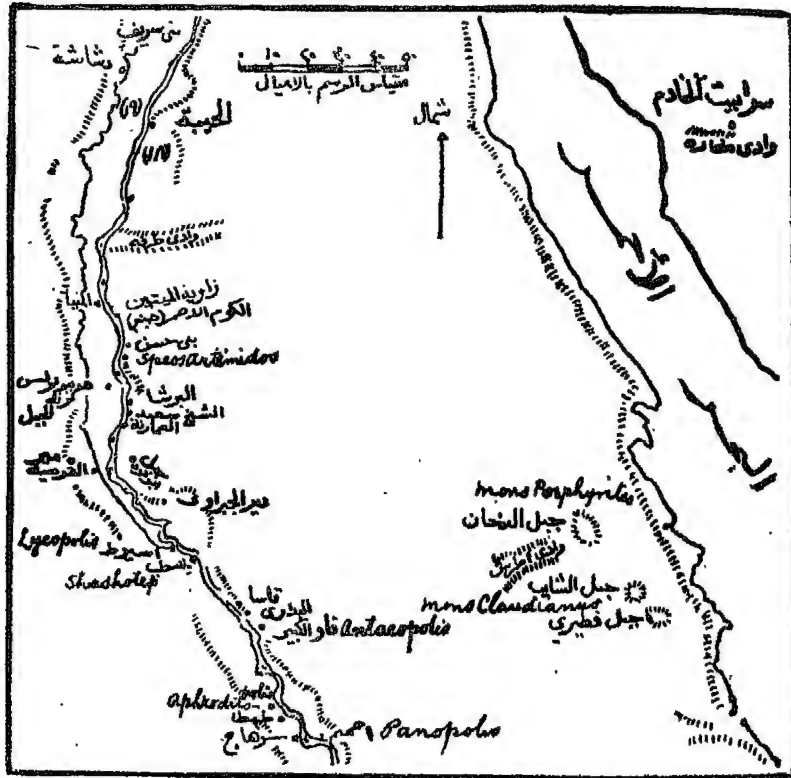


شكل ٣٣ - رمز الالهة باط

وعلى مسافة أبعد إلى الشمال ، اجتذبت مدينة أبيدوس إليها شيئاً فشيئاً كل انتباه . ومع هذا ، فإن أهم دور كان يلعب في القدم هو الذي كانت تلعبه مدينة « ثيس » (طينة) التي أعطت اسمها إلى أول أسرتين مصريتين . وكان إله الذي يعبد فيها « أنورس » (شكل ٢٠) الذي يضع على رأسه ريشاً ويحمل الرمح . وقد أتاح اسمه للمصريين الذي فسروه بأنه : « ذاك - الذي - يحضر - من تكون - بعيدة » بأن يلحقوه بأسطورة عين حورس ، التي انتزعت من صاحبها والتي دعت الحال إلى البحث عنها . كما أنهم شبهوه تشبيهاً آخر ارتفع به إلى مرتبة الآلهة التي اشتركت في البحث عن عين رع ، وهي الآلهة القصية « حاتحور - تفتوت » . ولم يكن أنورس حينذاك إلا أحد أشكال « شو » . ولكن هذه التطورات التي ترجع إلى زمن متأخر ، على نحو ما ، لا يجب أن تلقى في مدرجة النسيان الإله القديم الذي كان له شأن عظيم في الدولتين القديمة والوسطى بما أن كثيراً من الناس كانوا يحملون اسمه ، لقد كان محارباً قام بحماية رع من دسائس التين أبوفيس واتخذ جانب حورس في صراعه مع ست . وفي الأسرة الثامنة عشرة غدا لها كونيًا ، أزليا وخالقا . واتخذ شريكة له الآلهة « محيت » التي نجدها تتجسد في لبوة مما دعا إلى تمثيلها « بتفتوت » .

ولكن عندما حل أوزيريس (شكل ٢١) محل الإله « خنتي امنتيو » (ذاك الذي - يرأس - سكان الغرب) الذي يرجع إلى زمن سحيق القدم ، كاله جنازي في أبيدوس فإن شهرته طغت ، شيئاً فشيئاً على جميع معبودات المقاطعة ، الأخرى . لقد كان لكل ملك من ملوك الأسرتين الأوليين فيما يبدو ، ضريحان : واحد في سقارة والآخر في أبيدوس على سفح المرتفعات الليبية ، في مكان يطلق عليه اليوم « أم العقاب » . وكان من المعتقد منذ حفائر « اميلينو » Amélineau أن المصريين ظنوا أن قبر الهم أوزيريس يقع

فى ذلك المكان • ولكن يكاد يكون من المؤكد أن القبر ظل الى عهد متأخر جدا قائما فى معبد الاله على حافة الأرض المزروعة • ولقد دأبوا على احضار المومياوات فى رحلة حج الى المدينة المقدسة واقامة أضرحة فيها أو على الأقل أنصاب جنازية ، لوضعها تحت حماية اله كان ييسر المرور صوب العالم الآخر • ومنذ عهد الدولة الوسطى ، فى معبد أوزيريس العظيم كان يحتفل فى كل عام بشعائر الاله المحجوبة • وكان الكهنة يقومون بتنظيم تمثيل حياة وموت وبعث أوزيريس فى نوع من المسرحيات وكان أهم أشخاص الحاشية ، يؤدون - بتكليف من الملك - الأدوار التى تبلغ أعظم درجة من الأهمية وعلى الأخص دور خورس • ولقد عمد أكثر من فرعون مثل رمسيس الأول وسيتى الأول ورمسيس الثانى الى تشييد معابد جنازية فى ذلك المكان •



مصر الوسطى والمصغراء الشرقية (الشمالية) (H. Kees : An. En.)

بقى أعظمها جمالا - حتى اليوم فى حالة من الصون عجيبة ،
وهو معبد سيتى الأول الذى الحق به معبد « الأوزيرىون »
Osirion (١) . وكان المعبد الكبير يشتمل على سبعة
مقادس ، خصصت للملك نفسه ثم لبيتاح (شكل ٢٣)
وحوراختى (شكل ٦) وآمون (شكل ١) وأوزيرس
وايزيس وحورس .

ولما كان الموطن الأصلى لأوزيريس وإيزيس ، على وجه
اليقين ، هو الدلتا ، فاننا سنعود اليهما فى المدينتين اللتين
تمثلان موطنهما الأصلى .

وفى أخميم الحالية التى كان الاغريق يطلقون عليها
« بانوبولس » (٢) ، كان الاله « مين » يسود منذ أبعاد
العصور القديمة . وانا لنجد هنا نفس الخصائص التى
تميزه فى قفط . ولكن الاغريق جعلوه أيضا معادلا لالههم
« برسى » Persée أولا لسبب تشابه لفظى بين اسمه ونعت
« الساهر » (فورسيوس) الذى كان المصريون يصفونه به ،
ثم دون شك بسبب المصدر الشرقى لأسطورة « برسى »
واندروميد Andromède (٣) اللذين يمثلان ، كما يبدو ، بعل
وعشتار . وكانت « عبرت - ازييس » Aperet-Isis قرينة لاله
الخصب .

(١) يقع قبر أوزيرس (الأوزيرىون) على بعد ثمانية أمتار الى الغرب من الحائط
الخلفى للمعبد العظيم وعلى محوره على التقريب . وقد كشف عنه عام ١٩٠٣ .

وكان فى الواقع معبدا جنازيا رمزيا لسيتى الاول اقامة سيتى واتجزه مرتباج ونقشت
فيه نصوص جنازية من كتاب الموتى . وكانت تؤدى فيه - فى مياه حوض تحت سطح
الأرض - الشعائر الخفية التى تمثل مسيرة أوزيريس مع الشمس فى العالم السفلى ليلا .
(المترجم)

(٢) أى مدينة الاله بان المعادل لمين .

(٣) أسطورة برسى واندروميد .

قيل فى الأساطير ان الالهة أرسلت برسى Persée لقطع رأس الميدوزة Méduse
شر الأخوات الثلاث جورجون Gorgone اللواتى خربن الحقول والقين الرعب فى الناس .
وجاء فى أسطورة ان قيامه بالمهمة كان اعترافا بجميل بوليديكت Polydecte =

وكان يطلق عليها ، على وجه عام ، اسم طريفس Triphis (١) الذى يدل على تمثال سيدة ذات مكانة ، وكان لها أيضا معبد على الشاطئ الأيسر للنهر لا يبعد كثيراً عن الدير الأبيض ذائع الصيت . وفي عصر الملوك المقدونيين ، ألحق بهما الطفل - كولنيكس Kolanthès-l'enfant ليتألف من الثلاثة ثالث .

وعلى الشاطئ الأيمن ، تمثل قرية « قاو الكبير » المدينة القديمة تبو (كبو) Tejébou (٢) التى سماها الاغريق انتيوبولس . ولقد دعا تشابه بين اسم المعبودة واسم المارد انتيه Antée ، فى الواقع ، الى تماثلهما .

= ملك جزيرة سريف Séríphe الذى آواه هو وأمه دانائ Danae بعد أن ألقي أكريز Acrise ملك أرجوس بهما فى اليم خشية من تحقق نبوءة مهبط الوحى من أن حفيده سيقضى عليه وعلى عرشه . وكان عليه أن يذهب الى أقاصى العالم وتمكن بمعاونة الآلهة وبالحيلة من قطع رأس الميدوزة وقدمها لمينرفا ، التى تحمل صورتها منذ ذلك الحين على ترسها . ويعد هذا النجاح الرائع وصل الى بلاد الشرق يلتمس فترة من الراحة فى مملكة اثيوبيا . وقد أنقذ اندروميد Andromède ابنة ملكة اثيوبيا الجميلة إذ أن نبتون اله البحر كان قد حكم يرباطها بسلاسل من حديد فوق صخرة أقيمت على أمواج صاخبة لكى يذل كبرياءها - (المترجم) .

(١) كان يعبد فى بانوبولس [مدينة الاله بان (من) - اخميم] الالهة طريفس قرينة بان واسمها هو الصيغة الاغريقية للالهة عبرت - ازيس . وقيل انه فيما يبدو كان اسمها البدائى عبرت ويجب عدم الخلط بينها وبين ايزيس لأنهما ذكرا على حدة فى كثير من المواضع . وغطاء الرأس الذى تتميز به هو قرص الشمس وقرنا بقرة وهو ما يجعل منها صيغة محلية لحاتحور (جوتي) .

(٢) كتب اسمها باللغة المصرية وجاء فى اللغة القبطية TKWOY و TKOoy يقول جاردنر : فى بداية القرن التاسع عشر كانت تمثل قرية قاو الكبير الواقعة على الضفة النيل اليمنى التى تضم معبدا جميلا يرجع الى عهد البطالة . وقد حملت أحجار المعبد الى مدينة أسيوط لبناء قصر وأجتاح النيل القرية وحل محلها على حافة الصحراء قرية العثمانية الحالية . ويؤيد القول أن تيبو وقاو الكبير وانتيوبولس أسماء مترادفة أن الاله عنتوى الذى يقابل Antaeus وجد اسمه على كثير من الآثار التى عثر عليها فى الموقع ونعت فى بعضها بسيد تيبو . وكان يظن أن عنتوى هو احدى صور ست - تيفون وفى لوح فى متحف شيكاغو جاءت عبارة ست المظفر سيد تيبو . وعلى هذا تعرف الاغريق عنتوى فى الاله Antaeus الذى تصوره ماردا ليبيا ذبحه هرقل لمجرد تشابه لفظي ولذا فان وصف عنتوى بست - تيفون يبين تشابها بين الاسطورتين : المصرية والاغريقية - (المترجم) .

وفى تلك المدينة ، كان المصريون يقدمون نوعا من العبادة الى طائرين من الخواصر هما عنتوى Antywey وكانا صغيرين يمثلان حورس وست وقد عقد الصلح بينهما . ولكن يلاحظ أن قرينة الاله الناجم عن هذا الامتزاج كانت نفتس . وعلى هذا فقد كان ست . (شكل ٢٨) ، أساسا ، هو اله تبو (كبو) Tjebou الرهيب . ولذا ، لم يكن تشابه انتيه Antée المارد الليبى الذى هزمه هرقل مع ست تشابها لفظيا خالصا . وفى أمكنة ، لا ريب قريية ، كان يقدم التكريم لستيك وحاجوز .

وكان ست كذلك هو الذى يسود فى « شاس - حتب » وهى هوبسلس عند الاغريق وشطب الحالية . ولكن يدور فى خلد المرء أن ذلك الشخص الممقوت كان دون انقطاع هدفا لمطاردات أتباع أوزيريس ، الذين كان يتزايد عددهم فى اطراد واتخذت العدة لوضعه فى الظل واحلال غيره من الآلهة تحت الأضواء وكانوا دون ريب أقل قدما . وهنا ، قدر لخنوم أن يبلغ الذروة شيئا فشيئا .

وفى المنطقة التى تقع جنوبى أسيوط ، كانت توجد حاتحور فى مجد medijed (١) وانتى nty ، أحد مدلولات ست فى بيانتى piānty . وكانت تصاحبه الهة ، لبوة ، هى ماتت matyt .

ان مدينة أسيوط التى احتفظت بما كان لها من اسم وأهمية فى العصور العتيقة ، كان يطلق عليها الاغريق اسم لوكوبولس . وفى الواقع ، كانت قد اتخذت بدل الذئب ، ابن آوى أو هجينا بين ابن آوى والكلب المستأنس الذى كان يمثل الاله أوفويس (دب واوات) ، فاتح الطرق . ان صورته توجد على الدوام فوق اللافتات الحامية التى تسبق بصفة اجبارية الاله والملك . ولكن علم لاهوته يكاد يكون

(١) درنكة .

غير معروف لنا ، مع أن صورته توجد في لوح الملك نغممر ،
ذائع الصيت •

وفي القوصية ، على بعد يقرب من خمسين كيلومترا
في اتجاه انحدار النهر كانت تعبد على الدوام كالحال في
دندرة ، الهة باسم حاتحور (شكل ٨) ، وكانت معبودة ألـهية
وخالقة • وأحيانا كان يعد زوجا لها الاله « آوخ » Oukh
الذى يرجع الى زمن بعيد القدم ، والذى كان يظهر في أسماء
الأعلام التى توجد فى ذلك المكان • وكان رمز (شكل ٣٤)
يتألف من ساق عود من البردى ينهض منه صلان تظهر
فوقهما ريشة نعامة ، مزدوجة •



(شكل ٣٤) رمز الاله اوخ

وبهذا نصل الى موطن تحوت ، مدينة الأشمونين عريضة
الشهرة ، ومعنى اسمها جماعة الثمانية Ogdoade (١) إشارة
الى جماعة الثمانية « آلهة الأوائل الذين تعاونوا مع تحوت
فى خلق العالم • وكان الاغريق الذين رأوا فيه الهمم هرمز
يطلقون عليها اسم هرموبوليس • وقد أضيف اليه وصف
«العظمى» ؛ لتمييزها عن المدينة التى تحمل نفس الاسم فى
الدلتا • وبما أنها كانت تقع فى منطقة تكون فيها الأرض
القابلة للزراعة أعظم اتساعا من أية رقعة أخرى فى الوادى ،
فان المدينة كانت عاصمة الثراء والأهمية • ولقد أبرزت
الحفائر عناصر معبد يرجع الى عصر الامبراطورية الحديثة •

(١) Ogdoade ترجمة لاسمها فى اللغة المصرية خمن ويقابل فى اللغة العربية ثمانية

(=) - (المترجم) •

ولوى الجبانة ، بخلاف أطلال معبد آخر يقع فى عرض الصحراء ، توجد الدهاليز المسيحية التى كانت تدفن فيها طيور ابى منجل المقدس وحى القبور التى كانت تهاى للناس . كان يقوم هناك قبر « بت أوزيريس » الذى يمتاز بما يوجد فيه من محاولات للمزج بين الطراز المصرى والطراز الاغريقى ، وكذلك بما بقى فيه من نصوص ذات طابع روحى عميق .

ومع هذا ، فقد ذهب التصور الى ان تحوت (شكل ٣٠) كان فى البداية غريباً عن هرموبوليس ، التى كانت تعبد فى المدمم اليها يدعى حجور Hedjour (١) وكان حيوانه المقدس فرداً . ان هذا ليس الا مجرد افتراض . ولقد كانت تعرف الالهة قديمة اتخذت أماكنها فى الجهات المجاورة وليس بالبحرى فى هرموبوليس عينها : وعلى الأخص الالهة - أرنبة او ثعبان هى « أونوت » . ومن الناحية التاريخية ، فقد ساد تحوت فى الاشمونين منذ أقدم عهد فى طاقتنا أن نرجعه اليه حتى لو أن موطنه الأصيل كان غربى الدلتا . وقد أوقفت عليه كثرة من الحيوانات مثل أبى منجل (ايبس) والقرد . وفى عصر الامبراطورية الحديثة ، كان يطيب للقوم أن يمثلوا الكتاب الملهمين بقرد وضع الى الخلف منهم ، فوق أكتافهم . وكان يبدو أنه على اتصال بالقمر منذ البداية ، وتقدمه احدى صفحات مغامراته الأسطورية وهو يقوم بالبحث عن عين القمر التى توارت ، وقد عثر عليها فى مكان بعيد وأحضرها . وفى المظهر الكونى للمعركة التى وقعت بين حورس وست « يملأ » عين حورس التى جرحها اله الشر ويشفيها بلعابه . ان المناظر الفلكية المتأخرة تربطه بوجوه القمر . ولعله يدين بصفته كحاسب للمواقيت لارتباطه بذلك الكوكب فهو الذى يقوم بنقش

(١) اسمه حج ور وترجع مصادرنا عنه الى المهدين الصاوى والاغريقى وله شكل قرد - (المترجم) .

أعوام الملك ، خلال الأعياد الملكية المهيبة ، على ساق نخلة.
انتزعت غصونها • وأفضل من هذا ، أنه يكتب على فاكهة
شجرة اللبخ (البرساء) (١) المقدسة اسم الملك الذي يجب
أن يصبح وفقاً لهذا يانع الخضرة الى الأبد • ولقد اخترع
الكتابة كذلك • ويذهب الظن الى أنه كان يقرأ قصة حورس
وست بما أنه كان الوحيد بين الآلهة الذي يعرف الكتابة •
وكان المرء يجد للبحث عنه لقراءة رسالة أو لختتم مرسوم
للالة رع • انه « كاتب التاسوع الالهى ، ذو الأنامل
الماهرة » •

ان تلك المعرفة بالكتابة تضيف عليه قدرات رهيبة •
انه ساحر وكان يعتبر في عهد متأخر أنه وضع صيغا تمنح
أولئك الذين يتلوننها بصوت مرتفع قدرات خارقة للعادة •
ان قصة « ستون خامواس » بأجمعها تدور حول حيازة كتاب ،
كان تحوت هو الذي كتبه بيده :

« الصيغتان المكتوبتان فيه ، اذا تلوت الاولى ، فانك
ستسحر السماء والأرض وعالم الليل والجبال والأمواه •
انك ستفهم ما تقوله أطيوار السماء والزواحف ، كلها كائنة
ما كانت • واذا قرأت الصيغة الثانية ، لو أنك كنت في
القبر ، فانك تستعيد الشكل الذى كان لك على الأرض
وكذلك سترى الشمس تطلع فى السماء مع لفيف آلهتها ،
والقمر فى الشكل الذى كان له عندما ظهر » (ترجمة
ماسبيرو) •

(١) اسمه العلمى Memusopa Schimperi H. لبخ - فرساء - برساء عن معجم
الحيوان للدكتور أحمد عيسى •

« قال أبو حنيفة الدينورى : هى شجر عظام مثل الدلب وله ثمر أخضر يشبه التمر
حلو جدا الا انه كرهه ، جيد لوجع الأضراس واذا قشر أزعف قاشره » • قال المقرئ عن
مصر : وبها اللبخ وهو ثمر قدر اللوز الأخضر كان من محاسن مصر الا انه اقتطع قبل
سنة ٧٠٠ هجرية • وقال Delile ان أبحاث De Sacy نشر أن اللبخ الذى أطلق اسمه على
جملة أشجار أخرى انما هو الهجليج والهالج فى بلاد النوبة وبلا العرب •

وكذلك يرأس تحوت « بيت الحياة » المركز الذى نعرفه
 حق المعرفة فى الامبراطورية الحديثة الذى كانت تصنف
 فيه وتدرس وتنسخ جميع الأعمال اللازمة للحفاظ على
 الحياة ومضاعفتها : وهى الطب بالنسبة للرجال ، والعبادة
 بالنسبة للآلهة * ثم هى بالنسبة لهؤلاء وأولئك صنع التماثيل
 التى تكون بديلة عن جسومهم وفقا للنسب وللمناهج التى
 حددها تحوت نفسه ، فى جميع الحقب العتيقة * وكان هو
 أيضا الذى خلق اللغات التى تعبر بها الشعوب الأخرى عن
 ذوات نفوسها وفن اجادة الوصف واجادة الكتابة وهو الفن
 الضرورى للاقناع ، ولهذا كان الكتاب يدعونه بهذه التعابير
 المؤثرة :

يا تحوت ، ضعنى فى هرم بوليس

مدينتك التى يحلو فيها العيش !

أعطينى ما يلزمنى من الخبز والجمعة

واحفظ قمى من الألفاظ

هل يمكن أن يكون تحوت خلفى فى الصباح :

احضرى أيتها الكلمة الالهية

عندما أدخل أمام الاله سيدى

حتى أكون صادق القول (٠٠٠)

انت يا من تجلب الماء الى المكان القاصى *

أقدم وأنقذنى أنا الصامت

يا تحوت ، أيها النبع العذب للانسان الذى أصابه

العطش فى الصحراء

انه مغلق لذاك الذى يجد ألفاظه

ولكنه مفتوح للصامت

عند حضور الصامت ، يجد النبع (٠٠٠٠)

ان هذا الدعاء الذى أعيد نسخه فى أحد كتيبات
البلادة التى ترجع للأسرة التاسعة عشرة ، ينبىء سلفا عن
روحانية بت أوزيريس السامية .

وكان القمر ، البدين الليلي للشمس ، هو الذى حدا الى
أن يعد تحوت ملحقا ، على وجه ما ، لرع . لقد رفع الى
رتبة الخالق . واذا صدقنا القول ، فانه كان فى هرموبوليس ،
منذ زمن مديد ، لفيف يتألف من ثمانية آلهة - ربما كانت
مستقلة عن تحوت فى الأصل - قام فى مولد العالم بدور
جوهري . وبما أن تحوت لم يكن يظهر فيه الا قليلا ، فقد
ظن أن هذه الآلهة كانت سابقة له . لقد كانت ، فضلا عن
هذا ، شخصيات لاهوتية ولم تكن آلهة محلية بتاتا ، وكانت
تجمعها ثنائية من ذكر وأنتى . وكان يطلق عليها نون
ونونت ، المحيط الأول ، وح ححت ، الفراغ الذى لا نهاية
له ، وككو وككت ، الظلمات وآمون وامونت الذى لا يمكن
تعريفه . ولقد كانت تصور برءوس ضفادع وثعابين تشير
ذكرى الحياة الصاخبة ولم تفرق تماما عن المستنقعات حيث
تبدأ الأرض فى الظهور . وقد أوجدت الشمس دون أصل
ظاهر وأعدت لها التل الأزل لتستوى عليه ، لقد نسبوا
مولدها الى زهرة لوتس (١) بدائية كانت جماعة الثمانية
قد أخصبتها ، ولكننا نجد أحيانا أنها قد خلقت بيضة
خرجت ، منها الشمس . وان تراكب الأسطورتين هنا ملء
بالإيحاء ويبين تماما كيف أن المفكرين ، فى نهاية تطور
طويل ، وضعوا الحقيقة وراء الصور التى كانت تسمح ،
دون سواها ، برؤيتها .

ولما كانت هذه النظريات عميقة الجذور فى هرموبوليس ،
فقد وجدت توضيحا لها فى أماكن إقليمها المقدسة ، حيث

(١) اسمه العلمى Nymphaea Caerulea Savigny للنوع الأزرق Nymphaea
Lotus Hook. للتون الأبيض - ويطلق عليه - العروس - - اللوتس - البشنيين - الجلجلان
المصرى النور .

يوجد « غدير السكين » و « جزيرة اللهب » و « التل الأزلى »
و « البيضة المقدسة » المدفونة بالقرب من « الغدير العظيم »
الذى عمل على أن يعزل من جديد « بت أوزيريس » بعد
الاضطرابات التى حدث فى خلالها تدنيس ذلك المكان
المقدس . وقد جعل علماء اللاهوت من تحوت - لكى يتاح له
التدخل - جزءاً لا يتجزأ من الآلهة العظام الخالقة ، التى لم
يكن لفيف الآلهة الثمانية الا مظهرها لها . من أجل ذلك ،
اطلقوا عليه فى العصر الرومانى طائفة من الصور التى
لا يمكن التوفيق بينها فقالوا انه : قلب رع ولسان تاتنن
وحنجرة ذاك الذى اسمه سر خفى . وهذا يعنى أنه تصور
العالم كما تصوره رع واستدعاه للوجود بالكلمة ، كما
استدعاه بتاح ، وبالنظام المحدد ، كأمون . وقد أخذ يتعاون
- بوصفه الحاسب الدقيق ذا الكلمة النافذة والذكاء
الدقيق - مع ماعت لجعل العالم يودى مهمته فى دقة مع
الحفاظ على العلاقات التى تقوم بين الأشياء . وعلى هذا ،
فقد كانت تتوقف عليه القوانين والعدالة والملك والضرائب
وكذلك سير العالم مكان الآلهة المحدد داخل الكون المنتظم ،
ولقد قدم وزير لامنوفيس (امن حتب) الثالث فى ذروة
عهد الامبراطورية الدعاء له فى هذه العبارات :

التحية لك ،

سيد الألفاظ الالهية ،

يا من ترأس الشعائر المحجوبة

وتستقر فى السماء وعلى الأرض .

الاله العظيم منذ الأزل

ذو الأصالة ،

مخترع اللفظ والكتابة ،

يا من تعمل على تزايد الدور

وتؤسس المساكن ،
يا من تحيط الآلهة علما بدورها ،
وكل فن بقواعده
والأقطار بحدودها
وكذلك الحقول •

كان تحوت يوازي عند الإغريق الههم « هرمز » ، وقد ترجموا له وصفا مصريا يعنى « على الدوام عظيم جدا » وسموه تريسمجستر « ثلاث مرات عظيم جدا » • ولقد وصلت إلينا باسمه مجموعة كاملة من البحوث الفلسفية يطلق عليها « الهرمزية » hermétiques (١) مكتوبة بالآغريقية ومصطبغة بصبغة من الأفلاطونية الحديثة • وان تضمنت قدرا هاما من الآراء المصرية القديمة ، الى حد دفع البعض الى أن يروا فيها ترجمة خالصة وبسيطة لكتب فلسفية مصرية تحدث عنها كليمنت الاسكندري ، خلال حديثه عن المعارف التي يجب أن يلم بها الكهنة • وكان لتحوت أيضا ، زوجة • ولما كانت تحمل اسما لاهوتيا هو « نحتت تاوى » حامية الأرضين (جاكيه) فقد عدوها ابداعا متأخرا ، ومع هذا فقد كانت تعبد فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، فى المقاطعة ولكن بين معبودات أخرى الى جانب « نحب كاو » التى لا يقل اسمها زيفا عن اسمها هى والذى نقرؤه مكتوبا فى نصوص الأهرام • وقد كان من اللازم تشبيهها بعاتحور فقد كانوا يضعون لها غطاء رأس يطابق « صرح » المصلصلة - « سشات » الذى تبرز منه فى معظم الأحوال سيقان نبات البردى • ونجدها فى قبر جانينى فى طيبة أحيانا فى حضرة تحوت كمضيفة فى الأشمونين وأحيانا أخرى قريبة من شبس اله نفس المدينة • ولعلها كانت قد أصبحت رفيقة تحوت •

(١) منسوبة الى هرمز (تحوت) •

وكان يقدم التكريم لعدد وفير من الآلهة الأخرى فى
هرموبوليس الى جوار تحوت وحاشيته الالهية . وكان شبس
الذى يحمل اسمه معنى « جليل » فى اللغة المصرية ، يقطن
بها . ولم يكن سيدها ولكن كان يقيم فيها . ويجده المرء
مرسوما حتى نهاية أقاصى النوبة . ومع هذا فان النقوش
عن موضوعه ضئيلة . وقد سمى برع مرة فى وادى الملكات
وكثيرا ما كان يصور بقرص فوق رأسه . فهل يجب أن نرى
فيه الشمس التى خلقتها جماعة الآلهة الثمانية فى الأزمنة
الأزلية ؟

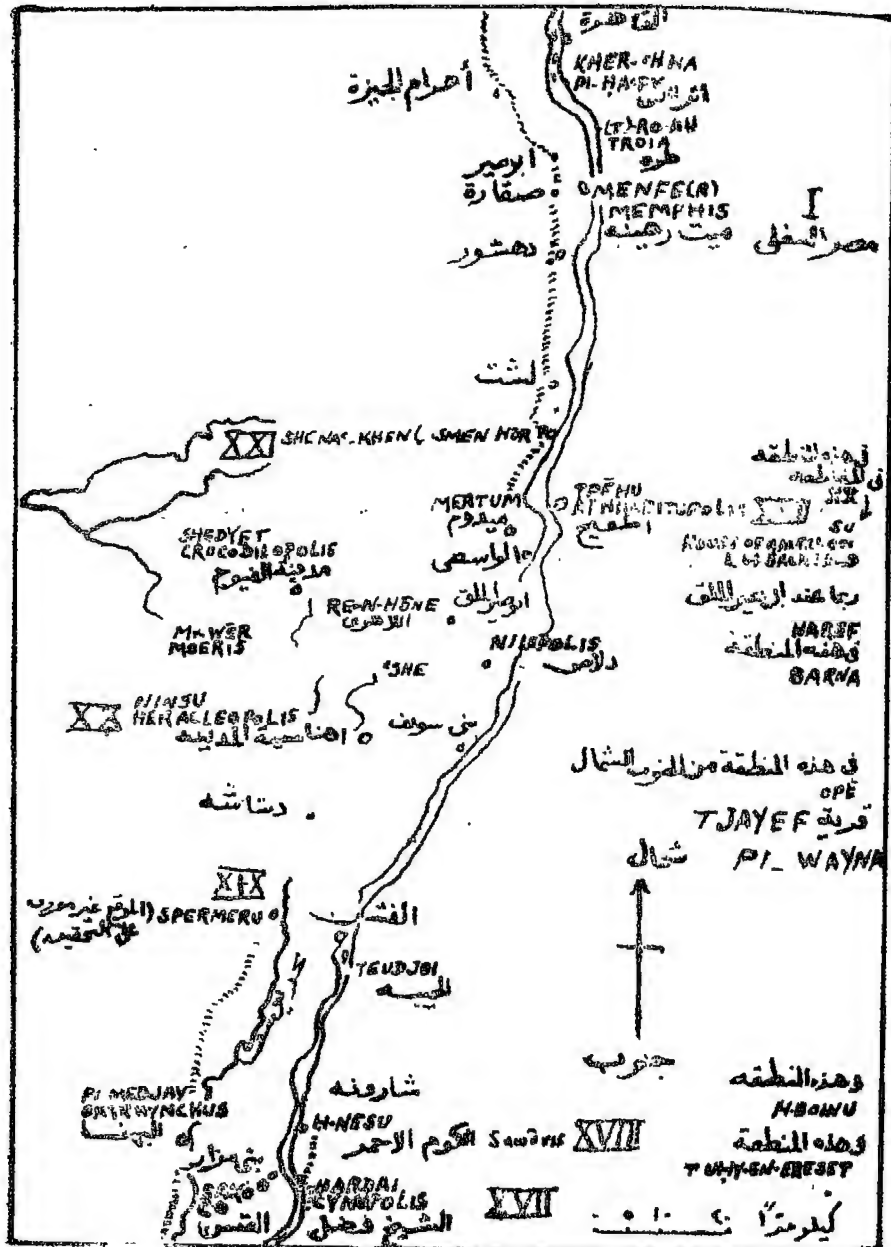
خم عدد المعبودات التى تالمت فى تلك الرقعة الفسيحة
من الوادى ! لقد قدم لنا نحات كان يعيش فى مستهل الاسرة
التاسعة عشرة ، تعدادا لكل الهة الاشمونين التى كان يعرف
اشكالها : « لقد جعلت مستقرى فى « بيت الذهب » (المرسوم
الذى كان النحاتون يستطيعون فيه بعث العجيزة فى نمايلهم
عن طريق الشعائر) لخلق اشكال كل الآلهة وصورها ولم
يذن واحد منها مستخفيا عنى . ولقد كنت كاهنا للشعائر
المحسوبة وكان فى قدرتى رؤية رع فى تحولاته وكذلك
أتوم فى تجسده . كان يوجد اوزيريس سيد ابيدوس على
رأس آلهة القطر المقدس وكان يوجد تحوت سيد الاشمونين
برأس « خرتى هنو » . لقد كان فى استطاعتى رؤية
« شبس » فى سره الخفى و « أونوت » فى تحولاتها . وكان
يوجد « مين » وهو يزهو بجماله ، و « حورس » الذى يقيم
فى حسرت و « ونحمت تاوى » ابنة رع و « سخمت » محبوبة
بتاح وجماعة الآلهة الثمانية التى توجد فى مدينة — الثمانية
فى مسكن الشبكة . وفيها كان يوجد « خنوم » سيد حرور
و « حكى » و « حاتحور » و « آمون — رع » الذى يقيم فى
أنو و « حاتحور » فى القوصية ابنة رع الذى يحمى المتفوق .
والتاسوع الذى يوجد فى عجنى (١) و « حرويرس » (حرور)

(١) موضع فى مصر العليا كان يقع بين اسنا جنوبا واصفون شمالا ويتطابق عل قول
دارسى المطاعنة الحالية والفروديتوبولس التى نكرها استرابون — (المترجم) .

فى أصفون و « حمن » سيد حفات • وكان يوجد « مونتو »
الذى يقيم فى الطود ، و « أنوبيس » سيد بلاد الفجر • وكان
يوجد « حورس » على رأس حبنو ، و « باخت » سيدة سرو ،
وتحوت الثور فى مدخل الوادى ، و « عنتى » فى صقع عنتى ،
و « آمون » الذى ينتمى الى « ذاك - السذى - يعلن -
الانتصارات » والثور سيد - اكا (القيس) وحكت ، سيدة
قوص والالهتان الراضيتان (ايزيس ونفتيس) • ولا شك فى
أن نحاتنا يخرج بعد « خنوم » من مدينة - جماعة الثمانية
كما أنه يخرج بعد حاتحور القوصية ، من مقاطعة الأرنبة
البرية لكنه من الشيق أن نراه يعدد جميع تلك الآلهة التى
تعرفنا عليها والتى لها كلها ملابس ، وأغطية رأس وإشارات
تميز كلا منها عن الآخر تماما فى العصور التى توضع لها •
وكان الفنان المسن يزهو بأنه يعرفها تمام المعرفة •

ودون الرجوع الى كل آلهة المقاطعة الخامسة عشرة أو الهة
حاضرتها ، يجب أن نحيط علما اثناء مرورنا بأن خنوم اله
انطينوى ، التى كانت تسمى فى القدم حرور هو ذاك الذى
ينحت الملك الشاب وروحه « الكا » فى الشعيرة المحجوبة عن
المولد الالهى وأن قرينته حكمت التى نعرفها برأس الضفدعة ،
تقدم له رمزا لنسمة الحياة • وكان لحاتحور عبادة فى
نفروسى التى يجب أن تكون جد قريبة • وتظل باخت
بالنسبة لنا أعظم هذه المعبودات غموضا • لقد كانت آلهة
برأس لبؤة ولم تكن سيدة أية مدينة ولكن فقط سيدة مكان
قفر فى الجبل من بنى حسن على الشاطىء الأيمن • ولقد
قام أوفياؤها بحفر معبد فى الصخر ، سماه الاغريق
« الاسبيوس ارتميدس » وقد سمي « سرو » فى اللغة المصرية ،
وكان لها من الأهمية ما جعل الملكة حاتشبسوت تزين معبد
« الاسبيوس » وتضع فيه نقشا : أشارت فيه الى إعادة فتح
القطر والى طرد الهكسوس • ولقد قام سيتى الأول بإعادة
بناء هذا المعبد الذى لم ينج من قوات تحوتمس الثالث التى

(Frad. Onom, II)



مصورة جغرافية - مصر العليا من القيس الى القاهرة مع بيان المقاطعات

وكل اليها أن تهشم اسم الملكة على الأخص ولا من محطمي
الصور في عهد اخناتون المكلفين بإزالة اسم آمون وأسماء
جماعة الالهة * على أن هذا لا يلقى الا بقليل من الضوء ،
إذا شئنا ، على هذه الالهة العجيبة المحلية التي تذكرنا ببعض
مزارات « العذراء » التي تحظى بالتكريم في فترة معينة ،
في جوف الوديان التي يعسر الوصول اليها ومع ذلك ، فإن
هذه الالهة تدخل في تركيب أكثر من اسم من أسماء الأعلام
ويبدو أنها كانت شخصية هامة *

وكانت حاضرة المقاطعة السادسة عشرة حبنو ولعلها هي
المدينة التي سماها الاغريق الابسترون ، ولا شك في أنها
الكوم الأحمر الحالية تتوجه بالعبادة الى اله باسم حورس نجد
عناء في تعريفه في شيء من الدقة ، رغم ما سجله نصب ليدن
من انه كان يعرف شكله الخاص * ويجب وضع تحوت الثور
في مدخل - الوادي في نفس المنطقة وكان آمون هو الذي
يسود خاصة ، في طهنا الجبل (١) التي كانت تدعى بيموى
في العصور القديمة ، والتي تبعد قليلا عن حبنو ناحية
الشمال ، ولكنه كان يحل في جوار سبك أو سبك - رع الذي
كان أيضا رب مدينة أناشا المجاورة * وفي اتجاه انحدار
النهر ، على نفس الشاطئ ، على مسافة قريبة جدا من بنى
خالد ، مازال يرى معبد محفور في الصخر * وكان يطلق
عليه « الموقدين » كانت تعبد الهة باسم حاتحور التي تقدم
بردية يوملهاك Jumilhoc لنا عنها معلومات أسطورية باللغة
الغراية : حاتحور التي توجد في تلك الجهة ، هي ايزيس
عندما تنجز تحولها العظيم الى أمها سخمت لتلتهم بلهبها
«ست» وحلفاءه ، في كل مرة كان هؤلاء يجتازون النهر ، وهم

(١) طهنا الجبل - معنى اسمها في اللغة المصرية الجبهة وهو بالكامل t ; thn wr nht
- الجبهة عظيمة القوة وتقع جنوبى جبل الطور على الشاطئ الأيمن للنيل وعلى بعد قرابة
عشرة كيلو مترات الى الشمال الشرقى من المنيا * واسم TE « الجبهة » حملته
عدة مواضع أخرى كانت على غرار طهنا - اكورس Acoris تقع على قمة مضبة صخرية
مثل الجبهة الواقعة جنوب شرقى الفشن *

قادمون من مقاطعة أوكسيرنخوس Oxyrhynque (١) ليتوجهوا
صوب الجبل الشرقى (ترجمة فاندية Vandies) وفى
حردى Hardai ، الشيخ فضل الحالية (٢) كان أنوبيس
يفرض نفسه لتمجيد خالصاته : ومع هذا فقد كان يظن ان
اول اله لها كان حورس * وفى الجانب المواجه فى القيس
كان أيضا أنوبيس هو الذى يعبد * ولكن القصص
الأسطورية توحى بأنه حل، دون شك ، محل اله يدعى باتا،
وهو الذى اعتبر فى العصر المتأخر بأنه ست عينه *

وفى الواقع ، اننا ما نكاد نحل بتلك المنطقة وهى
لا تزال ، الى عهد قريب ، احدى المناطق التى ليس لنا بها
الا اليسير من العلم ، حتى تقود خطانا بردية يوملمك التى
تلقي ضوءا ساطعا على حشد من العبادات والقصص
الخرافية ، يعسر أن نتعرف وسطه بدقة على كل الأمكنة التى
يصادفها المرء فيها * وقد كان لاله المقاطعة الثامنة عشرة ،
فيما سبق ، صورة صقر بجناحين منشورين ، على وجه عام *
وكان يطلق عليه ، دون ريب ، اسم عنتى ، ولكن شخصيته
لم تكن قوية الى حد مناسب وقد استبدل به ، شيئا فشيئا ،
الاله دون عنوى * وهذا الاسم ومعناه مازال غامضا ، ظهر فى
عصر الآهرام وآل به الأمر الى أن يتوارى أمام دون عنوى :
« ذاك - الذى - يمد ذراعيه » علامة الحماية * وأخيرا فى
العصر المتأخر ، كان أنوبيس (شكل ٣) هو الذى فرض
نفسه كذلك وهو يهبط بمحاذاة النهر * ويرى هنا كيف
أن الشخصيات الالهية ، شخصيات يصعب تحديدها وأنها
تغيرت خلال التاريخ * فضلا عن ذلك ، كان أنوبيس هذا ،

(١) البهنسا *

(٢) حردى هى التى أطلق عليها الاغريق اسم Kuvwy nonis والرومان اسم
Canum وتقع على الشاطئ الأيمن للنيل عند الشيخ فضل أو بالقرب منها * وهى على
بعد ١٤ كيلو مترا من البهنسا وتواجه بنى مزار وتقع القيس الى الجنوب الغربى منها *
وكان الهها أنوبيس الذى كان اله القيس فى عهد أكثر تأخرا ، ولهذا كانت لها الأسبقية
فى اسم cynopolis الذى أطلقه عليها الاغريق *

الذي يجاور المقاطعة التاسعة عشرة التابعة للاله ست ، قد قدم المعاونة الجديدة لحورس للدفاع عن بقايا اوزيريس التي كانت محفوظة في تلك المقاطعة ، حتى أنهم ادمجوها تحت اسم حورس - أنوبيس . ولقد كشف وجود « جبانة كلاب » ، عن أن ذلك الحيوان المقدس كان يعبد فيها في عهد متأخر .

ان الوثيقة ذاتها تقدم شروحا شقيقة عن طائفة من الأمكنة المقدسة المجاورة التي يصعب أحيانا تحديد موضعها في دقة فوق الخريطة المصورة . ومن بين هذه الأمكنة ، مدينة - البقرة وقد أطلقت عليها هذه التسمية ، لأن تحوت وجد فيها البقرة التي أمدته برأسها لتكون عوضا عن رأس ايزيس التي قطعها حورس ، وقد استبد به الغضب لأن أمه قد ترفقت بالاله ست . ومع هذا ، فان المؤلف يلتزم التحفظ الكثير فلا يقص تلك الواقعة وهو يلمح بها عوضا عن عرضها . وعلى مسافة أبعد الى الشمال ، كان للاله خنوم مقدس في « بيت - خنوم » . انه حليف حورس يقوم بمراقبة مشروعات « ست » وأعوانه . وكان هو أيضا الذي يقدم له التمجيد في « أونم ف تا » ومعنى اسمها : يأكل الخبز . ان هذا الاسم يحمل ذكرى أسطورية : ان سبك ، وقد باغت أنصار « ست » الذين أفادوا من ظلمة الليل واجتازوا النيل ، تحول الى تمساح والتهم كل المتأمرين مع الاله الملعون . ولكنه احتفظ بالرءوس على ظهره - وفي هذا الوضع كان يمثل تمثال - ليقدّمها الى حورس . ويعمل حورس ، وربما لم يكن مطمئنا كل الاطمئنان ، على أن يقدم له خبز ومن هذا جاء اسم المدينة .

واذا أضاف المرء أن المدونة الثمينية التي كتبت لكي تكون دليلا للطامحين الى وظائف الكهنوت في المنطقة ، وكذلك لكي تكون مرشدا للنحاتين والمصورين ؛ وتشرح أصل « الجلد الشافي » Nébride العزيز على أنوبيس ، وتقص كيف أن

«ست» سرق صناديق حورس وعشر على أنوبيس وتضيف اليها تعليقات عن فصيلة كلاب (Canidés) (١) الاله المقدسة وتزييفاتها . فعند ذاك يكون لديه فكرة عن غزارة التقاليد الدينية التي انضمت الى المعلومات الوفيرة التي تتعلق بالأسطورة الأوزيرية وعلى الأخص البحث عن أشلاء أوزيريس الذي مزق جسده ، وسنعود الى موضوع هذه الأشلاء ، ولكن يجدر أن نقول كلمة عن « الجلد الشافى » nébride. (٢) (شكل ٣٥) - وقد كان ذلك الشيء يتألف من جلد يتعلق بساق نبات مثبت فى دعامة ، وكان رع قد قضى بسلخ جلد عنق بعد ارتكابه جريمة قطع رأس حاتحور الهة اطفيح - وهى معادلة لأسطورة ايزيس - وقد أحضر أنوبيس الجلد الى أمه ، البقرة المقدسة حسات (٣) ، التي



شكل ٣٥ - الجلد الشافى (معبد سيتى الاول) فى إيدوس

(١) Canidae → Canidés فصيلة من اللواحم أى آكلات اللحوم للواحد منها أربعة براثن فى كل من رجليه وأربعة أو خمسة فى كل من يديه وهى تشمل الكلاب الأهلية والثعالب وبنات آوى والثعالب « عن معجم الحيوان - المفردات » - (المترجم)

(٢) يرجع لفظ nébride للأصل الاغريقى nebris وهو جلد ايل (Faun = fallow down) صغير لونه رمادى يميل الى الصفرة كان يرتديه باخوس (ديمونسيوس) وأشباعه - (المترجم)

(٣) يرجع اسمها الى اللغة العربية - المسنيلة البقرة وجمعها حسائل وجاء فى المعجم الوسيط الحسيل أولاد البقر الأمل ويطلق على الواحد (الديمرى) يقال اشترى بقره بحسيلة - (المترجم)

أعادت اليه الحياة بلبتها بعد أن جعلت هذا اللبن ينساب في هاون يمثل الدعامة ، وجعلت منه بلسما يجلب العافية .

لا يمكننا ترك أنوبيس (شكل ٣) ، دون أن نضيف بعض القسمات التي تحدد محياه . فهذا الاله الذى يعلو جسمه الانسانى راس كلب ذئبى (canis lupaster) ، كان يعد ابنا لايزيس واوزيريس فى العصر المتأخر وكذلك لسخمت - ايزيس . وهذه البنوة تفهم على وجه أفضل عندما يعلم انه كان يمثل بحورس فى مقاطعته . ولكن بلوتارخ يقص أن اوزيريس انجبه من نفثيس ، التى كان قد اتخذها اختا له ، وكانوا يعدون - عامة - البقرة السماوية حسات أما له . وربما كان يدين لهذه البقرة باللقب الذى يطلق عليه « سيد الأبقار مدرة اللبن » وبالاشتراك ، الى جانب ايزيس فى شعائر سكب اللبن ، على موائد القرايين المروية (١) . هل قام هذا الجلد الشافى الذى رأينا أن له قيمة علاجية بدور يجعله يوازن اموشس (امحتب) ، اسكليبيوس المصرى ، فى كتاب التحولات فى العهد المتأخر ؟ من المؤكد ، على أية حال ، أنه يعد منذ أقدم العصور سيد الجبانة ويتقوم بدور فى التحنيط وفى منح الحياة التى تضى على المومياء التى كان يطيب لهم أن يرسموه بالقرب منها . ومنذ عصر الأهرام كان يشترك فى محاكمة للموتى وتظهر صورته - فى الرسوم الزخرفية التى تصاحب الفصل المائة وخمسة وعشرين من « كتاب الموتى » الاعتراف السلبي (٢) وهو يتحقق من مؤشر الميزان ، وكذلك كان يسمى عادة فى « كتاب ليت اسمى يينع » « حارس باب

(١) نسبة الى مروي القديمة بالسودان وهى البجراوية .

(٢) يذكر هنرى برستد فى كتابه « تطور الفكر والدين فى مصر القديمة » ،

Development of Religion and Thought in Ancient Egypt.

أن « الاعتراف السلبي » تسمية خاطئة لأن اعلان البرء عكس الاعتراف (صفحة ٤٠٤ من

النسخة العربية التى قمت بوضعها) - (المترجم) .

الجحيم» * وفى هذا الدور مثله الاغريق بالههم هرمز وجعلوا منه هرمانوبس الهجين Hermanubis الذى يراه الانسان على نقود المقاطعات فى القرن الثانى * بل لقد وجد مصورا مرة فوق ناووس من العهد المتأخر ، فى برلين وهو ممسك بمفتاح يبدو تماما أنه استعاره من اياك L'Époque (١) الاغريقى ، وذلك لأنه اجتاز مع آلهة الجماعة الأوزيرية ، حدود مصر الضيقة ، وعرف فى أرجاء العالم الهلينستى والرومانى حيث أثار الأخيلة قناع الكلب المتوحش ، أو ابن آوى ، الذى اتخذه * ولقد ورد فى أشعار فرجيل الذى أمدت قصيدته Latratur Anubis (٢) الشاعر مالارمييه Mallarmé بقوافيه :

وهناك المعبود أنوبيس الخطم بأكمله ملتهب كعواء متوحش

وفضلا عن هذا ، فقد وصل الى الجنوب منذ أمد بعيد ،
لأنه فى ابى سنبل كان « سيد النبوة » *

ما السبب الذى دعا الى ربطه بالقمر ؟ ان هذا بالنسبة لنا سر خاف * وكان يظهر فى جميع الرسوم التى تصور المولد الالهى الذى كان يحتفل به منذ الدولة القديمة لأجل الملك ، وقد صور فى مولد حتشبسوت وهو يدير بدر التمام يتمنى للطفل أن يتجدد تجدد الكواكب * ولذا فلن يعجب المرء كثيرا عندما يصادفه فى « كتاب الكهوف » وهو يضىء الموتى بقرصه العظيم أو كذلك عندما يجده حاملا القمر فوق رأسه ، ملفوفا فى كفن من عهد متأخر جدا فى متحف الفنون الجميلة بموسكو *

(١) ابن يوبتر ملك اجين Egin وقد اشتهر بعدائه ، فانه صار بعد موته أحد القضاة الثلاثة فى الجحيم كما جاء فى الأساطير *

(٢) العاوى أنوبيس - (المترجم) *

ولقد كان له دور عظيم فى الشعائر المحبوبة الأوزيرية، والبحث عن أشلاء أوزيريس الممزق وإعادة تكوين الجثمان وإعادة الحياة اليه . ولكن الأمر العجب أنه كان يقرع الطبول أمام الآله وهو يردد قائلا : « انى اقرع الطبله امام صورتك منذ أن ينبليج الصباح حتى المساء » . على أن تطورات علم لاهوت أنوبس لا ترجع بأجمعها الى العهد المتأخر ، كما أمكن التأكد من ذلك ، ولكنها اتخذت أهمية بالغة العظم دون ريب مع تزايد أهمية الدين الأوزيرى التى عرفت عنه فى العهد المتأخر .

وفى المقاطعة التاسعة عشرة ، كانت تقدم العبادة الى الآله « ست » ، الملعون . وعندما ازداد عدد الأوفياء لأوزيريس ، اله الخلاص ، زيادة بالغة الى الحد الذى أضحت فيه أغلبية مصر ، العظمى ، أوزيرية ، يصبح « ست » القتاتل موضوع اللوم العام . هل تدمر مدينته ومعاينه ؟ على اية حال ، لم يصل المرء بعد الى تحديد مكانهما بين أوكسيرنخوس (البهنسا) فى الجنوب وهيراكليوبولس فى الشمال . ثم ان نص ادفو الجغرافى وجيز وفيه تأنيب . ولكنه يشير الى أنه كان يحتفظ فيها بأشلاء مقدسة هى ساقا أوزيريس وخصية ست . وفى الحاضرة سبرمر ، كان لاله الصحراء معبد ، كما كان لنفتيس ، زوجته معبد خاص بها .

وعندما نصل الى اهناسيا المدينة ، التى كان الاغريق يطلقون عليها هيراكليوبولس ، وتدعى قديما ننى نسو ، نجد حاضرة قصيرة العمر لمصر ، وبعد الثورة التى غرقت فيها الدولة القديمة أعاد أمراء ننى نسو ، وحدة شطر من أسفل الوادى والدلتا لحسابهم وقامت أسرتهما ، التاسعة والعاشر ، بالحكم فى المدينة موطنهم . ولقد عبدوا فيها الآله حرسافس الذى كان له وجه كبش ويستأثر « بالهيبة » كما كان يقول المصريون بالتورية اللفظية باسمه ، الذى

خليقته كاله خالق ومعبود آزلى . هل لهذا السبب كان يبدو مرتبطا بالعدالة ؟ انها حقيقة واقعة ان الملوك الذين عبدوه يظنون الناهضين بنظام اجتماعى أفضل واشاعة أكبر قدر من العدالة الاجتماعية . ويؤيد التصديق بذلك ، ما وصل اليها من مؤلفاتهم ومنها « تعاليم لمرى دارع » دأعه الصيت وقصة رجل الواحة التي ترجع الى نفس العهد .

وعلى قرابه خمسه عشر كيلومترا الى الشمال من هيراكليوبولس ، تتوغل قناة بحر يوسف العظيمة ، التي تتفرع من النيل عند أسيوط ، فى الصحراء الغربية وتروى واحة الفيوم (١) وتعود لتصب فى بركة قارون وهى بحيرة ماؤها ملهى لا يصلح اليوم للزراعة . ويبدو ان الفيوم كانت فى الدولة القديمة ، منتجعا يستغل فى قنص الحيوانات وصيد الأسماك اذ لا بد أنها كانت تحوى الكثير من المستنقعات والأحراش التي لا يمكن اجتيازها . ولم تكن كثافة السكان فيها ، دون ريب ، كبيرة . وفى عهد امنمحات الثالث ، فى الدولة الوسطى ولدت فكرة للاستفادة من الفيوم كخزان لمياه الفيضان . وكذلك أصبحت المنطقة فى رخاء وتضاعفت المدن فيها كثيرا . ولكن العهد الذى حدث فيه أعظم توسع كان عهد الملوك الاغريق . ولما عمد الهلينيون - الذين عرفوا كيف يطبقون مناهجهم على هذه التربة القديمة المصرية - استغلت مساحات من الأرض فى الزراعة تقع على مستوى لا يصعد اليه الماء فى أيامنا . ان مدنا بأكملها مثل ديونسياس Dionysias (٢) وكرانس Karanis (٣) وسوكنوبيونيز Soknépéonese (٤) عادت اليوم جزءا من الصحراء بعد أن كانت قد اقتطعت منها من قبل .

(١) ترجع التسمية الى مصر القديمة فقد كتبت (يم) ومع أداة التعريف بأيم واليم كما فى اللغة العربية البحر - (المترجم) .
(٢) قصر قارون مركز اطسا .
(٣) كوم أو شيم .
(٤) أصلها ايو ويا ايو - الجزيرة - ديمية الحالية .

ان مجموعة كاملة من أدراج البردى الجغرافية ،
 بالخط الهيروغليفي أو الهيراطيقى تكشف عن أسماء الأماكن
 والآلهة التي كانت تعبد فيها في العهد المتأخر . لقد جلبت
 حفائر تبتوس (١) Tebtunis ، عشية الحرب العالمية
 الثانية ، وثائق هامة لم تنشر حتى الآن بأكملها . ولقد
 هيأت أدراج البردى الاغريقية الوفيرة ، في تلك المنطقة ،
 العلم بالأماكن والآلهة ، وتضمنت حشدا من المعلومات
 الجغرافية التي لم تستغل حتى الآن والتي تتيح العودة حتى
 عصر الدولة الحديثة ، كما أن بها بعض الاشارات المنعزلة
 التي تحملنا أحيانا الى عهد أسبق . وتقع تبتونس الشهيرة
 بما عثر فيها من أدراج البردى الاغريقية جنوبى المنخفض
 ويرجع اسمها الى أصل مصرى «رأس - الأرض - المستديرة» .
 وكان يعبد فيها تمساح ، « سيد تبتونس » ، كما حدث مرارا
 عديدة في الفيوم . ولقد بقى لنا من الدولة الوسطى مقدس
 مدينة ماضى ، على مقربة الى الغرب . وكان مخصصا
 لارموثيس ، الهة الحصاد . وقد يتساءل المرء : ألم يخلق
 تلك العبادة ، بكامل أجزائها ، الناهضون بالأعمال الزراعية
 في الفيوم ؟ وهل الآلهة كانت في الحق معبودة محلية ؟ . لقد
 كان يصحبها سبك اله شديت حاضرة الاقليم ، وكذلك
 حورس . فهل كانت تؤلف ثالوثا معه أم كانت ثلاثة معبودات
 مستقلة ؟ لا نستطيع أن نجزم بقول . لقد كانت تصور
 أحيانا على هيئة صل - وكانت تربي بالتوكيد ، على الأقل
 في العصر المتأخر ، صلال مقدسة في أفنية المعابد - كما
 كانت تصور أحيانا أخرى كامرأة يرأس صل . وفي الجنوب
 الشرقى من البحيرة ، في ثيادلفى Théadelphie (٢) ، كان اله

(١) أصلها تاننر وتبتنر وجيتنو ، أم البرجات الحالية - (المترجم) .

(٢) امريت .

— تمساح يطلع على أوفياته « بوجهه — الجميل » * وهو الاسم الذى يحملة بالصرية : بنيفروس Pnepheros * وكان كهنته يحملون فى موكب على محفة جثمانه المتمدد وهو ملفت بقطعة من النسيج ثان يخرج منها فقط خطمه يعلوه تاج بآف *

وفى قصر فاروس ، الذى سماها الاغريق ديوموسيناس Dionysias والواقعة على مسانه ابعده الى اقرب الى الجنوب من برته قارون العاليه * يفهم معبد عظيم يرجع الى عصر البطلمه ويرى من بعد * وان ثان قليل الزخارف ومشهدما حتى ان المزع لا يتجد فيه الا نقشا قليل البروز للاله سبك * ثم ونرى ضليل ولا يبيح لنا ان ننسب المعبد الى ذلك الاله * وفى الجانب الغربى من البحيرة ، فى سوكنوبيوتيز Soknopéonèse (١) ، ثان معبد الاله سوكنوبيوس Soknopaios وهذا انتساب بالاغريقية للاسم المصرى : سبك ، سيد الجزيرة ، ولتلك الالهة ايزيس — نفرسس ، Isis-Nephersès . ويشتمخ فى قلب الصحراء ، الى الشمال الغربى من البحيرة معبد قصر الصاغة الجميل الذى يكاد يكون سليما والذى يرجع تاريخه فيما يرجع الى الدولة القديمة * ويكشف تل من الركام الى جوارها ان مساكن اقيمت فيما مضى من الزمان فى هذا المكان الموحش * ومن سوء الطالع ان هذا البناء الرصين ، لا يضم أى نقش ، حتى اننا نجهل الى أى اله كان مخصصا * ولا بد ان رب المعبد كان يشغل الغرفة الوسطى وهى أكثر اتساعا عن الغرف الأخرى ، كما فى مدينة ماضى ولكن هنا ، توجد ثلاث كرات على كل من الجانبين ، مما يدعو الى الظن ان حاشية الاله الأول ، كانت تتألف من ستة معبودات أخرى تظل كذلك غير معروفة لنا *

وفضلاً عن هذا ، يحدث أننا لا نزداد علماً عندما نعرف اسم الآلهة . وهذه هي الحال فيما يتعلق بمعبد الآله كرانس الذى يوجد على النسب الذى يسير من قصر الصاعه صروب الوادى " وكان ربها هو بنيسوخس Petesouchos ، ذاك - الذى - يعطى - سبك . كما فى ارسنوى وفى ثركيوزيرس Kerkeosiris ، بانقرب من تبتوس " ان اسم العلم هذا ، الذى يأخذ طابع اسم الآله ينتمى الى اسم انسان أكثر من انتمائه الى اسم اله " وقد وضعوا لتفسيره نظريات فيها مهارة عظيمة وليس لواحدة منها مكان من الحقيقة " وفى باكخياس Bacchias (١) وتقع على مسافة قصيرة بعيدا الى الشرق ، يبدو أن اسم الآله الاغريقى سوكانو بكونيس Sokanobkoneus ينحدرى تحته لفظ مصرى أصلى : سبك - سيد - جنوت ، وهو موضع تأيد اسمه منذ الأسرة التاسعة عشرة . ان هذه هى التسمية القديمة لباكخياس التى كان الهها نوعا من الرب والحاكم معا فى الفيوم "

وكان لقرى أخرى فى داخل المنخفض عينه ، الهها الخاص . ومع هذا ، ففى معظم الأوقات ، يكون من العسير الوصول الى موقعها جغرافيا ، مثل جر ، حيث كان يعبد أنوبيس اله حردى الذى أصبحت لنا معرفة به . ولكن كل هذه الآلهة لم تكن الا مجرد أتباع أمام رب الواحة بأجمعها ، وهو سبك (شكل ٢٥) ، سيد شديت ، كروكوديلوبولس Crocodilopolis عند الاغريق ومدينة الفيوم فى أيامنا (٢) . وكانت البحيرة بأحراشها ومستنقعاتها على مدار الزمن مكانا ساحرا لأحلام القنص وصيد الأسماك . وكان موضوع بعض الأعمال الأدبية فى الدولة الوسطى المباهج التى تجلبها أنواع الرياضة هذه ، فى الفيوم . وليس مما يدعو

(١) لم الأكل

(٢) فى عهد البطلمة سميت ارسنوى Arsinoë ، وكان المكان موقع المدينة الأثرية الى الشمال من الفيوم .

الى دهشة بالغة أن اله المنطقة يتخذ شكل ساكن مستنقعات
رهيب وهو التمساح . وقد اتخذ سبك صفات أوزيرية على
شاكلة حرسافس في هيراكليوبولس ، الذى يبدو أن الفيوم
كانت تقع تحت نفوذه ، لقد كان اله الزرع وتطور الحياة ،
تماما حاوريريس ، وعلى غرار النيل، كان يحمل الى الاراضى
المرضوبة اللازمة لأمدادها بالخصب وهو ما كان قد غدا
يعله نى كوم امبو وفى سومنو (١) . وقد افادته هنا
ظروف فريدة فى دوره كاله خالق . ذلك أن بحيرة قارون
وهى تظهر فى قراره منخفض فى الصحراء الليبية ، كانت
تبدو ، فى أعين المصريين، انبتاقا للمحيط البدائى الذى كان
قد برز منه . وعلى هذا فقد تجلى الاله - التمساح وسط
هذه الأمواه الراكدة فى البداية كما ظهر التل البدائى ،
كما انه ولد هنا على مثال رع الذى اتخذ شخصيته كذلك -
من البقرة مثير ليقوم بخلق العالم وايقاع الهزيمة دون
انقطاع بالفوضى التى ، تهدد الكون من جديد فى كل لحظة ،
ولقد كان يعد مثل « نون » محيط البدايات ذاك الذى جاء
منه كل شىء ، وقد أضفى عليه هذا مزيدا من قدرة الهية
وأبعد الى الورا ، اذا جسرنا على القول ، حدود أبديته .
ومرة أخرى ، يقدم علم لاهوته نفس الموضوعات كغيره من
الآلهة المحلية ، منذ أن يصل كهنتها الى شىء من الأهمية
ويرفعونها الى علو المعبود الأوحد والأزلى . وليست هذه
التطورات بأجمعها متأخرة ، بأية حال ، وان كانت وفرة
الوثائق من العصر المتأخر تسمح لنا بأن ندرسها على وجه
أفضل .

عندما يعود المرء من الفيوم صوب الوادى ويصعد صوب
منف ، يجد أنه أمكن اكتشاف وجود عدد عظيم من العبادات
عبر معطيات وفيرة وردت فى أدراج البردى الاغريقية وعلى
الأخص محفوظات زينون Zenon . وحينما تكشف مسد

(١) المرنطقات بين أرمش والجهيلين كما تقدم - (المترجم) .

سعيدة عن أسماء جغرافية عتيقة ، فانها تتيح لنا بان نرجع
أحيانا اشواطاً بعيدة في تاريخ قرى هذه المنطقة وعباداتها .
وفي سفح التواء الليبي الذي يقوم عليه هرم ميدوم
« الخاذب » وعلى بعد ثلاثة كيلومترات صوب الشمال ، اخذت
قرية صفط ميدوم الحالية اسم موضع اسسه ، دون ريب ،
في الدولة الوسطى ملك « محبوب — من — اتوم » هو
مويثومس Moithymis . وقد عبد بها آمون في عصر الأسرة
الثامنة عشرة ، كما أقيم بها في العهد المتأخر معبد لباستت ،
الالهة برأس قطه ، كان بعض الكهنة يقومون بتربية قطط
مقدسة داخل فنائمه . وغير بعيد في موضع مجاور ، صحت
Sahte ، كان يوجد « بيت صقارس » اله ممفيس الجنازي
و « بيت — القارب حنو » وهو سفينة فريدة الشكل ، كانت
مخصصة له . وكان يقدم التكريم فيها كذلك لاله غامض كل
الغموض بالنسبة لنا هو امنحي Imenhy قد يكون من الواجب
أن نرى فيه آمون (١) . وكان يقع معبد عظيم لايزيس في
هذه المنطقة ولكن لم يبق منه أى أثر .

ومما يدعو الى العجب أن هذا الاقليم كان يستحوذ أيضاً
على « بوتو » الخاصة به ، على غرار الدلتا . وكانت تنهض
بالرياسة فيه الالهة أوتو (واجت) ، التي تتخذ شكل صل لها
نسيج ذو لون أخضر (ويتحد اسمها في نطقه مع لفظ أخضر)
وكانت تستوى على غرار موت في الكرنك ، على عرش في
مقدس تحيط به من ثلاث جهات رقعة من الماء كان يطلق
عليها « أشيرو » ويبدو أنه كانت لها ، على شاكلة الالهات

(١) لا علاقة لهذا الاله بآمون . انه مشتق من لفظ يذبح . وترجع مصادره لعهد
الامبراطورية الحديثة والعهد الاغريقي وكان يلقب به الملك عند تقديم الذبيحة (معجم
برلين الجزء الأول) .

وأطلق لفظ امنحي للدلالة على الآلهة (الشياطين)

« Schlachte » — als Bez. Von Göth

(Damonen) — Tafel. N.R.

الى أقابله يلفظ لحيب

يقال لحيب الشيء ، أثر فيه بالضرب أو القطع أو القس (الوسيط) ويقال لحيب الجزر
على ظهر الجزور اذا أخذه . ولحيب اللحم عن العظم (الأساسي) :

دوات المخلب ، طبيعته مزدوجة مخيفة ورائعة ، هي من
الوقت - ان ذل هذه القرى بنيدة عن النهر ونفع في ذلك
السهل الخصيب الذي كان يجب ان يغمره الفيضان وهي
تجاور قناة تروى سطح الجبل الليبي - وعند سفارده الهيرس
ثمة ، يوجد البرع متديدا للاله « مين » في منطف السرف الحالية
على مسافة ابعد ، في الذرك (١) التي كانت تستخدم كمرفأ
نهرى لتسليم الواردة بالقوافل من شمال الفيوم ، كان يعبد
سبك اله سمنو - حر - ويبدو تماما ان تلك المحطة ترجع الى
الدولة الوسطى "

وفي حاضرة المقاطعة العشرين ، شن آخن Chenâkhen
العتيقة التي كان يطلق عليها في زمن الاغريق كانتونبولس
Canthonpolis ؛ لانها كانت تضم غيصات من اشجار السنبل
المقدسة والتي تسمى حاليا كفر عمار ، كان يعبد اوزيريس
بشعائر تطابق تماما عبادة بيعة ، في الشلال الاول - ولقد
حفزت بعض أشلاء الاله ، وهي ساقه (أو ساقاه) في غور
عميق يقع دون ريب داخل غابة لا يمكن أن يصل اليها غير
المؤمنين - وبالقرب منها كانت توجد جرة مشقوبة ، تضمن
مجيء الفيضان جالب الخير ، الذي كان ينبع من الاله لاخصاب
مصر الشمالية ، وكان يقوم ثلاثمائة وستون كاهنا على مر
ثلاثمائة وستين يوما يحملون بها طهورا من ماء النيل - ولقد
رأى ديودور Diodore في ذلك أسطورة دن الدنيايد (٢)

(١) يذكر اميلينر E. Amélineau في كتابه « جغرافية مصر في العهد القبطى »
ان هذه المدينة ترد على الدوام على انها مرفأ يقع على النيل وقيل مرة انها كانت تقع في
مقاطعة منف - ويضيف انه على الرغم من هذا فانه من المستحيل العثور على اسمها بين
مدائن مصر وقراها ، في القرن الرابع عشر أو في العهد الحالى - (المترجم)

(٢) دنائييد Denaides .

كان دانوس Danaus أميراً مصرياً حاول اغتصاب التاج من أخيه أجيتوس
Egypsus فاجبر على الهرب من مصر ولجأ الى بيلوبونيز وطرده من أرجوس الملك
استينلس Sthénélus ابن برسى Persée واندروميد Andromède واستولى
على ملكه - وكان لدانوس خمسة أبناء - وأخيه أجيتوس خمسة أبناء وقد أراد ان يزوج
أبنائه من بنات أخيه خشية أن يزوجهن من أمراء اقريق ويعقد العديد من التحالف معهم
ويبلغ ميذا من التعاطم - وقد أرسلهم الى أرجوس على رأس جيش للظاهرة الطلب -

Danaides ، ويضيف كذلك ان اسطورة افنوس **Oenos** كانت تقلد انشاء احتفال خاشع " اننا لا نعرف الى اى عهد ترجع هذه الشعائر ، ولكن قديما كان الاله هو جنوم ، وقد قبل بسورس . ان جعل منه ابنا لوزيريس . وكان الاله - الكبش الذى يراس حالات الميلاد يضع النموذج شئلا اثباتا على دولابه ، وكان يعرف ايضا بعث الموتى . وبهذه القصة كان يطلق عليه فى فيلة : « ذاك الذى يضع النموذج على دولابه ، صانع النموذج جسم اوزيريس الالهى فى مسكن الذهب الحى » . وكذلك كان يطيب للناس ان يجعلوا موميאות تلك المنطقة تمر بذلك المكان المتميز ، بطريقة تمكن اصحابها من الوصول ، فى احوال طيبة ، الى العالم الآخر .

وفى ذلك الجوار ، وفى المناطق المجاور ، كان يعبد فى سمنو - حر الاله سبك الذى امتدت عبادته حتى وصلت الى كرك القديمة .

كانت آخر مقاطعة فى مصر العليا تقع باكملها على شاطئ النهر ، الايمن . وفى الحاضرة وهى اطفيح الحالية ، التى كان يطلق عليها الاغريق افروديتوبولس **Aphroditopolis** كانت السيادة معقودة لالهة تسمى حاتحور ، كما فى الجبلين والقوصية ودندرة ، ولكن هذه لم تكن الا بعض المراكز العظيمة . وليس فى استطاعتنا الاشارة اليها كلها ، عندما يرى أنه فى موكب من الالهات التى تذهب لحماية وتكريم شعيرة المولد الالهى المحجوبة ، فى هيكل الميلاد الرومانى فى دندرة ، يمكن احصاء تسع وعشرين الهة حاتحور ، ربات أماكن مختلفة .

== ووافق داتوس لعجزه عن المقاومة ولكن عمل على ان تتسلح بناته بخناجر يخفيها تحت ثيابهن ليذبحن أزواجهن فى الليلة الاولى من زواجهن . وتم هذا وغت واحدة منهن عن زوجها .

وأصدر جوبتر العقاب على أولئك البنات القاسيات وهو أن يملأن الى الأبد نارا مثقوبا . ويذكر استرابون أن هذا القصص لم يكن الا قصة رمزية تاريخية . ان الأميرات اللواتى جئن من مصر الى أرجوس حملن معهن استخدام القنوات لمرور مياه الأنهار والرياح المعروف جيدا فى مواطنهن - (المترجم) .

الفصل الرابع

● آلهة الدلتا ، المحلية

إذا كنا نسرع الخطى فى اجتياز مصر السفلى ، فليس مرجع ذلك انها أقل اكتظاظا بالمعبودات عن الجنوب ، ولكن لأن الوثائق التى توجد فى شدرات أو تكثر فيها الفجوات لا تسمح باستجلاء كامل لعلم لاهوتها . وكذلك فان الرحلة أقل يسرا عنها فى مصر العليا ، حيث يكفى ترك القارب ينساب فى تيار الماء . ثم انه لا يوجد فى السهل الفيضى المسيح أى تقسيم جغرافى واضح كل الوضوح ، لهداية السير . واسهل وسيلة هى بلوع البحر من جهة الغرب وبعد ذلك زيارة الشمال والوسط ثم العودة الى عين شمس من جهة الشرق .

كانت الدلتا تبدأ عند المصريين فى منف . ويعلم المرء أن المدينة كان يطلق عليها « سيزان - القطر - المزدوج » . لقد كانت معلما يبين موضع التوازن بين شطرى الوادى . ولم تكن الآلهة تنقصها ، وكان أقدمها عهدا يدعى تاتنن وهو الاسم الذى كان يفسره المصريون « الأرض التى برزت » . وليس من غير المستحيل أن يكون هذا هو المعنى البدائى لاسمه ، لقد كان الها أرضيا يصور متربعا فى جلسته وعلى رأسه تاج مكون من ريشتى نعام تستقران على قرنين أفقيين ويمسك سوطا بيده . انه يستحوذ ويجعل المعادن تنبت فى الجبال ، ويحى النباتات والمياه من لدنه . وقد تصوره الها أزليا وخالقا . ولكنه يصعب معرفة السبب فى أنه رب الاحتفالات الملكية التى تجرى كل ثلاثين

عاما ويطلق عليها « حب سد » * وفي غالب الأحيان تكون وجوه نشاطه هي كذلك تلك بعينها التي يفهم بها بتاح الذي اتخذ هويته منذ أزمنة بعيدة باسم بتاح - تاتن *

ولما رفع مينا المدينة الى مكانة التكريم كحاضرة باسم « الجدار الأبيض » عادت منف (١) - كما عرفت فيما بعد - لأول وهلة الاله بتاح (شكل ٢٦) ، الذي يتمثل وعليه كل علامات اله محلي * ان شكله يتميز به الى حد بالغ : انه يتدنس بنسج يتصق ببسسه ولا يترك بارزا منه غير يديه المسكتين بصولجان يتالف من - عمود جد و « رأس » مجتمعين * وتعلو راسه فلنسوة تلتصق بجمجمته * ولابد انه كان رب القرية الصغيرة التي اختارها الملك ليقم فيها مقره ، في انسب موقع يشرف منه على الشمال وعلى الجنوب * ويبدو انه كان يرتبط ، منذ البداية ، بالصناع الذين يؤدون مهام حرفهم وعلى الاخص الصناع والنحاتين الذين سيظل على الدوام راعيتهم * ان الذين كانوا يصنعون الحل في الدولة القديمة ، كانوا في غالب الأحيان اقزاما ، وتعرضهم « المصاطب » وهم منهمكون في صهر الذهب أو في انجاز صقل القطع الجميلة صقلا نهائيا * لقد كانوا في حماية بتاح وكان لهم معبودات أوصياء ، أقزام ينسبونهم الى بتاح Patieque (٢) وكانوا يعدون أبناء بتاح * ولذا ، فان هيرودوت يعقد موازنة بينهم وبين الكابير Cabires (٣)

(١) تقع مدينة « منف » مكان قرية « ميت رهينة » الحالية بمركز البدرش وقد سميت « من نفر » ثم اسمها الاقريق معفيس وحرقتا العرب الى منف - (المراجع) *

(٢) يذكر ارمان في كتابه « ديانة المصريين » الفصل العاشر اننا نجدها بوفرة بمد الامبراطورية الحديثة. ولكننا لسنا على ثقة من انها كانت قد ظهرت خلالها وكانت تعتبر كتاح أو أبناء بتاح ويبدو أن هذا يدل على مصدر اسمها الذي نقله هيرودوت Patieque .

(٣) الكابير وتصور الكابير البلاستيكية الاعتقاد بأن النار في أشكالها الثلاثة السماوية والأرضية والأرضية هي أصل الأشياء * وكانت معبودات عظيمة في زمن بدائي توارى في هياكل شعور الهيكلية ولكن في الأساطير الشعرية وفي العادة العامة هوت مكانهم الى هرتبة الشياطين Daemons وتجعل منهم بعض التقاليد كهنة في العصور الاولى - (المترجم) *

بما أن الاله يتاح عنده هو هفايستوس Hēphaistos (١) *
ويبدو أنه كان يحتفل بشعائر محجوبة في المعبد الذي كانوا
يملكونه في منف *

كان متاح يتمتع بشخصية الاله الخالق بوصفه صانعا،
وربما كذلك بوصفه تاتين ، الذي امتزج به في سرعة
وسوف نتحدث عن شخصيته الخالق فيما بعد ، وقد تكونت
له شيئا فشيئا اسرة * وكانت زوجته « سخميت » (سخل
١٦٠) ، الالهة الرئيسية التي كان لها وجه لبوة ، وكانت
تستتر على سرسها في عهد الامبراطورية الهندية في طيبة
في مقدس دوت المسك بالمياه من ثلاث جهات « اشرو » *
هل كان سولنها المصري منب ؟ هل يجاب من لا يبولس ؟ اننا
لا ندري شيئا عن هذا . ولكن سرانها الشمس والدماء
كانت تجعل منها « سيدة الحرب » ، وكان في قدرتها أن
تعود الى باست الوادعة . التي كانت تمسك بظفرها
الهاديء * ولقد كان لدى كهنة أدفو شغيرة لتهدئة « سخميت »
وقد نالا عن هذا ، شان يجب ان توجد في كثير من المقدس
الاضرى لانه كان يتختم ، دون انقطاع ، ادخال السكينة
عليها ، ولم تصنع مديحة عندما وكل اليها أن توقع
القصاص بالناس الذين ثاروا ضد رع ، الى حد أن استبدعت
الحال اسكارها لايقافها ؟ ولقد كانت أيضا تصحبها حاشية
مروعة من الكوارث والأمراض ، حتى ان أفرادا مهينين من

(١) هفايستوس (Vulcan) : Hēphaistos

يرسم أشعث الشعر وله لحية ، وردأه يصل الى ما فوق الركبة وينحسر عن الكف
والذراع اليمنى . ويضع على رأسه قلنسوة مستديرة محدبة . وفي يده اليمنى مطرقة
وبيده اليسرى حديدة ذات كلبتين *

كان ابن جوبيتر Jupiter وجونو Juno (= زيوس Zeus وهيرا Héra) .
ولد قويا ونشيطا ولكنه كان يشع المنظر قالقا به من السماء الى الأرض ، فوقع على جزيرة
Lemnos واصابه العرج من جراء كسر سافه . وعين به نساء الجزيرة وسفينه .
وكان ماهرا كادحا واتخذ صناعة الحدادة وتخصص في صناعة الحل والدروع والمناجل .
وفي اسطوره اخرى انه ولد من يوتو بمساعدة الريح . وقد ألقت به في البحر
لبشاعة شكله حتى يظل دائما في الأعماق . وظل تسع سنوات محاطا برعاية تيتس *

كهنتها كانوا اخصائيين فى مهمة شفاء الأمراض : لأنهم كانوا يحيطون علما بالوسائل التى تسحر ربّتهم المخيفة .

ولقد كان يوجد اله قديم جدا ، فى نفس المنطقة وكان يدعى نفرتوم (شكل ١٦) . وكان يرمز اليه يزهره اللوتس تعلوها ريشتان . وفى غضون عصر الامبراطوريه الحديثه ، اصبح ابنا لبتاح وسخمت ويؤلف النالوت الذى يصادفه المرء فى مثل تلك الوفرة فى اواخر قرون الدين المصرى .

وفى جهة الصحراء ، فى منطقة الجبانه التى نطلق عليها الآن سقارة ، كان يوجد مقر لاله جنازى ، منذ ازمته بعيدة . وكان يدعى صوحارس (١) (شكل ١٦) ، وتبينه صورته فى غالب الاحيان براس صقر . وكان له قارب ذو شكل استثنائى : فى الامام ، كانت المقدمة المزودة بمجاذيف عديدة جد متقاربه ، تنحنى صوب الداخل مزدانه براس مهاة بقرنيها الطويلين . وفى الوسط كان يوجد جوسق جزؤه الاعلى مستدير ويقوم بالحفاظ عليه نفر من الملائكة الحراس ويحتوى على صورة الاله محنطة . وسرعان ما استغرقت شخصيه بتاح شخصيته . وعندما فرض اوزيريس نفسه كاله للموتى لما يقرب من مجموع القطر ، أصبح يدعى « بتاح - صقر - اوزيريس » .

وفى مدينة منف الغاصه بالسكان ، كانت تزدهم اعظم العبادات بتايها . ولم يكن يوجد فقط ستة او سبعة آلهة بتاح مختلفه بل كذلك آمون اله طيبة أو رع ، وفى حى برنوفى Périnoufé الذى كان يقطن به كنعانيون ، كانت توجد آلهة بعل وآلهة عشتار . ولا شيء يقدم فكرة عن هذا الحشد من الآلهة أفضل من فاتحة خطاب أنموذجى تكتب فيه

(١) هذه هى الصيغة الاغريسة للفظ skr المصرى الذى «قابل صقر فى الاسم العربيه وقد أبدلت الكاف بالقاف - (المترجم) .

مغنية لحاتحور الى احدى رفيقاتها فى طيبة لتفخر ببدايع
منف - وهى تبدأ بدعاء لآلهة مدينتها موجه من أجل
مراسلتها :

« ها هو ذا ما أقوله لبتاح ، العظيم ، الذى يستقر -
الى - الجنوب - من حائطه » سيد عنخ تاوى (= ممفيس) ،
ولسخت العظيم ، المحبوبة من بتاح ، ولسخت (٠٠٠) ،
ولنب حتبت التى تنتمى الى الباب - العالى ، ولبتاح الباب
القديم ، ولبتاح الذى يصنى الى الدعوات ، والى الآلهة التى
توجد فى داخل « بيت - بتاح » ، ولآمون - رع « سيد عروش
- القطر - المزدوج » وكيش برنوفو **Perinoufér** العظيم ،
ولآمون الذى ينتمى الى « مقر - الآلهة » ، وللتاسوع الذى
يوجد فى « منزل - بتاح » ، ولبعلات ولقادش ولعيت ،
ولبل - زفون ، ولسيد ، ولسمات سيدة عنخ تاوى ، ولرع
(٠٠٠) ، ولبتاح « الجد » الجليل ، ولشمت ، سيدة عنخ
تاوى ، ولبتاح على رأس تاننت ، ولبتاح تحت شجرة البان (١)
التى له ، ولنى ماعت رع الذى يتحد مع بتاح ، ولحاتحور ،
سيدة - جميزة - الجنوب ، باسمها مثير ، ولسيك اله مرى
رع ، ولتويرس (تاورت) شجرة الكاكا (٢) ، ولسخت
رأس - الوادى ، ولآمون نبات الخس ، ولبتاح سيد اقامة
العدالة ، ولبتاح سيد حمو ، وأبيس ، فى منزل - بتاح ،
ولأنويس ، القائم بالتحنيط الذى يوجد داخل الخيمة -

(١) Moringa - اسمها العلمى *Moringa aptera* Gaertn اليسار (فيجى) -
البان ثماره منشورية تحتوى على بذور تشبه البندق الصغير وتسمى عند العامة الحبة
الغالية ولها زيت ثابت جيد - عن الدكتور أحمد عيسى - (المترجم)
Fam. Ebenaceae D. Kaki L. FIL اسم شجرة الكاكا العلمى
واسمها بالفرنسية *Plaquemier Zaki Coing de chine* ، وبالانجليزية *Kaki*
chinese date عن الدكتور أحمد عيسى - (المترجم)
ويرجع أصلها للمناطق الحارة . وقد عرف من هذه الشجرة أو النسجده ما يقرب من
مائة وخمسين نوعا - (المترجم)

الالهية ، سيد الجبانة ، وزيريس ، سيد راسبتاو (١) ،
(٢) وللتاسوع في الغرب ، والملوك مصر العليا ومصر
السفلى الذين يوجدون في الغرب وأولئك الذين يوجدون الى
الغرب من حت بتاح (سنف) (١) ، ولكل اله وكل الهة تكون
في جوار ممفيس : « أرجو لك موقور العافية » .

انتالانتبع في كل مقدس الكاهنة التقية العاملة . ولكن
هذه الرسالة ذات مغزى : فعندما نستحوذ على أصغر وثيقة
دقيقة ، فإن ما يشبه عشيرا من الآلهة يغطي مدائن مصر
وقراها ، كما يتكاثر بين لهرامينا القديسون والعديسات .
وتوجد شواهد ترجع الى أقدم عهود على وجود نور الهى
في منف ، ولكن يبدو أنه لم يعقد الصلة بينه وبين بساح
الا في عهد متأخر الى حد ما . انه بداية بدء ، كما جاء في
بردية هاريس Harris العليسة . با (روح) بتاح الجليله ،
إي أنه يمثل جزءا هائلا من شخصية الاله . وبعد ذلك يلقى
عليه « رسول بتاح » ولكن ماذا يدل عليه هذا التعبير ؟
اننا سنلقى غناء في تمزيقه . انه دون ريب مهبط وحي
أبيس الذى يعلن ارادة الاله وكذلك يتخذ العناية فى امداد
مداينة بوقرة . وبهذه الصفة ، فانه يرسم فى غالب الاحيان
مع مينيقيس (هاريس) Menes ثور مليونبولس الذى
كان يؤدى نفس الدور فى حضرة رع ، أمام مواند القرابين
التي تهيأ لحورس فى ادفو أو حاتحور فى دندرة . ولقد
جرت العادة ، منذ عصر الامبراطورية الحديثة على دفن عجول
أبيس فى دهاليز مقابر سفلية تقع فى داخل الهضبة الليبية
تجاه منف . وفي الفناء الذى كان يحيط سطح المنطقة

(١) راسبتاو - اصل هذا اللفظ فى اللغة المصرية ومعناه فتحة أو باب الممر وهو
اسم شائع يدل على طريق أو ممر فى مثنوى تحت الأرض . وقد توسعوا فى مدلوله فصار
يطلق على مقدس سوكارس فى ممفيس وجبانة الجيزة والجبانة على وجه عام فى الاساطير
الشعري - (المترجم) .

(٢) الاسم الدينى لمنف وقيل ان لفظ Aegyptus اشتق منه - (المترجم) .

المقدسة ، أقيم فى عهد رمسيس الثانى مقدس لتقديم
العبادة الجنازية للثيران الموتى ، أطلق عليه « بيت -
أوزيريس - أبيس » وهو الذى نسخه الاغريق فى لغتهم
بلفظ بوسرا بيس Poserapis . وفى زمن بطليموس الأول ،
أضيف اليه مقدس للاله سيرايس الذى كانت عبادته تعمل
على توحيد الاغريق والمصريين . ولقد كان هذا سيرا بيوم
منف ذائع الصيت الذى عثر عليه ماريت عام ١٨٥١ ، مع
الطريق dromos اليه والبناء نصف المستدير hémicycle
الذى كان يحوى تماثيل الشعراء والفلاسفة الاغريق . ان
مجموعة أدراج البردى الديموطيقية والاغريقية التى قدمها
السرا بيوم للمنقبين خفية ، فى بداية القرن التاسع عشر ،
تسمح بتكوين فكرة عن تصميمه أفضل كثيرا مما يمكن أن
يهيئه الموقع نفسه فى يومنا ، بعد أن أصابه الدمار ، وقد
عبدت الى جانب الآلهة التى صادفناها ، ايزيس وحورس
وعشتار السامية التى مثلت بحاتحور - افروديت ، وسخمت
وتحوت وآمون ، واموئس (امحتب) - اسكليبيوس . وكان
الموظفون المحليون من مواطنين واغريق يشملون فى زمن
حكام بيت لاجوس الأوائل ، من كان يطلق عليهم كاتوخوى
Katokhoi ، ذائع الصيت ، وكانوا وهم يعتزلون تطوعا
يقومون بخدمة الاله ، دون تجاوز حدود النطاق المقدس .

وعلى بعد ثمانية أو تسعة كيلو مترات الى الشمال
الغربى من القاهرة ، قرب حافة الصحراء ، تغطى قرية
أوسيم المتواضعة بقايا خم Khem ، ليتوبوليس Léthopolis
عند الاغريق . وقد كانت حاضرة المقاطعة الثانية فى مصر
السفلى . وكانت تمجد الها له مظهر مزدوج واسم مزدوج .
فأحيانا كانت له عينان ويدعى مخنتى - ارتى ، وأحيانا
أخرى يكون قد فقد عينيه الاثنتين وعند ذاك يدعى مخنتى
- ان - ارتى . ويتضح فى جلاء المنهج الرمضى لهذه الشئانية
فى الشكل :

ان صورته المقدسة هي شكل اله الأفق
« خنتى - ان آرتى » فى شكله كمومياء فى منطقة الجفاف
« خنتى - ارتى » عندما تكون الشمس والقمر فى
محياه :

عيناه اليمنى واليسرى هما قرص النهار وقرص الليل
عيناه الالهيتان تنشران الضوء صباحا ومساء *

وبعبارات أخرى ، يكون لاله الشمس ، هذا الصقر
المحنط ، كما يرسم فى غالب الأحوال ، عيناه عندما يبرز
القمر والشمس • وهو يحرم منهما عندما يتوارى الاثنان •
ولكن من الراجح انه أقل قدما فى لتوبوليس عن الاله
الكبش خرتى ، وطبيعته خافية تماما عنا • ولقد مثل
« مخنتى - ارتى » بحورس فى شكل حرويرس (حرور) •
وكان يشترك فى الفاجعة الأوزيرية ، مما أهله لأن يظهر
فى مكان هام فى الفقرة التى جاءت فى نصوص الأهرام التى
يوجه فيها السباب المهين لجماعة الآلهة الأوزيرية • وكانت
الالهة التى قدمت اليه كشريكة تبدو للاغريق معادلة لالهتهم
لتو : Leto (١) ومن هنا جاء الاسم الذى أطلقوه على مدينة
« خم » التى كانت أهميتها الدينية كبيرة •

وبين الجيزة وأوسيم فى قرية يطلق عليها « اكمتا -
سبد » كان يوجد مقدس لاله شرقى الدلتا هذا ، ومن حول
لتوبوليس فى « خاس » وفى قرية « است » كانت تقدم عبادة
لسخمت • وبالتزام حافة الدلتا ، ولكن على مسافة أبعد الى
الشمال ، فى اتجاه قرية طرانة الحالية ، كانت المدينة

(١) Latone — Leto :

ترسم وهى تحمل طفلها على ذراعيها ، هاربة أمام الثعبان بايثون Python
الذى يطاردها • استبدت الغيرة بيونو (Junen : Héra) لحب زيوس لها • وقد ضربت
فى الاتفاق بحثا عن ملجأ وهى على وشك الوضع • وترفق بها بتون (بوسيدون) وبضربة
برمحه أبرز من البحر جزيرة ديكوسى ولها أخرجت أبولو وديانا • (المترجم) •

« ساخبو » تعبد حراختى (شكل ٦) وكان يرسم كإنسان له رأس صقر يعلوها قرص الشمس . ووفقا لما جاء فى بردية وستكار Westcar ، قدر أن يكون هذا الاله أباً للملوك الأسرة الخامسة ، وعلى هذا كان له شأن فى العصر القديم . وكان يقدم التكريم أيضا الى حربوقراط (شكل ١٠) فى تلك المدينة التى هوت شيئا فشيئا فى مدرجة النسيان .

وعن كذب من طرانه ، يستوى كوم أبى بلو الذى يغطى طرينوثس القديمة . ان اسمها مشتق من الالهة ارموتس التى سبق أن صادفناها فى الفيوم . ولقد كانت تعبد فى تلك المدينة الريفية . ولكن ربة المكان كانت حاتحور سيدة الفيروز ، تلك التى تقيم فى عرض صحراء سيناء فى معبد سراييط الخادم ، حيث تتخذ على التوكيد مكان « بعلات » سامية . ولا تزال بعض أجزاء من حيطان معبدها تقوم فوق ربوة الركام ، كما تعرض كتل أحجار من الأسوار المهتمة الآن فى متحف بوسطن .

وعلى مسافة أبعد الى الشمال ، يغطى كوم الحصن القريب جدا من الصحراء والواقع فى موازاة مدينة طنطا الحالية ، موقع اماو القديمة . لقد اشتق اسمها من أشجار المكان المقدسة (ربما أشجار النبق) (١) ، التى كانت حاتحور سيدتها . وهناك ، كما فى أمكنة أخرى ، كانت تتخذ شخصية بقرة سماوية ، وعلى الأخص سقات حر « تلك التى تغذى حورس » . وكان يطلق على أحد الكهنة « المشرف على حرم ذوات الكمال (أو الجميلات) » . لقد كن كاهنات حاتحور اللواتى يقمن بدور فى شعائرها المحجوبة ، الليلية ، التى لدينا علم بها فى مدامود وفى دندرة وفى طرة . وكان المعبد الكبير ياوى أيضا « خنتى ختى » اله اتريب وحرسافس اله هيراكليوبوليس .

(١) Jubier اسمها العلمى Zizyphus Spina Christi Wills
رمى nbs بالمصرية وتقابل (نبق) العربية = (المترجم)

وعندما نواصل السير صوب الشمال ، ملازمين على الدوام الجهة الغربية من فرع رشيد ، نبلغ نوكراتيس ، التى كان اسمها المصرى بامرى • وبخلاف المدينة التى تنازل عنها أمازييس للاغريق والتى كانت معابدها مخصصة لآلهة هليينية ، كانت توجد قرية مصرية أقيم فيها معبد للاله « مين » • وثمة حاتحور كانت تقيم فيها أيضا • ولو ان الاغريق كانوا قد تعرفوا بعض الآلهة المصرية على أنها آلهتهم هم ، فانه يكون من الشيق أن نلاحظ أنهم لم يقيموا معبدا لحاتحور - افروديت التى كانت مشتركة بينهم وبين الوطنيين •

وعلى قرب من دمنهور الحالية كانت تقع هرموبوليس بارفا ، ولا يبدو فى الواقع لزوم الخلط بينهما • فليس مما يمكن تصويره أن مدينة هرمز توارث لصالح حورس ، الذى كان أقل شهرة لدى الاغريق • وقد اهتم أفلاطون عند مروره على هرموبوليس ، التى كانت على مسافة قصيرة من نوكراتيس ، بالاله تحوت الذى جعل منه بعد ذلك يزمن ، الشخصية الأولى فى الأسطورة التى بلغت حد الجمال والتى أدمجها فى محاورته المسماة « فيدرا » ، ولم يكن يلزم أن يختلف علم لاهوت اله الحكمة والعلم فى خطوطه العراض ، الا قليلا عن ذاك الذى كان ينادى به كهنة هرموبوليس ماجنا • فى عهد نقطانبو (نخت نبف) الثانى ، وكان يتخذ زوجة له « نعمت تاوى » وربما ابنا له « حر نفى » حورس - الكامل • وكان لأوزيريس مقدس قريب من مقدسه • أما عن دمنهور واسمها هو انتساخ بالعربية للأصل المصرى فانها « مدينة حورس » •

وعندما نواصل السير ملتزمين الفرع الكانوبى ، تجاه الغرب ، تصبح الوثائق نادرة ، رغم أن المنطقة كانت تغص بالسكان فى العصور القديمة • ويجب الوصول الى قرية

راكوتس (١) حتى نجد مقدسا للثور أبيس ، وعندما قام الاسكندر بتأسيس الاسكندرية فى ذلك الموضع ، حجبت روعة المدينة الملكية العظيمة ، ذكريات الماضى ولقد حلت عبادة سيرابيس محل عبادة أبيس أو امتزجت بها . ولم يبق من سرايوم الاسكندرية ذائع الصيت ومن مكتبتها ، الا موضعهما وتمثالان لابي الهول لا يكشفان لغز تنظيمهما القديم . وكانت تقدم لايزيس وأوزيريس عبادة ، يؤديها الاغريق عن طوعية لالهى خلاص انسانين وقربيين منا . وفضلا عن هذا ، فان الاسكندرية لم تكن على الاطلاق مصرية تماما . وكان يطلق عليها فى العالم الاغريقى - الرومانى الاسكندرية الملحقة بمصر Alexandria ad Aegyptum ، مما يدل على أنهم تصوروا اضافة هامشية لمصر لا على أنها تؤلف جزءا من صميمها . وعندما حدث فى عهد بطليموس الثالث «أدرجت» (٢) ، أن نوعا من مجالس الكهنة تشكل ، بناء على رغبة البلاط فيما يرجح كثيرا ، لم يجتمع المجلس فى الاسكندرية ولكن فى كانوب ، فى معبد أوزيرى . وعندما أتيح للكهنة المصريين أن يسيروا وفقا لوحى ذواتهم ، منذ عهد الملك التالى ، كانت المجامع المقدسة تجتمع فى منف .

وعلى أية حال ، كان يجب الافادة من المكان كمرفأ منذ زمن بعيد ، ولقد أمكن تحديد تنظيمات ، يبدو أنها كانت أقدم عهدا من تلك التى وضعها المقدونيون واننا نعرف أنه فى عهد أسرات هيراكليوبوليس ، أخضع ملوكها شطرا من الدلتا حتى البحر ؛ ليتمكنوا من الحصول على أشجار لبنان الصنوبرية التى كانت من مستلزمات العادات الجنازية وعبادة الآلهة . ويكون مغريا أن نحدد رحيل السفن المصرية من المرفأ الوحيد الذى كان على شىء من الصلاحية : راكوتيس . خاصة وأن كشفا حديثا قد أثبت وجود معبد ،

(١) الاسم الاغريقى pa Kwtis يرجع الى الاسم المصرى رع قدت وهى : قودة - (المترجم) .

(٢) Evergète - صانع الخير .

على بعد ٢٠ كيلومترا الى الغرب من مرسى مطروح وعلى بعد ٣٠٠ كيلو متر ونيف من الاسكندرية ، وكان معبدا مخصصا لآلهة طيبة ، داخل حصن يرجع الى زمن رمسيس الثانى . ولقد هيا المصريون لانفسهم مقاما فى هاتيك الجهات مع عباداتهم وتركوا فيها آثارا عديدة حينما اضطروا فى مناسبات عديدة الى ترك المجال أمام الغزاة الليبيين ، غير أن التطور البالغ الذى حدث فى منطقة الاسكندرية فى زمن الاغريق قد محا هذه الآثار تماما .

وكان يوجد فى كانوب ، التى تقع الى الغرب من أبى قير الحالية ، معبد ذائع الصيت ، لأوزيريس فى العهد المتأخر . وكانت تجرى فيه صنوف رائعة من الاستشفاء ، استرعت انتباه الامبراطور هدریان ، حتى انه ود لو أنها تحدث فى قصره الصغير تيفولى Tivoli الذى يملكه ، وقد كان يحتفل بأوزيريس بحمله فى نزهة فى قاربه فى وقت أعياد الاله السنوية ، من معبده حتى معبد امون الذى لا بد انه لم يكن يبعد عنه كثيرا . واذا كان اسم كانوب المصرى لا تقوم شواهد عليه قبل الاغريق ، فان شهادة غربية جديدة بالانتباه أوردها اليوس ارستيد Aelieus Aristide وهى ان كاهنا مصريا أكد له فى نفس المكان ان اسم كانوب لم يشتق من اسم ربان منلاوس ménélas ، ولكنه كان سابقا له كثيرا ومعناه فى اللغة المصرية « أرض الذهب » . ان آثارا تذكارية مختلفة ، وكلها لا يرجع مصدرها الى مدن أخرى فى الدلتا ، يبدو أنها تؤيد هذه الأقوال : تماثيل ، وتمثال لأبى الهول لأتممحات الرابع ولرمسيس الثانى . ومنذ عهد قريب استخرج تمثال لأبى الهول من الكوارتز ولرمسيس الثانى من جبانة قديمة ، قريبة من قبو تحت الأرض مملوء بمومياءات أبى منجل : مما يسمح بالظن بأن معبدا لتحت يوجد فى الآمكة المجاورة . وعلى هذا النحو ، تتكشف عبادات أقدم عهدا . ان اسما قام الاغريق بتفسيره وفق منهاجهم ، كما فعلوا

باسمى فرسيه Persée وأنتيه Antée يدعو هنا الى المجازفة
بأن نجدد شباب الموقع ، لو أنا أخذناه بمعناه الحرفى .

لنترك كانوب ، ولنتجه صوب جنوبى بحيرة البرلس ،
لزيارة شاطئ فرع رشيد الأيسر . ففى أحراش الغاب ،
عظيمة الكثافة التى كانت تغطى ، فى الأزمنة البدائية ، هذه
المنطقة غير المحددة التى توارت شيئا فشيئا فى البحر ، كانت
آلهة - صل تستوى فوق ساق بردى ، تقوم بالحراسة .
وكانت تسمى اوتو (واجت) ، (شكل ٢٢) كما كانت
مدينتها بيت اوتو ، تسمى بوتو . وتستخدم النصوص
المصرية ، فى غالب الاحيان اسمين للدلالة عليها : بى ودب .
وفى الواقع ، فان مما يثير الدهشة فى تل الفراعين وهو
الاسم الحديث لمكانها ، روية مخلفات قريتين متجاورتين غير
مختلطتين ومعبد معظم أجزائه التى مازالت باقية ، مزدوجة .
وكانت اقصى الشمال ، منذ بدايات الملكية ، هى الحامية
للملك . وعندما توحدت مع الهة الجنوب « نخت » غدت
تستقر فوق التاج وتفنئ اعداءه بحرقهم . وبالإضافة الى
هذا فانه لما كان يدل عليها ، اسم اللون الأخضر الذى كان
يرمز للنمو والتفتح ، كانت أوتو (واجت) فى المعتاد ،
مصدر غوث ومرح . وقد تمثلت فى البداية بعين رع ،
بفضل الدور الذى كانت تؤديه فوق التاج ، وأخذت هوية
ايزيس التى قدمت لها العون حقا عندما أخفت حورس
الصغير فى الغدران المجاورة لخمس ، لتنجيه عن حيل قاتل
أبيه . ولقد جعل منها الاغريق معادلات لالهتهم ليتو Leyto
وفى زمن هيرودوت كان المعبد يشتهر بأنه مهبط وحيها .

وعلى بعد ٢٤ كيلومترا ، الى الجنوب الشرقى ، كانت
توجد المدينة التى سماها الاغريق اكسويس Xoïs وهى
خاسوو (١) بالمصرية والتى ترجع اليها الأسرة الرابعة

(١) سخا ويرجع اللفظ الى اسمها المصرى - (المترجم) .

عشرة الوطنية ، على ما ذكره مانيثون . وكان ربها القديم «رع» الذى أصبح فى الدولة الوسطى آمون - رع - وكان يصحبه فيها تفتوت وشو . ثم تألف الثالوث فى عهد البطالمة مرة من آمون - رع وموت وخنسو - حر - اختى - الصغير . ولعل بعض هذه الآلهة كان يأخذ شخصية البعض الآخر . وكانت تعبد فيها أيضا حاتحور .

وصوب الجنوب الغربى ، وغير بعيد من فرع رشيد كانت لمدينة صا الحجر (سايس) ، فى جميع الأزمنة ، أهمية دينية عظيمة . وعندما حاول تفناخت اميرها ، حوالى عام ٧٣٠ ، إعادة وحدة القطر ، ثم على الأخص فى عهد الأسرة السادسة والعشرين ، عندما أصبحت الحاضرة ، عرفت سايس شهرة بعيدة المدى . وقد ضاعف من أهميتها وجود مجمع من الكهنة الذين كانوا بلا شك علماء كثيرون النشاط . وفى عهد أسرة ملوك فارس نجح « أوجاحورستى » فى إعادة بناء « بيت الحياة » فى سايس وعلى الأخص مدرستها الطبية . ولقد اقام فيها افلاطون حينما من الزمن ومن الراجح جدا أنه هو الذى وجه اليه أحد الكهنة الكلمة ذائعة الصيت والتي قيل انها قيلت لصولون : « أيها الاغريق ، انكم على الدوام أطفال ! والاغريقى الذى يكون مسنا ، لا وجود له ! » . ولقد أتيح لشامبليون أن يشاهد فناء معبد مقام باللبن . ولقد بدا له أنه « خندق حصار جبابرة » . واليوم ، من المعبد ومن بحيرته المقدسة ومن قبر أوزيرس Osireion ومن قبور الفراعنة الصاويين ، لم يعد شئ باقيا . وتسمح بركة من الماء وسط حفرة منخفضة بظهور بعض كتل من الأحجار المتناثرة وتعكس السماء ، التى يبدد هدوءها البط والأوز .

ومع هذا ، فقد كانت آلهتها نايت (شكل ١٧) احدى معبودات مصر العظيمة . وتذكر نصوص الأهرام وكذبت نصوص النواويس ، أنها كانت تقوم بحماية أوزيرس والمملك المتوفى ، مع ايزيس وسلكس (سرقت) ونفتيس . وقد

كانت بالغة القدم • وكان رمزها سهمين متقاطعين ربما فوق ترس (١) • وكان معبدها البدائي ، عظيم البساطة ، يتألف من جوسق من الغاب بسقف منحني ، يحيط به فناء يضم أشجارا مقدسة • ومنذ الدولة القديمة يبين دعاء موجه اليها ، علماء اللاهوت وهم يتدبرون النظر في الصلوات التي تجمعها باله لا يذكر اسمه : « انها هي التي خرجت منه ، التي خرجت منك » • انها ام وفي الوقت عينه ابنة الاله ، في نوع من التناسل المتبادل • ولكن دورها كمحاربة بالسهام كان يتيح لها ان ترد أعداء رع ، الشمس ، وكذلك أعداء اوزيريس وأعداء الملك • ولن تفقد أبدا هذه الصفة • وقد كانت لها صفة اخرى اكثر غرابة وتخصصا ، فقد كانت تخدر بسهامها الاطيفاف والكائنات الشريرة ، التي تسعى في جنح الليل • ولهذا درجوا على نقش صورتها على الوسائد التي كانت تستخدم عند النوم • وكانت تقوم في علم اللاهوت المتأخر - بإصدار الأمر الى تيثويس والارواح الشريرة وكانت قادرة على السيطرة عليها •

وكانت تصور في العصر المتأخر وهي تقوم بارضاع تمساحين • ذلك انه كان معروفا منذ امد طويل أنها كانت اما لاله سبك وكذلك لشو ولتفنوت • وقد كان هذا الرأي رائعا • لقد جعل من نايت آلهة للبدايات الاولى بما أن شو وتفنوت كانا أول مخلوقين جاءا الى العالم • وكانت أيضا اما لأوزيريس • وان الدلائل التي قدمها لنا الكتاب الاغريق عن موضوعها لتنطوى على علم لاهوت دقيق تكشف العناصر المصرية المعروفة عن بعض جوانبه ، دون أن تتيح لنا تحديده على وجه التحقيق • ولكن نقوش اسنا التي نشرت وترجمت منذ عهد قريب ، تلقي ضوءا باهرا على ربة سايس • وتوضح محتوياتها أن كهنة لاتوبولس (اسنا) أفادوا من وثائق اصلية يرجع مصدرها الى الدلتا وتشهد رسوم أو

(١) يقول ارمان في كتابه (ديانة المصريين) انه قوس - (المترجم) •

إشارات أدبية أكثر قدماً على أن المبادئ وأن وضعت لتناسب الذوق السائد في العصر الروماني ، فانها ترجع أساسا الى حقبة سابقة له كثيرا *

وقد أمكننا أولا أن نحزر بعض قسّمات من علم أساطيرها : في البدايات الأولى تحولت الى بقرة ثم الى سمكة لاطس (قشر بياض) lates (١) ولما كانت قد شبت بالأيقار السماوية البدائية ؛ فقد قامت بنجدة الشمس التي كانت قد خلقتها عندما كانت غارقة في العنصر الرطب *

لقد وضعتها على رأسها وهي في مظهر البقرة «احت» ثم سبحت وهي تحملها بوصفها « مثير » *

وفي معبد بوهن الذي يكاد يواجه وادي حلفا ، ترى البقرة « احت » منذ زمن حاتشبسوت وهي تحمل رع الطفل بين قرنيها * انها ليست أم سبك وشو وتفنوت وحسب ولكنها أيضا أم رع وأوزيرس اللذين ترضعهما كذلك في شكل تمساحين *

لقد أضفيت عليها مجموعة من الأوصاف الالهية ، ولنترك مظهرها المحارب ، فقد كان يتيح لها حماية بطريقة نافذة المفعول ، خاصة وأنه كان يلبس التاج الأحمر تماما كما تفعل هي * ان هذه الناحية من علم لاهوتها التي يبدو فيها الشكل الآدمي الى حد بالغ ، لا يجب ، أن يخفى ، أنها كونية كما سبق أن رأى هذا بروجش وبيرييه Pierrets على الوجه الصائب :

انك القبة السماوية ..

تلك التي أنجبت النجوم ، كلها ، مهما كان مقدارها *

(١) لاطس Lates niloticus ، سمك في النيل من فصيلة القشور serranidae
تعرف له في مصر أسماء كثيرة منها القشر والفرخ وحمار البحر (معجم الحيوان ، أمين العلوف) - (المترجم) *

ومن الجلى أنها كانت ترمز الى المكان الذى تكون فيه
 رع • ولقد كانت كذلك سيدة الصحراء والأقطار الأجنبية
 وخالقة كل ما يوجد فى باطن الأرض من معادن وأحجار
 كريمة • لقد كانت هذا « الكل » العظيم • ولما كانت أقدم
 من جميع الآلهة ، فى باطن المياه الأولى ، فقد جاءت للوجود
 من تلقاء ذاتها • وهذا هو نعت آتوم أو رع الخاص بهما
 على قدر ما هما أبديان ولكنه فى صيغة التأنيث • لقد كانت
 تستحوذ على الأبدية الفضائية والزمنية التى عبر عنها هذه
 المرة بصور لا تستعير شيئا من جماعة الآلهة الشمسية •

إليك التمجيد ،

عاليا كالسما ،

والتبجيل ،

عريضا عرض الأرض ،

والتهليل ،

فى كل لحظات الزمن !

ان تبجيل شخصك

يمتد حتى الأخضر العظيم (١)

انها سيدة الحياة الكونية

انها سيدة الصحة

والحياة رهن أوامرها •

(١) الأخضر العظيم هو البحر ، وفى اللغة العربية الأخضر البحر (المسلسل ص :

١٥٨ مجموعة « قرائنا » - (المترجم) •

ربما كان لهذا السبب انها كانت تقوم على حماية اوانى
كانوب (١) الموتى وتمثلها صورة من أكثر صورها التي
نملكها اغراء ، وهى تقوم مع ثلاثة من صواحبها ، بحراسة
اوانى كانوب توت عنخ آمون • انها كانت تملك « كل
القدرة » • والتي كانت تتجلى ، على الاخص ، فى « ازدواج »
وقد كانت مذكرا ومؤنثة فى آن واحد ، وهو ما عرفناه من
حراپولون Horapollon • وتشرح هذه الامكانية انها كانت
تستطيع ان تكون قدرة خالقة كالاله بتاح ، دون اية معونة
خارجية • وذلك ، دون ريب هو السبب الذى من اجله
لا نعرف لها أى قرين •

وكانوا يستخدمون التورية فى نطق اسمها القريب من
الفيض ويقولون انها المحيط الأزلى وانها كانت سابقة للاله
تاتنن والاله نون ، الذى يصبح ابنها وكذلك فانها هى
الخالقة الوحيدة •

ان كل ما هو كائن خرج من نسلها

ولا يوجد كائن ولد خارج ما قامت بصنعه

(ترجمة سونيرون) •

تجمع النصوص أحيانا على انها خلقت الزمن وكل
عناصره • كما تستخدم الأسطورة أحيانا • وكان من المسلم
به أن اله الشمس رع هو الذى قام بعملية الخلق فى البدء •
ثم ان نايت بعد أن نسلت الآلهة الأزلية ، دون أسماء
ودون تحديد كامل لها قد أخبرتها سلفا بكل ما ستصنعه
الشمس ، وقد كانت كلماتها خالقة • ولقد « لفظت » أيضا
اسم « الشمس » وكان هذا معادلا لجعلها تظهر للوجود •
واذا كان رع بعد ذلك قد خلق تحوت ، فانه كان من خلق
نايت فى المرتبة الثانية • فهى فى النهاية منشئة جميع

(١) الاوانى التى كانت تحفظ فيها اعمام الميت بعد انتزاعها منه - (المراجع) •

مواضع الخلق المعروفة فى مصر وكذلك الآلهة التى صورت الخلق . لقد صنعت مصر ، مركز العالم ، بأكملها وكذلك بوتو وعلى الأخص « دب » وسائيس واسنا وهذا دون حاجة لقول . والاله رع فى مظهره المزدوج كآمون القديم وكخنوم وجماعة آلهة هرموبوليس الثمانية التى لا غنى عنها وأتوم ، وهى أم لأوزيريس ، النبات المتكاثر .

ما أبعدنا عن الارشادات الهزيلة التى كان علينا ان نقتنع بها ! . حين نرى تمثال الفاتيكان حامل النايوس naophore : يسميها أم رع التى أسهمت فى ميلاد جميع الآلهة . حقا ان التمثال الشافى المحفوظ فى اللوفر يحدد أنها كانت أما لحورس ، وهو ما يؤدى الى تشبيهها بايزيس . كما ان ترانيم الصلوات فى اسنا تشبهها يسوئس (الشعري) وبسشسات وبمنحيت وبنبوت وبموت وبنخبت وبسخت وبنوبت وبوررت وبحاتحور وبباستت . وهذا يجعل منها المعبودة الواحدة ، التى ذابت فى شخصيتها الآلهة والالهات ، لهذا نفهم تماما لماذا استطاع يملك أن يذكر فى « الشعائر المحجوبة المصرية » ذات التقليد المذكور فى المقداس والمكتوب بالهيروغليفية فى مدينة سايس المصرية : والذى يقول ان اسم الاله معناه ذاك الذى ذاع فى العالم كله .

واذا رحلنا عن سايس ويممنا وجهنا صوب الشرق ، على نفس خط العرض مجتازين المزارع اليانعة والقنوات ، فاننا نصل الى سمنود الحالية ، على حافة فرع دمياط . لقد كانت فى القدم سبنوتس Sebennytes ، العجل الالهى ، مهد ملوك آخر أسرة وطنية . والتى غدا أنورس - شو ، ابن رع ربها وسيدها وحتى لو سلمنا بأن العجل الالهى ، الأكثر قدما ، كان يمثل حورس ، فقد كانت قرينته تفتوت التى مثلت بمحيت أو بباستت . غير أن أوزيريس وايزيس كان يقيمان بها أيضا .

وليس فى الواقعة ما يستغرب عندما يعلم أن هذه
البلدة تقع فى منتصف الطريق بين مدينتين متقاربتين ،
بهبيت الحجر الى الشمال واسمها القديم اسيوم Iseum
مقر ايزيس ، وأبو صير (بوصيرص) الى الجنوب « جدو »
وطرق أوزيريس ، ومن هذه المدينة الأخيرة لم يعثر الا على
تل من التراب تقبع فوقه قرية حديثة * ومن اسيوم ،
لا تزال توجد كومة من كتل الجرانيت تزخر بها رسوم
دينية * وهذا هو كل ما تخلف عن معبد عظيم يرجع تاريخه
الى الملوك المقدونيين الأوائل وان كان الها المدينتين بالفى
القدم * ولقد أشرك أوزيريس (شكل ٢١) فى (أبو صير) باله
يدعى عنجتى ، لم يغمره النسيان تماما ولكن شخصيته
محتها ، الى حد عظيم ، شخصية رفيقه * على أن الاسطورة
الأوزيرية هى واحدة من أعظم الأساطير التى خلفتها مصر
القديمة ، اثارة للمشاعر * ان معالمها الجوهريّة توجد منذ
عهد الأهرام ، ولكن لم تصل اليها قصة متصلة لأحداثها فى
المصادر الوطنية * ويجب أن نحللها وفقا للعجالة التى
صنفها بلوتارخ عن ايزيس وأوزيريس *

ولقد ولد أوزيريس وحرويرس وست ايزيس ونفتيس
على هذا الترتيب، من نوت الهة السماء فى خلال أيام النسيء
الخمس، ولقد تزوج أوزيريس من ايزيس وست من نفتيس *
وعندما أصبح أوزيريس ملكا ، علم الناس الزراعة وتربية
الماشية والفنون وعلى وجه الاجمال الحضارة * ولما لم تكن
لست قدرة على الخلق ، فقد أتاه النجاح ، بمعونة شركائه
المتواطئين معه ، على أن يورد أوزيريس موارد الهلاك وذلك
بأن حبسه ، بطريق الحيلة ، فى صندوق ألقى به فى اليم *
وعمدت ايزيس وقد أملت بها الفجيعة الى البحث عن الجثمان
وفى خاتمة المطاف وجدته فى ببلوس التى رسا فيها * ولقد
نمت شجرة خلنج (١) حول التابوت ووقته بخشبها * وانتهت

(١) Erica, arborea - خلنج ، اريقى

E. Aegyptiacus - زيل الفار - ريحان فاسد ، عن معجم النبات للدكتور احمد

عيسى - (المترجم) *

الحال بالآلهة ، بعد أن حازت على عطف ملكة المنطقة ، بأن تستعيد جثمان زوجها الذى حملته الى مصر • وفى أثناء ذهابها لبوتو ، لرؤية حورس الصغير ، وجد ست الجثمان ، الذى كانت ايزيس قد أخفته ، وجزأه الى أربع عشرة قطعة ألقي بها فى النهر • ولقد أخذت ايزيس على عاتقها البحث عن الأجزاء المختلفة وأقامت قبرا فى كل مدينة عثرت فيها على جزء منها • ولكن بلوتارخ ، حتى لا يفشى أسرار الشعائر المحبوبة يمسك تماما عن الإفصاح بأن ايزيس نجحت فى إعادة الروح الى بقايا الاله وأحييت زوجها الذى كان عليه ، منذ ذلك الحين ، أن يحكم الأموات • ومع هذا ، فإنه يضيف بأنه أصبح لها من أوزيريس ، بعد موته ، « حربقراط » الصغير ، مما يفهم منه أن أوزيريس عاش من جديد ، ولقد قامت بين حورس وست سلسلة من المعارك والمناظرات انتهت بالانتصار النهائى لحورس المنتقم لأبيه •

ونستطيع — من الناحية الشكلية الخالصة — أن نجد — بفضل متنوع الصيغ البديلة التى أوردها بلوتارخ أو جمعت من التلميحات المصرية ، أن علماء اللاهوت عانوا مشقة فى ادماج حورس فى جماعة الآلهة الأوزيرية • لقد كان حورس (راجع الأشكال ٦ ، ٩ ، ١٠) الها للسماء سحيق القدم ، وراعى الملكية منذ عصر ما قبل التاريخ • وكان له شكل الصقر وكان يرتبط بمواضع محددة تمام التحديد ، مثل مدينة ادفو ، ومثل مدينة بحدتى أى تل البلامون فى الشمال • منذ البدايات الأولى ، هو حورس • وقد كان ، بوصفه اله الملكية ، المنظم الذى يدفع الفوضى والصحراء لأنه سيد القطر الاسود أى وادى النيل الخصيب ، « كيمى » • وكان له ، طوال الزمن عدو هو ست (شكل ٢٨) ، العقيم ، اله القطر الوردى اللون « دشرت » • وكانت المعارك التى قامت بينهما مروعة وعلى الرغم من انتصار حورس ، فإن ست لم يهزم هزيمة ساحقة على الإطلاق ، وكان الصراع يعود بينهما من جديد • وكان يبدو انه أثر

على الملكية ، عينها ، فى نهاية الأسرة الثانية ، حيث أعلن ملك انه ست وليس الاله حورس . كيف أمكن النجاح فى ادخال حورس القديم فى الجماعة الأوزيرية ، التى كانت لاحقة له ؟ ان علماء اللاهوت لا تعوزهم الشروح بتاتا . لقد ذهب تصورهم الى أن ايزيس وأوزيريس قامت بينهما علاقات وهما فى بطن أمهما نوت ، وأنه على هذا النحو ، كان حورس القديم ابنا لهما .

ومهما كان الأمر ، فان عبادة أوزيريس ترجع الى عهد بعيد القدم فى شرقى الدلتا وربما كانت تقوم صلة بينها وبين عبادات آسيا القريبة ، فى عهد ما قبل التاريخ . انه إله الزرع بينما ست ، وقد توطد كذلك منذ عهد بعيد فى نفس المنطقة ، هو إله الحرب والصحراء المجدبة . لقد تشكلت أسطورتهم ، دون ريب ، شيئا فشيئا ، قريبا من نهاية عصر ما قبل التاريخ . ثم حدث إبان ازدهار الدولة القديمة ان امتزجت بأسطورة حورس وست وتوحدت التقاليد وامتد سلطان أوزيريس من الدلتا الى مصر العليا حيث أقام فى ابيدوس . ومن الجلى أن طابع الأسطورة الانسانى العميق قد قام بدور جوهري فى نشر العبادة . ان وفاء ايزيس لزوجها وحب الأمومة التى يملكها وصراع حورس للانتقام لأبيه والاستيلاء على ارثه كانت خصالا من شأنها أن تلمس قلوب الأوفياء وتوسع دائرة المؤمنين . وكما أن أوزيريس قد أصبح الها للموتى ، فقد استطاعت ايزيس العثور على « دواء الخلود » ووفقا لما جاء فى ديودر ، كانت « المخترعة لكل حياة » كما قال التقى ازيدوروس Isidoros . لقد صنعت من أوزيريس بسحرها نموذج الموتى الذين استدعتهم لحياة سعيدة . ويفضلها كان أولئك الذين يتخذون هوية أوزيريس ، الذين يصيرون أوزيريس بالاشتراك فى شعائره المحبوبة ، يجدون الحياة ويوطدون من جديد ليعيشوا الى الأبد . ولقد أصبح الدين الأوزيرى دين الخلاص . وبهذه الصفة ، برزت كل الأسطورة الأوزيرية فى نصوص الأهرام ،

للحصول على الخلود للملك * وفى الدولة الوسطى يرى المرء كل عامة الشعب يتمنون « التآزر » ، اذا جسرنا على المجازفة باستخدام هذا التعبير .

على انه لم يكن كافيا - لكى يتحول المرء الى اوزيريس - أن يتلقن الشعائر المحبوبة ويمارس الفرائض وإنما كان من الواجب ان يسير وفق المثل الاعلى الخلقى عند الاله الذى قدم للناس الحضارة - لقد كان اوزيريس اله الخير - وعلى هذا كان واجبا على الانسان الذى يريد التمثل به ، ان يتمرس بالخير - وقد كان على اوزيريس ان يحاسبه قبل أن يدخله حياة النعيم ، وفى عهد الامبراطورية الحديثة ، يقدم كتاب الموتى فى استفاضة ، قائمة الذنوب التى كان يجب أن يكون المرء مبرا منها حتى يمكنه أن يجتاز مظفرا المحكمة المروعة .

وبعض هذه الخصال على أرفع مستوى خلقى : « لم اكن سببا فى بكاء أحد ، لم أصب أحدا بالأم ، لم أبعد اللين عن فم صغار الأطفال ... » لم أجدف على الاله ، لم أمتلىء صلفا » - وهكذا وسع دين اله (أبو صير) ، دون انقطاع ، دائرة اشباعه - والملوك الذين درجوا فى الأسرة الثامنة عشرة على وضع اوزيريس ، يمثله الزرع النامى ، فى قبورهم لم يتخلوا عن ذلك لصالح الشعب وحده .

وفى عهد الامبراطورية الحديثة خلع دين آمون على نفسه خصيصة خلقية جليلة كل الجلاء - كان اله الامبراطورية يحتم على الانسان احترام العدالة وأن يتقرب بها اليه ، وكثيرا ما كانوا يعرفون اوزيريس - مستخدمين التورية باسمه « الخفى » - بأنه « ذاك الذى يستخفى اسمه » وذلك ان مقتضياتها الخلقية كانت متقاربة .

وإذا كان عدم جمع الوثائق كلها حتى اليوم قد جعل من العسير علينا أن نتقصى تاريخ غزو أوزيريس للسماء المصرية ، فإن المرء يطالع منذ العهد الأثيوبي توسعا بالغا في عبادة هذا الاله • ففي الكرنك ، يحيط معبد آمون بهياكل من كل نوع وينتهى بأن يستحوذ فيه على معبد مولده • ان أربع عشرة أو ست عشرة مدينة تحتفل ، في ورع شديد ، بأعياد البعث في شهر كيهك وقد أقامت ايزيس في كل منها ضريحا بعد عشورها على جزء من الجثمان المقدس •

ولقد ذكر تعدادها في عناية ، في الورد المحفور في أحد القبور الأوزيرية في دندرة ، وقد كانت ايزيس تحتل الى جوار زوجها ، مكانا هاما • ان الأم التي تستدر الشفقة وهي ترضع الطفل فوق ركبتها بعد اغتيال الاله ، كانت صورة تثير المشاعر الى حد بالغ جعلها تأخذ مكانها في القلوب • وفي عهد أسرة لاجوس اجتاز الثالث الأوزيري حدود موطنه الضيقة •

ولما لم يكن للاغريق ما يعادلها فقد تبناها في يسر • وقد كانت لها معابد في ديلوس في القرن الثاني ق م ، وفي بومباي ، توجد معابد وبيوت وآثار قد نقشت عليها مراحل تطور دين ايزيس في ايطاليا •

ولقد جاء عرض لها في قصة ابيليه دي مادور Apuléo de Madaure • ووصلت الى بلاد الغال وشطوط الراين ، شمال — شرقى الامبراطورية ولم تخل مكانها الا للمسيحية •

وفي مصر نفسها ، يمكن تقصى المنعطفات التي ارتفع بها أوزيريس وايزيس — اللذان لم يكن لهما الا دور ثانوى ، على غرار كثير من الأرباب المحليين غيرهم — الى مرتبة الهة الكون • ان مغزى الأسطورة ، في الواقع ، واضح كل الوضوح • ان أوزيريس ، اله الزرع يموت ، أثناء فصل

الجفاف • ويغطي الفيضان الأراضي الصالحة للزراعة.
ولا يبرز من المياه غير القرى أو الصحراء الصهباء وحينئذ.
يكون هو المظفر •

ولكن ايزيس تعيد للحياة زوجها ، ومن جديد ، تعمل
الأرض على ان يخرج النبات فيحيا ويأتي بالثمار ، على شريطة
ان يسود القطر النظام • وكذلك يرمز اوزيريس الى
الحضارة • انه هو « الذي يرسى ماعت في ارجاء الشط
المزدوج (مصر) والذي يضع الابن على كرسي أبيه ، الذي
لا يكف عن تقديم الحمد لابيه جب والذي لا يكف عن حب
امه نوت » • انه يتقاسم مع رع حق توطيد ماعت وربما كان
له هذا الحق منذ القدم • فضلا عن هذا ، فانه يعد الها
ازليا منذ الدولة الوسطى • وحكمه كونى ويمتد فوق الماء
والهواء وحياة الزرع والتربة والسماء • لقد مثل برع
نفسه واصبح الها خالقا دون ريب فى اثر الاله الشمسى •

وكذلك اضيفت عليه نعوت آموت : انه « ملك الآلهة ».
او بالمعنى الحرفى « الملك الجنوبى والشمالى للآلهة » • هو
فى كلابشة فى النوبة « ملك مصر العليا ومصر السفلى ،
الوصى ••• حاكم جميع الآلهة ، الذى خرج من الرحم
واليوراييس على محياه وقد خلق قرص الشمس فى رحم
أمه » • ومنذ عهد الامبراطورية الحديثة ، كذلك ، تصوره
فى شكل ينتمى الى مذهب وحدة الوجود (١) ، الذى كان قد
تاكد فى الدولة الوسطى :

ان تربة الأرض فوق ذراعيك ،

وأركانها تستقر فوقك ،

حتى عمد السماء الأربعة •

١٤

(١) Panthéisme - مذهب وحدة الوجود • مذهب من يجعلون الله والعالم شيئا
واحدا وله صورة مخنئة باختلاف الفلاسفة - (المترجم)

وإذا تحركت ، فإن الأرض ترتعد . . .
 إن كل ما يوجد فوق الأرض
 يظل فوق ظهرك
 وكل شيء يستقر فوق عمودك الفقاري *
 أنك أب الناس وأمههم
 أنهم يعيشون بأنفاسك
 أنهم يطعمون لحم جسمك ،
 والآله الأزل ، هذا هو اسمك *

ومنذ الدولة الوسطى ، كان له أسماء متعددة - وفي
 عهد البطالمة ، يشير كتاب دعاء وردت فيه أسماء جميع
 الآلهة ، في جلاء ، إلى أنها أسماء أوزيريس ، المعبود
 الأصلي .

ولم تكن ايزيس ، من جانبها ، مدينة بشيء لزوجها *
 من الجائز أنها كانت في البدايات الأولى الهة سماء - وعلى
 أية حال ، فإنها منذ زمن مبكر جدا ، اتخذت شخصية الهات
 أخريات وفي العهد المتأخر أصبحت عند المصريين ، قبل أن
 تصبح في العالم الاغريقي - الروماني ، معبودة كونية ،
 وفي طيبة ، يعلم الكهنة أن « أفق السماء الغربي بين ذراعي
 ايزيس ، والشرقي بين فخذيها » وفي دندرة « أنها
 جاءت للوجود في البدء » مما كان يجعل منها الهة أزلية *
 وهناك يقوم خلف معبد حاتحور المقدس الذي ولدت فيه ،
 « في ذلك النهار الجميل لليلة الطفل في مهده ، ذلك العيد
 العظيم الذي يعم نطاق القطر بأجمعه » وقد ولدت ايزيس
 في دندرة أنجبته « ايت » المبعلة (وهذا اسم لنوت) في
 هيمنة امرأة سوداء ووردية ، ممتلئة حياة ، عذبة الحب ،

وقد قالت لها أمها (نوت) عندما رأتها : «كونى خفيفة (از)»
لدى أمك! وهذا هو السبب فى أن اسمها كان ازييس» (١) .

ان هذا الاشتقاق ليس افضل مما يجرى عليه المحدثون
ولكن له ميزة ان به ، على الاقل ، رشاقة ورقة ، وهنا أيضا.
تذكر النقوش الدور الذى أدته الالهة فى الخلق . لقد غدت
ما كانت ستؤول اليه ايزيس ابيليه Isis d'Apulée انها فريدة.
تماما على شاكلة ايزيس مدينة ماضى أو ايزيس بردية.
أو كسورنخوس Oxyrhinque (البهنسا) :

« انها » ننجبت « فى الكاب و » تانت « فى هرمونش.
(أرمنت) و « ايونيت » فى دندرة و « ايزيس » فى آبيدوس
و « سشات » فى أونث ، و « حكت » فى انطينوى . . .
و « نيت » فى سايس . . . وسيدة فى كل مقاطعة ، انها هى
التي توجد فى كل مدينة ، فى كل مقاطعة مع ابنها حورس» .

انها لا تختلف عن نيت أو عن غيرها من المعبودات
المصرية المحلية ، بما لها من ادعاءات ، غير أن من المؤلم أن
نرى هذه الادعاءات لدى آلهة نازعت ميثرا ونازعت المسيح
على السيادة الدينية فى عالم البحر المتوسط .

فى استطاعتنا أن نجتاز فى سرعة شرقى الدلتا ، الآن ،
ونهبط الى هليوبوليس . ذلك أننا لن نجد مصادر تتيح لنا
أن نعيد تكوين لاهوت مماثلة ، وإذا سرنا الى الشمال ،
والى الشرق من فرع دمياط ، نجد تل البلامون الحالى يحتل
موضع سام — يحدث ، موطن حورس ادفو . وهو ، اله مصر
السفلى ، الذى ناضل ست ، اله أومبس ، وكان قصارى أمره
أن تغلب عليه فى كل مكان ، أو استبعده . وكان يرسم فى

(١) وقد عبد صنم فى الجاهلية باسم اسيه — (المترجم) .

شكل قرص بجناحين منشورين * ومع هذا ، فقد كان عليه أن يرجع القهقري أمام جار مقلق له ، هو آمون الذى كان يقيم على مقربة منه مع موت وخنسو * وعندما نعبّر النهر صوب الجنوب * فاننا نصل الى طما - الأمديد ، منديس القديمة حيث كان يعبد كبش يدعى « الكبش - سيد - منديس » * على أنه يحتمل - فى الواقع - أن يكون الكبش قد أخذ مكان تيس قديم له قرنان أفقيان انقرضت سلالته فى الدولة الوسطى ، فقد كان هو وحده الذى يستحوذ على مثل هذه القرون * لقد كان انه الخصب والتناسل * وكانت قرينته الالهة حاتميت التى ترسم وفوق رأسها سمكة -

وصوب الشرق ، وعلى بعد قرابة ثلاثين كيلومترا ، فى خط مستقيم يغطى موقع صان الحجر ، فسيح الارعاء ، مدينة تانيس القديمة ، التى شيد بها ملوك الأسرات التاسعة عشرة والعشرين والواحدة والعشرين ، معابد بالغة الأهمية - وكانت معبوداتها آمون ورع وبتاح وست وأتوم وأوتوا (واجيت) * وكان يتقبل العبادة فيها ايضا ، حورون وعنات ، وهما من أصل سامى * وكانت عنات تستحوذ فيها كذلك على معبد شخصى * غير ان هذه الآلهة لم تكن لها - كما نرى - خصائص الآلهة المحلية * ويبدو أنها تجمعت بارادة حكام كانوا يرغبون فى تطور تلك المدينة فى الدلتا ، نظرا للصعاب التى يمكن أن تقوم فى الشرق * وكان لست الذى تعرف الهكسوس شخصيته فى معبودهم الأصلي الذى لا شك فى أنه بعل ، مقر هو الآخر فى هاتيك المناطق وعلى الأخص فى مدينة أفاريس الممقوتة ، التى كانت أسراتهم تحكم منها مصر « دون رع » * وعلى مسافة أبعد الى الشرق ، فى ثارو ، التى يرجح أنها القنطرة الحالية ، على حافة قناة السويس ، كان يعبد حورس فى رفقة أوزيريس وايزيس * وفى العودة صوب الدلتا ، كانت شدنو القديمة ، فاربيتوس pharbaithos وهربيط الحالية ، مركزا لعبادة حر

مرتى « حورس ذى العينين » • وكانت هاتان العينان وهما ،
الشمس والقمر ، قد أنتزعهما ست منه فى خلال معركة ثم
أعادهما اليه تحوت • انه يشن قتالا مع المارد أبوفيس الذى
تعرفوا هويته فى العهد المتأخر فى ست ، بينما كان ست
قد حارب فيما سبق عدو الشمس •

ويبدو أن حاتحور - ايساس وأوزيريس كانا الهين
شريكين • وعلى مسافة أخرى الى الغرب ، كان يوجد فى
ليوننتوبولس ، تل المقدام الحالية ، معبد « الأسد - ذى -
النظرة - المتوحشة » ميوسس • ويبدو أن الاله لم يكن بالغ
القدم • انه محارب يصارع مع رع ضد أبوفيس • وهو
يقدم أحيانا على أنه اله شمسى وتنسب اليه نصوص اغريقية
خصال اله ريح وعواصف •

وكان يربى فى معبده « أسد - حى » ، وكان يدفن فى
خريح قريب ، وكان ميوسس يعتبر ابنا لباستت التى كانت
جارة له • وكانت باستت تسود دون منافسة فى بوباسطة ،
حيث كان لها معبد عظيم ، توارى اليوم •

لقد كانت معبودة ترجع الى عهد بعيد القدم ولكن من
العسير تعريف شخصيتها لأنها أحيانا تكون قطعة وأحيانا
أخرى لبوة وكانت منذ نصوص الأهرام ، تمثل بالهات
أخريات • ومع هذا فان ، ما كان يبدو أنه يغلب عليها هو
الوداعة • وكذلك كان يقال عن حاتحور ، « انها سخمت فى
الغضب وباستت عندما تكون فرحة » وكانت تقام من أجلها
أعياد تطابق عيد النشوة الحاتحورى ، وقد وصف هيرودوت
مظهرها فى القرن الخامس وذكر : « انه يتناول أثناء هذا
العيد مقداراً من نبيذ العنب أكثر مما يتناول بقية العام » •
وكان المعبد يضم قطعاً مقدسة •

وقد عثر على مومياوات لها وكذلك على عدد لا يحصى من
التمائيل الصغيرة البرونزية التى تمثلها • وفى النهاية ،

آلف الكهنة ثالوثا كان آتوم يقوم فيه بدور الزوج وموسيس.
أو حد - حنكو بدور الابن *

ومن بين معبودات وادى الطوميالات ، يجب على الأقل.
أن تكون لنا معرفة بالمعبود الأعظم أصالة * « سبدو » رب
صفط الحنة باسبدو القديمة * ويحمل هذا الاله - الذى
يمت الى اصل اسىوى يرجع الى عهد ما قبل التاريخ - لحية
سامية كاملة كثيفة وليست لحية الالهة المصرية النابتة عند
الذقن وحدها ويعلمو راسه تاج وریشان محدبتان لهما مظهر
اجنبى يلاحظ كذلك فى منزله الذى يشده حزام ، ولذا كان
سيد البلاد - الاجنبية وسيد الصحراء الشرقية * وقد امتد
نفوذه ليس الى أسيا الدانية وإلى شبه جزيرة سيناء وحسب ،
ولكن كذلك الى ساحل البحر الاحمر حتى القصير * وقد
اعاروه رأس صقر حورس ليبدو فى مظهر اكثر مصرية
وشيينا فشيئا ربطته عوامل التمثيل بحراختى وشو
وموسيس *

وعندما نعود صوب منف (ممفيس) ، فاننا نصل الى
ليونتوبولس أخرى ، تدعى تل اليهودية ، تكريما لذكرى
المعبد المنافس لمعبد أورشليم (بيت المقدس) الذى قام
بتشييده أونياس والذى أغلقه فسبازيان Vespasian وكانت
تقدم العبادة فيه لشو وتفنوت ، ولكن من العسير القول ان
عبادتهما المحلية كانت قديمة ، بينما كان هذان الالهان - كما
يبدو - شخصيتين لاهوتيتين على وجه الخصوص *

ونصل فى خاتمة المطاف ، الى هليوبوليس « مهد كل
اله » ، كما جرى عليه القول ، فى الدولة الوسطى * ولا شيء
أعظم مدعاة للأسى من أن معبد تلك المدينة توارى تماما ولم
تبق الا مسلة سنوسرت الأول ، التى تشير الى مكان المعبد ،
مع أن عمائرها الدينية كانت تنافس عمائر طيبة ومنف *
لقد شاهدها هيرودوت فى تمام بهائها وقدم اليها أفلاطون

ليناقش كهنتها • وكان يوجد بها بخلاف معبد رع ، الذى كان طول احد جوانب فنانه يزيد على ألف متر ، معبدا أتوم و حورس • وكان يطلق على المدينة اسم « أون » يضاف اليه « رع » أو « الشمال » للتفريق بينها وبين هرمونشس . (ارمنت) او دندرة • وفى البداية كان أتوم سييدا لها : انه اله للعالم السفلى وكان حيوانه المقدس النمس ، ودون ريب . تعبان الماء (١) وقد كانت هذه السمكة ، على اية حال . هى التى تصور على الصناديق الصغيرة المصنوعة من البرونز فى العصر المتأخر والمرتبطة بعبادتها • لقد كان أتوم اربيا وخالقا • لقد تجمع محتملا - كما كان يقال بالتورية باسمه - فى باطن المحيط الاول • ثم ظهر تل الرمال الذى استطاع الوقوف فوقه لخلق اول زوج • ولقد تعرفوا هوية ذلك التل فى الحجر « بنين » ، الذى ظهرت فوقه الشمس •

ولكن ما يميز مدرسة هليوبوليس هو طابع تفكيرها النظرى وقد تبنت فى البداية - ولا تدرى كيف حدث ذلك - الى جانب الاله أتوم ، الاله رع الذى يحمل اسم الشمس ، عينه ، فى اللغة المصرية • ولهذا فان هويته جلية تمام الجلاء • وقد كان أيضا الها خالقا ، démiurge على شاكلة أتوم الذى يحتمل أنه استعار منه أكثر من قسمة مميزة • ولكنه أضفى عليه طبيعته الشمسية فكيف أمكن تنظيم وجود هذين الالهين معا ؟ لقد ذهب تصور الكهنة الى أن أتوم كان شمس المساء ، قريبا من (اتمام) نفسه على الأرض بينما رع كان شمس الظهيرة ، فى السميت • وكان يكفى خاق شكل من شمس الصباح ، فكان الاله خبرى « ذاك - الذى يجيء - للوجود » يمثله جعل يكتب اسمه بنفس الحروف الأصلية • وكذلك ، يقرأ الانسان فى ورد يرجع

(١) anguille اسمه العلمى Anguilla vulgaris. Eel انقليس وانكليس
(يونانى معرب) سمك فى المياه العذبة والبحر الملح يعرف فى الشام بالجنكليس وسمى
مجدد بـ تعبان الماء • معجم الحيوان - أمين المظوف - (المترجم) •

الى عصر الامبراطورية الحديثة وان كان مضمونه يرجع الى
عهد أبعد قدما :

التحية لك يا أتوم ! التحية لك يا خبرى !

لقد جئت للوجود فوق التل الأزلى ،

لقد ظهرت فوق الهرم فى مصر العنقاء فى هليوبوليس *

وأخرجت من فمك شو وتقنوت *

وفضلا عن هذا ، ثان رع يرتبط بحراختى العتيق ،
حورس الاق - كما كانا - فى غالب الاحيان - يمتزجان
باسم رع حراختى الذى كان يرسم كإنسان له رأس صقر
يحمل قرص الشمس فوق رأسه * ولم تكن هذه المعبودات
الثلاثة تشكل فى الماضى غير معبود واحد ، فى نظر علماء
اللاهوت * ويمكننا أن نحدد تاريخ تطور رع ، بفضل هذه
الأسباب التى تربطه بالملكية * وقد نجح فى عهد الأسرة
الرابعة فى فرض نفسه الى جوار اله الامبراطورية ، بتاح ،
وأضاف الملوك الى قائمة أسمائهم اللقب الجديد « ابن رع » *
وتعرض اسطورة كيف أن الملوك الثلاثة الأوائل فى الأسرة
الخامسة كانوا أطفالا بأجسادهم ، وتعتبر الأسطورة عن ذلك
بمصطلحات يتبين فيها المرء تكييفا لموضوع يتصل بالصلاة
يطلق عليه فيما بعد « المولد الالهى » * ونحن نعرف صيغة
منه ذات طابع عتيق جدا ، من عصر حاتشبسوت وكانت
ما تزال تقدم فى صورة تتضمن تعديلا طفيفا خلال الأيام
التي كان أنطونيو وكليوباترة يريان فى ذاتهما تجسيدا
لآلهة الاغريق *

كيف حاول علم لاهوت هليوبولس تنظيم جماعة الآلهة
وتوحيد هذا العالم الالهى ، الذى لا نهاية له ، اننا سنرى
هذا على التو * يجب أن نضيف فقط أن ثورا ، يشبه المعجل
أبيس وهو منيوس (مرور) ، كان يكرم فى هليوبوليس

ويطلق عليه كذلك فى زمن متأخر « رسول رع » . وكانت له مهام تشبه تماما مهام ابيس . دون ان يعرف مثل تلك الشهرة الواسعة . واخيرا فان البيلشون الرمادى ، الطائر بوينى (بنر) الذى نسخ بالاغريقية Phoinix (وهو العنقاء) عرف شهرة واسعة . وعلى الاخص منذ ان قص هيرودوت مغامراته الاسطورية .

هكذا ينتهى حجتنا للمعابد المصرية . وقد كان فى قدرتنا ان تضاعف وقفاتنا الى مالا نهاية ، فما توجد قرية فى الوادى ، لم تستحوذ على معبد لها ، مهما كان شأنه متواضعا ! ولقد تلبثنا فى بعض الامكنة التى كانت موضوع بحوث حديثة ، غير سستهدفين سوى توضيح كثافة التقاليد الدينية . عندما تسمح الوثائق بأن نعيد تكوينها . وقد يحدث احيانا ان تكون الكتابات الأدبية فى احدى المدن وفيرة ، تتيح لنا أن ننفض الى أعماق خصائص أحد الآلهة ، كما يحدث نقيض ذلك فى احيان أخرى . حيث توجد عبادات لا بد انها كانت على درجة عظيمة من الأهمية ، لا يمكن أن نعرف الا النزر اليسير عنها لنقص المعلومات . ان العلم بأن قديسا يكرم فى احدى كنائسنا لا يسمح الا قليلا ، بمعرفة عبادته وشخصيته ، فى حين أن الشيء الذى يجب الوصول الى التثبت منه هو قدمه وأصله . أى قديس من بينهم ، يحتفظ فى كنيسته بأحجار يرجع تاريخها الى عصر سابق للمسيحية ويملك احيانا مزايا ما تزال قادرة على التأثير ، ففى أحد وديان جبال البرانس يوجد هيكل منعزل ، شيد فى القرن الحادى عشر آدمج فى بابه مذبح ندور عتيق مقام للاله المحلى . وقد أقيمت كنيسة للعدراء « نوتردام » معلقة فى سطح أحد جبال الجنوب العسية فوق سقيفة حجرية (دولن) (١) من عصر ما قبل التاريخ . كما

(١) Dolmen - أثر يتألف من حجر عظيم مستو فوق احجار منحوتة ، قائمة .
تكون غرفة دفن ، فى عهود ما قبل التاريخ - (المترجم) .

أن كاتدرائية سوراكيوز Syracuse بنيت داخل معبد للآلهة
 أثينا ، وتسمح دراسات تجرى فى عناية بأن نرى ما اذا كانت
 الاعياد التى يحتفل بها لهؤلاء القديسين او القديسات
 والقدرة التى تنسب اليهم لا ترجع الى زمن بعيد فى عهد
 ما قبل التاريخ او فى العهد التاريخى . لقد امكن وضع
 كتاب عن القديسين ، خلفاء الآلهة . . . ولقد لاحظنا اننا
 مهما رجعنا الى اعماق تاريخ احدى العبادات و العقائد فى
 مصر ، فاننا لا نصل بتاتا الى حالة سابقة للمصرية ، ولكن ،
 على الاكثر فى استطاعتنا احيانا أن نستشعرها سلفا .
 وكذلك فليس فى قدرتنا أبدا أن نلمس تفايرا جذريا بين
 مراس دينى ما ، وبين علم اللاهوت الشامل ، وما أندر أن
 يحدث أن نجد بعض القسمات الخاصة التى نجد أسبابا
 لنسبتها الى مدرسة محلية ! - على أننا لا يمكن أن نكون على
 يقين تام من أننا أصبنا الحقيقة ، وعلى أية حال ، فاننا لا نصل
 الا الى آراء دينية مزجت وأعيد مزجها واختلطت بكل علوم
 اللاهوت الأخرى وتأثرت بالكثير من جانب شعب قديم جدا ،
 ولم تبذل المحاولات لتوحيدها وحسب بل ولاعطائها شكلا
 واحدا ، وقد أعيدت صياغتها الى الحد الذى يصبح معه من
 العبث الاعتقاد بإمكان الرجوع الى المصادر الأولى . فهذه
 المصادر تقع قبل اختراع الكتابة وتخفى علينا كل الخفاء .
 ومنذ الأسرة الثالثة ، كان المصريون الذين دونوا كتابة
 النصوص الدينية أو صنفوها ، قوما على درجة بالغة من
 التحضر والتهذيب فسروا على أسلوبهم وعرضوا على
 نهجهم ، الأساطير والشعائر وعلم اللاهوت . ولن يتاح لنا
 الخروج من الكساء الذى نسجوه لمعتقداتهم ، ويبدو لنا أنه
 سيكون وهما تاما أن نعتقد امكان الوصول بالتحليل الى
 اكتشاف عناصر غير قابلة للايجاز .

الفصل الخامس

● التحديد اللاهوتى

من بين القوى الالهية التى كانت تعبدتها مدن مصر وقرائها ، قوى كانت تعبد فى كل مكان مع انه لم يكن لها معبد فى اية جهة . وهى المعبودات الجغرافية أو الزراعية (أو الآلهة المألوفة) . كانت تقدم للنيل قرايين فى جبل السلسلة وفى الفنتين وفى شمال ممفيس عند منبع نيل مصر السفلى . وفى زمن هذه الأعياد ، فى الوقت الذى كان يصل فيه الفيضان ، كانت تغنى الأناشيد التى تؤكد مصدره الأسطورى : لقد كان ينبع من المحيط الأزلئ . وكان هو نفسه ذلك المحيط الذى جاء ليخصب مصر . ولكنه ظل خافيا : « ان المكان الذى يقيم فيه ليس معروفا . ولا يجد المرء كهوفه بفضل نجدة الكتب » ولم يستطع المصريون وفقا لما جروا عليه ، أن يحجموا عن جعله الها أزلئيا لقربهم الكبير من المصادر الأولى : انك الأوحد الذى يخلق نفسه ، أنت ، يا من لا يعرف جوهرة (ترجمة برجيه Berguet) . ومنذ نصوص الأهرام ، كان الكتبة يرددون الأغنيات للبناء الذى يجلب الخصب والذى يحمل الحياة للقطر .

أما معبودات المراعى والحقول ، فهى أكثر غموضا ولم تكن تحمل الا أسماء مشتركة تدل على أشكال جغرافية محددة . وكانت تتناوب - فى الأجزاء السفلى من جدران المعابد - مع آلهة النيل البديئة المكتنزة فى حمل القرايين . ولقد التحق بها اله النسيج وآلهة أخرى ، غيره . ولكن

نيرى إله الحنطة وآمه ارموئس إلهة الحصاد التى سيؤول الأمر بها ، عند هذا الشعب من الزراع ، الى أن تصبح إلهة القدر والمسير ، انضما بعد ذلك بزمان وجيز . وكانت ارموئس ترتبط بثعبان منذ ابعد العصور القديمة . ولقد كان هذا الزاحف هو الذى يحدد اسمها فى الدولة الوسطى ، وقد صورت براس ثعبان فى قبر خامحات (خع ام حات) فى طيبة . تتخذ - فى أغلب الأحيان - شخصية احدى الالهات التى تشرف على عمليات الوضع فى هياكل الميلاد وتظل ، أساسا ، سيدة الصوامع والمخازن ، التى عهد اليها بالنهر على وفرة الغذاء . ان هذه المعبودة تذكرنا بالآلهة المساعدة عند الاغريق « ديمون » (١) وبآلهة الزراعة عند الرومان . ان هذه المعبودات تقف فى منتصف الطريق بين القوى السماوية وبين البشر .

لم تكن هذه الآلهة وحدها ، فى المنازل وكذلك هياكل الميلاد حيث كان يحتفل بالمولد الالهى ، كانت توجد معبودات مألوفة ، حاميات الميلاد والنساء اللاتى يضعن ، والاطفال . كانت « تويرس » (تاورت) الالهة التى لها شكل فرس النهر « ومسخت » التى كانت تمثل فى شخصها مقعد القرميد الذى كانت « تستريح » عليه السيدة للوضع ، و « بس » القزم المشوه الذى كانت حاتحور قد جلبته من منطقة « بوجم » الجنوبية ، والذى كانت حركاته تثير ضحك الفال الحسن . وكانت تماثيل هذه المعبودات تنحت فوق الكراسى ذات المساند التى كانت تعد للجلوس عليها ، أو على أخشاب الأسرة . وكانت هناك تعويذات وفيرة العدد تسمح كذلك بحملها ، وعلى الأخص فى العصر المتأخر .

(١) فى نطاق ديانة الاغريق كانت توجد آلهة دون مستوى الآلهة النظام ومن بينها الديمون وهى التى تؤدى وظائف معينة لأن قدرتها ونشاطها تنحصر فى وظائف محدودة وقد اخترع لها اسم Sondergotter أى آلهة اخصائية ومن أمثلتها « بلل - مكة الحراث » واه نسطس Eunostus « بطل الحصاد الجيد » و « بطل القول » الذى يعنى بالقول و « بطل الملاحون » الذى يشرف على ابحر الغلال (المترجم) .

والملك نفسه ، ألم يكن الها ؟ انه يدعى الاله الكامل ،
 فيما جرت العادة عليه ، وكان يسمى حورس وابن رع وكاثت
 الشخصية الالهية التي كان يمتلكها ميتافيزيقية وقانونية
 فى نفس الوقت . كان هدفها تدعيم السلطة الملكية قانونا .
 ولم تكن هذه الشخصية الالهية تنتزع شيئا من صفة الملك
 الانسانية . كان على هذا الملك أن يقدم الحساب للاله رع
 ولم يكن فى استطاعته أن يشتهك ، دون عقاب ، حرمة ماعت
 رمز النظام العام التى يجب تكريمها باقامة العدل والأمانة
 والصدق والاستقامة . وقد صار بعض الملوك آلهة
 سماويين ، كان امنوفيس الأول من عدادهم ويبدو أن
 رمسيس الثانى كان كذلك حتى فى أثناء حياته . ولكننا
 نجهل السبب الذى دعا الى هذه الترقية فى نظام وظائف
 الكائنات . على ان الملوك لم يستأثروا وحدهم بامتياز
 التاله ، فقد آله كذلك رجال كانوا على الأخص وزراء مثل
 ازى أدفو وامنوتيس بن حابو وزير امحتب الثالث ، وعلى
 الأخص اموتس (امحتب) ذائع الصيت ، مهندس عمارة
 الملك زوسر ، الحكيم الذى مثله الاغريق بالههم اسكليبيوس .
 وبينما كان للملوك الذين آلهوا عبادة محلية ، محدودة جدا ،
 فى معظم الأحيان ، فان امحتب قد اكتسب شهرة أعظم
 ذيوعا ، وصلت فى عهد متأخر حتى الى فيلة ، حيث يمتلك
 معبدا بمحاذاة طريق الدخول dromos . وقد آله رجلان
 وكانت تقدم لهما العبادة فى بندرة ، فى النوبة . ولكن
 الأسباب الحقيقية التى من أجلها كانت تقدم لهما أنواع
 التكريم الالهى ، تظل غامضة . كيف تأتى ، على سبيل المثال ،
 أن الفرق فى النيل كان يمكن أن يكون مبررا كافيا
 للتأليه ؟

الواقع أنه لم يكن يوجد بين الناس والآلهة - بمقدار
 ما يمكننا أن نحزر - اختلاف فى الطبيعة . كان يبدو أن
 الاله يستحوذ فى استكمال ودوام ، ان لم يكن دون نهائية
 فعلى الأقل لأمد طويل ، على ما كان يستحوذ عليه الانسان

جزئياً وفي وقت عابر ، ولهذا فان هذا العنصر الجوهري للشخصية وهو « الكا » المعادل للاسم ، والذي يصاحب الإنسان دون انقطاع ، كقرين ، كان الآلهة يستحذون عليه أيضاً ، ولكنهم يستحذون على عدد منه : فكان لرع أربعة عشر « كا » وكان « البا » ، وهو الجزء السماوى الذى يرتبط بالضوء وبالشمس ، يملك قدرات اعظم لديهم . وفى غضون الحياة الانسانية ، كانت هذه العناصر كانها محتجزة فى الجسم . وكان فى استطاعة الآلهة اطلاق سراحها وكان واحد منها يملك العمل فى استقلال تام . وهذا هو ما توحى لنا به طائفة من النصوص المتأخرة التى تعرض كيف حضرت الآلهة الى معايدها :

« عندما يفد جلالته من السماء فى زمنه المحدد وبعد أن يكون قد تامل هذا الأثر التذكارى الجميل الذى صنع لكاه ، فانه يحوم فى شكل انثى صقر بلون الفيروز ، تحيط به حاشيته عن كل جانب من جوانبه . ويستقر فوق جسمه فى فئاته المقدس . وتتحد « باه » مع تمثاله - « بس » . ويسر قلبه عندما يكون قد نظر شكله . يتهلل وجهه أمام صورتها الالهية » .

كان على أحد الكهنة فى عيد السنة الجديدة ، أن يجذب أولاً « الكا » الى التمثال وهو يعانقه ، أى ، وهو يقوم بالحركة التى تصور كلمة « كا » فى الكتابة المصرية . ثم يعرضه لأشعة الشمس بينما يعمل الكهنة على احضار « البا » الذى كان يتحد على هذا النحو ، « بالكا » ويمضى كل شئ وكان العناصر الالهية كانت تشترك فى موكب سماوى ، لا علم لى به ، يجتذبها اليه جمال الآثار التذكارية التى أعدت لها . ولكن بينما يكون « البا » فى ضوء الشمس أو فى حضرة اله الشمس ، يكون « الكا » فى مكان آخر فى السماء ، بما أنهما يكونان فى حاجة الى الالتقاء معا . وكذلك كان للآلهة - على شاكلة الناس - « بطن » و « قلب » بمعنى « الغريزة »

و « الذكاء » اللذين تصوروهما تشبيهيين بعض الشيء بأعضاء الجسم البشرى .

وكذلك ، افليس مما يبعث على الدهشة ان الناس سعوا الى ان يصبحوا آلهة ليظفروا بالخلود ؟ واكثر من ذلك شئد كان عليهم ان يصيروا على شبه الآلهة الارليه العظام . لأن غيرهم « ليسوا خالدين وليسوا غير قابلين للمساد » . لقد تحطم أوزيريس تحت وقع ضربات ست . وفضلاً عن هذا فما يوجد معبد ، له شئ من الأهمية ، ليس له فى الجبل المجاور قبره المعد للموتى من الآلهة . كان لادفو قبرها وقد اشارت اليه النقوش مرارا عديدة . وهنا أيضا يقدم بلوتارخ شرحا وافيا « بأن جسومها ترقد بيننا ، مدفونة . ويقدم لها التكريم ، بينما ارواحها تستقر فى السماء ، نجوما لوامع » . لقد تقاسمت المصير الذى كان الناس يرغبون الوصول اليه . وبالأجمال ، لم يكن يوجد الا اختلاف فى الدرجة بين النوعين من الكائنات التى كان يتألف منها الناس والآلهة .

ومع هذا ، فقد كانت توجد آلهة تختلف تمام الاختلاف عن الآلهة المحلية والجغرافية أو المألوفة . انها كانت التجسيد الخالص لأفكار عامة أو لعمليات ذهنية . وكان الطراز لها ، الآلهة ماعت " انها تمثل التوازن الذى لا يغرق العالم بفضلله . وبفضلها يؤدى الآلهة والناس وظائفهم ، انها المعيار الذى يجب ان يسير بمقتضاه هؤلاء وأولئك . وفى عهد الامبراطورية الحديثة ، كان قربان ماعت يتالق فى مركز العبادة اليومية التى كانت تقدم لآمون ، عينه ، وعندما كانت ، تقدم لئله هذه الهبة الأساسية ، كان الكاهن يتلو أنشودة تسمح بتحديد صورتها . لقد كانت ابنة رع منذ عصر الأهرام . ولم تكن تترك الآلهة وكل قربان يقدم له يتخذ هوية الآلهة . وكانت اشارة مع الاشارات الواقية التى

كان يملكها هي الالهة نفسها . وعلى شاكلة الهة أفلاطون
 فى محاورته المسماة « فيدرا » عاش آمون على ماعت وتندى
 بها لدرجة أن الالهة جعلتها تصل اليه . وأخيرا فانها ضمان
 وجود امون « انك على قيد الوجود لأن ماعت على قيد الوجود .
 والأمـر متبادل » . وكان هذا ارتباطا بما لا فكاك له بين
 الوجود الالهى وبين اعظم المقتضيات الخلقية عمقا فى
 الطبيعة البشرية وجعل كل واحد منهما يتوقف على الآخر .
 ولمرة واحدة ، يوجد لدينا فى اللغة المصرية عينها ، التعبير
 المزدوج عن حقيقة ميتافيزيقية : فهناك من ناحية ، العرض
 المجرد للفكرة التى قرأناها ومن ناحية أخرى ، الصور التى
 يكون الهدف منها تأدية نفس الفكرة : فماعت تعد بوجه
 عام ، ابنة رع ، ومع هذا فانها أحيانا تقدم أيضا على انها
 أمه ويـجـىء هذا فى نفس مجال النص . ومن الجلى أنه لم
 يكن يوجد فى فكر محرر النص غير الرغبة فى التعبير عن
 تبادل الرابطة التى كانت تجمع بين الاله والقيم الخلقية
 الأساسية للكون وللـفـعل الانسانى .

ولم يمنع هذا الوضع الميتافيزيقى المحكم الالهة من أن
 يكون لها شكل خاص : انها سيدة جالسة ، بوجه عام ، وهى
 تحمل على رأسها ريشة تستخدم لكتابة اسمها . ويقدم الملك
 هذا الرمز لمعبودة أحد المعابد فى مكان التكريم ، فى أقصى
 نهاية قدس الأقداس ، على جانبى المحور : وهذا مما يعبر
 تماما على أنه القربان الأساسى . ولما كان المصريون أوفياء
 لنهجهم الفكرى فقد جعلوها اثنتين : ولهذا توجد الهتان
 ماعت ، فى « قاعة الحق المزدوجة » التى يحاكم فيها أوزيريس
 كل المتوفين . وكان المؤمنون يعرفون أن آمون رع وماعت
 لم يكونا الا شيئا واحدا . وهذا هو ما كان يتلوه فى قبره ،
 نفر حتب ، كاتب آمون ، العظيم : « يا رع يا من ترضى عن
 ماعت ، لجبهتك انضمت ماعت . يارع يا من تطلع فى
 ماعت ، ان ماعت تعانق كمالك . يارع يا من اكتملت فى
 ماعت ، لقد ثبتت ماعت فى قاربه الالهى . يارع الغنى فى

ماعت ، انك تعيش عليها كل يوم • يارع يا من تنجب .
 ماعت ، اليك تقدم ماعت • لا تكف عن وضع ماعت في
 اتجاه قلبي حتى ارفعها صوب «كاك» لانى أعرف انك تعيش
 بها • انك انت الذى خلقت جسمها • انى عادل وبرىء من
 الجور ، وما ارتكبت جريرة • أيها الآلهة ، آسياد «الماعتين» ،
 لا تكفوا عن استقبال كاتب آمون العظيم ، نفر حتب ، فى
 سلام » •

ان علم اللاهوت هذا لا يختلف اساسا ، عن علم لاهوت
 الدولة القديمة الذى كان اقل اسهابا : فقد كتب معاصر
 للملك تيتى فى قبره : لقد انجزت ماعت من اجل سيدها •
 لقد ارضيته بوسيلة ما كان يحبه • قلت الحق (ماعت) لقد
 اقامت الحق (ماعت) عملا ، ولذا فان المرء لا تاخذه الدهشة .
 عندنا ، ما يجد فى الدولة القديمة طائفة من الآلهة ، التى ليست
 الا تصورات عقلية محضة لها طابع أشخاص • والواقع
 - وكما رأينا عند زيارة معبودات الحواضر - أن علم اللاهوت
 قد حاول - منذ أبعد زمن يمكننا الرجوع اليه - أن يتعمق
 الطبيعة الالهية وأن يفهم الروابط التى توجد بين ما هو
 الهى وظواهره العديدة وكذلك بين العالم وعناصر الكون
 والآلهة ، حتى ليجد الانسان ، دون انقطاع ، أن آلهة معنوية
 بصفة خالصة قد اختلطت بالمجموعة الالهية الشعبية •
 ولا شك فى أن مدرسة هليوبولس اللاهوتية قد قامت فى ذلك
 بدور أساسى •

وكان يبدو من الراجح أن الكهنة شاعوا أن يضيفوا على
 الملك - قبلما يصبح مباشرة ابن رع - نسبا منحدرها فى خط
 مستقيم من الخالق ، بوسيلة تخضع له قانونا ليس قطر
 مصر وحسب ، ولكن مجموع الكون • وكان هذا هو الذى
 حدا الى تنسيق التاسوع الالهى • لقد رأينا كيف أن أتوم
 جمع شمل نفسه بقدرته الذاتية فى الفوضى السائلة لأول
 مرة « ليظهر للوجود من تلقاء ذاته » • ولقد يبدأ يخلق ، دون

عون أجنبي ، لا الآلهة المحلية التي لا طاقة لها على التخصص كثيرا ، بل العناصر المكونة للعالم التي لم يذن من الممدين ان يوجد غيرها دونها وهي : الهواء المضيء « شو » والرطوبة « تفتوت » ، اللذان أنجبا « جب » الاله - الارض و « نوت » الآلهة - السماء . وقد نسب لهذين الأخيرين انجاب السلف المباشر للملك اى اشخاص الأسطورة الأوزيرية : اوزيريس وايزيس وست ونفتيس . وعلى هذا النحو ، حدث ان تألف بما يدعو للدهشة ولذن فى دهاء ، تاسوع هليوبولس الانهى العظيم . وقد استدعت الحال ان يضاف اليه تاسوع صغير ، أكثر غموضا وتارجحا جمع فيه عدد معين من المعبودات الهامة كانت قد اجتازت منذ زمن بعيد حدود مسقط رأسها وهي : حورس اولا ولذن ايضا تحوت وانوبيس وكذلك شخصيات معنوية لاهوتية مثل ماعت . وهذه التجمعات القيمة لأنها كانت تسمح بتصنيف هذا العدد الوفير من المعبودات ووضع النظام فى الفوضى التي تشيع فيه ، نجدها فى أماكن عدة . وقد تبنت طيبة ، أيضا ، التاسوع ولكنها زادتته وشكلته بطريقة تختلف اختلافا يسيرا . وقد تألف فى زمن حاتشبسوت ، من « منتو » الذى كان يجيء فى المقدمة ، ثم أتوم ، وشو وتفتوت وجب ونوت وأوزيريس وست ونفتيس وحورس وسبك وحاتور وتاننت ويونت .

ولم يشأ كهنة ممفيس ، وهذا راجح ، أن يظلوا فى المؤخرة ووضعوا فى احكام نظرية للخلق « بكلمة بتاح » التي كان لها دوى بعيد فى التفكير اللاهوتى المصرى ، بأجمعه . وقد بدأت بملاحظة عن كيف تسير عملية المعرفة (سيا) ، وعملية الادراك (حو) ، اللذين ألها كذلك :

« القلب (= الفكر) واللسان (= الأمر المنفذ) لهما السلطة على كل الأعضاء لهذا السبب وهو أن القلب يوجد فى كل جسم واللسان فى كل فم عند جميع الآلهة وجميع الناس وجميع أنواع الحيوان وجميع الزواحف الحية . والقلب يفكر فى كل ما يريد واللسان يأمر بكل ما يريد » .

ونظر العينين وسمع الاذنين وتنفس الأنف لها صلة بالقلب .
انه هو الذى لا ينف عن انتاج كل معرفة . أما عن اللسان .
فانه هو الذى يردد كل ما يفكر القلب فيه . . وعلى هذا
النحو يتجزأ كل عمل وكل حرفة وما تصنعه الأيدي وسير
السيقان وحركة كل الاعضاء الأخرى اتباعا لذاك الأمر الذى
فكر فيه القلب والذى عبر عنه اللسان والذى لا ينقطع عن
خلق كينونة كل شيء .

ان الطرائق التى استخدمها اتوم فى القيام بالخلق .
تمثلت بالتصور العقلى والأمر بكلمة بتاح ، فهو قد تصور كل
شيء فى قلبه وحفظه بضمه « واذن فكل كلمة إلهية جاءت الى
الوجود بالوسيلة التى فكر فيها القلب والتى أمر بها
اللسان . وعلى هذا النحو خلقت « الكاآت » . . . » ان هذه
الآراء التى يرجع تاريخها على الأرجح الى الأسرة الثالثة قد
هيأت للفكر الإنسانى امكان ادراك العالم الذى كان يبدو له
غير متناسق ، واذا كان العالم تصورا إلهيا واذا كان الإنسان
صورة الاله الخالق ، فهذا يعنى أنه يوجد بينهما امكان لنفاذ
أحدهما فى الآخر . لقد كانت هذه لعبة صعبة جميلة .
لا ندهش لوجودها عند معاصري الملك زوسر . ثم اننا
لا نزال نجد صدى لهذه النظريات حتى فى نقوش المعابد .
التي ترجع الى نهاية العهود المتأخرة .

الفصل السادس

● الاشراك والتوحيد

كلما وجدنا نصوصا أكثر صراحة تتيح لنا أن نزيد معرفة بلاهوت أحد الآلهة المحليين ممن اكتسبوا بعض الأهمية، وجدنا أنها تطلق على صفة «الأوحد» ، ولا شك في أن هذه الملاحظة لا يمكن أن تعبر في أكثر من حالة إلا عن رغبة في إضفاء مزيد من الجلال على رب الاقليم على نحو ما نفعل حين نقول عن أحد الأشخاص انه « فريد » لمجرد أن يكون لديه قليل من أصالة ملحوظة . ومع هذا ، فانه عندما يسجل أحد النقوش قائمة مفصلة بأسماء كل الالهات التي تكون ، أساسا ، ايزيس ، فلا شك في أن واضعا قد تصور الوحدة الالهية وعلى الأقل ، وحدة الالهات . ويبقى أن نعرف ما اذا كان ظنه قد ذهب الى أن كل الآلهة كانت « أوزيريس » واذا كان بذلك قد اختصر الآلهة في اثنين فقط ، على أن من المناسب أن نشير الى أن هذه النصوص ترجع الى عهد متأخر جدا . كما أن من الممكن أن نسلم بتطور الفكر المصرى ، في العهد الاغريقى أو الرومانى تحت تأثير المبادئ الاغريقية خلال القرن الرابع .

ولكن نوعا من الأدب يخلص من هذا اللوم : هو أدب الوصايا الخلقية ، التي يرجع أقدمها الى الدولة القديمة . ولقد أبدى دريتون Drioton منذ زمن بعيد رأيا بأن تلك التعاليم لم تذكر على الاطلاق ، اذا صح القول ، أسماء « جماعة الآلهة » ولكنها تحدثت على الدوام عن الاله ، على

وجه عام • فكيف يجب فهم هذا اللفظ ؟ لقد أجاب دريتون بأن المقصود هو « الله » وذلك هو مذهب التوحيد عند الحكماء • ورد كيس Kees : ان المقصود هو الملك ، وحين اثار انتباهه ضجيج جماعة الآلهة المحلية التي كان لها بعض اعضاء الحيوان ، لجأ - لكى يعطى النصوص التي لم يكن في استطاعته الفاؤها حقها - الى عبارة انتقاص الماسبيرو : « ان مصر عرفت عددا من الآلهة ، التي كان يطلق على كل فرد منها « أوحده » يوازي ما كان لديها من مدن عظيمة » • ترى ، هل فهم السبب اذن ؟ •

ويجب ان نلاحظ ، بادئ ذي بدء ، ان النصوص التعليمية عينها ، تستخدم أحيانا أسماء آلهة معينة • ان اقدم صيغة لتعاليم بتاح حتب ، كانت تتضمن عبارة : « ان العدالة لها مكان التبجيل وتفوقها دائم ، انها لم تتبدل منذ زمن اوزيريس » • ولكن التعديل الذي طرأ عليها فى الأسرة الثانية عشرة استبدل اوزيريس بذاك الذى خلقها • ومما يجعل مغزى لهذه الواقعة التي يمكن أن تكون عرضية تماما ، هو ان التعبير « تابع حورس » المعروف جيدا فى اللغة المصرية ، يستبدل فى فقرة أخرى بعبارة « تابع الاله » وهى أعظم ندرة • ان كل شيء يمضى كما لو كان يراد تحاشي ذكر اله معين • ولا يوجد اسم علم واحد لمعبود فى تعاليم أنى • ولكن مرة واحدة ، تذكر الآلهة فى صيغة الجمع ومرتين يكون الموضوع « الهك » • ومما يدعو للعجب انه فى كتاب امنموبى ، الذى يعرض أرفع مستوى خلقى ، يوجد أعظم عدد من الآلهة • ولنترك جانبا « شاي » و « ارموش » اللذين يعنيان المصير وحسب ، وابوفيس وخنوم وليسوا الا وسائل للحديث ، فيتبقى أن رع وتحوت ذكرا بالاشارة الى أساطيرهما ، وتلاحظ هذه الظاهرة فى بردية انسنجر حيث يعرض مذهب للحكمة العميقة •

ومن الجهة الاخرى ، فانه فى السير الروحية التى خلفها
لنا شئير من الاشخاص العظام الدين عاشوا فى عهد
الامبراطوريه ، يدرك المرء ان فقرات عديدة ليست الا
مقتطفات من اعمال تعليميه او نقلا معدلا عنها * والامر
لا يتعلق بموضوع الهة فرادى ، جاءت فى بقيه النقش ولكن
بالاله على وجه عام * يسير « بكى » فى عهد امنوفيس الثالث
على نهج الحكماء ، ويقول انه « وضع الله فى قلبه واحاط
علما بقدرته » * وعندما تظهر الوصايا التى تتعلق بالعدالة
والاحسان ، منذ الدولة القديمة ، فانها تنسب ، فى معظم
الأحوال، لله ، وقد أعلن حرخوف: «أرغب أن يكون اسمى قد
بلغ الكمال فى حضرة الآله العظيم » * ويقول رخميرع وزير
تحتتمس الثالث فى مجال نص مشابه : « لقد كنت
صادق القول أمام الله » * وفى قصص من أمثال قصة رجل
الواحة أو قصة سنوهى ، لا تستخدم الفقرات التى تنسب
الى الحكم الأدبية ، فى معظم الأوقات ، تعابير أخرى غير
لفظ الآله *

امام هذه الوقائع التى لا تقبل الجدل ، ترجم دريتون
الكلمة المصرية بلفظ « الله » * وخلص - وكان على اليقين
محقا - توحيد الحكماء * غير انه لما لم يكن ممكنا انكار
تعدد الآلهة عند المصريين على وجه عام ، أضاف أنه بسبب
روح المحافظة الدينية ظل التصوران قائمين جنبا الى جنب
دون شك ، وحيانا داخل الفرد الواحد ، ولا شك فى أن هذا
الراى الأخير هو الذى لا يمكن التسليم به كما هو * ان أمثلة
كتلك التى ترجع لليونان القديمة أو للهند وحتى للهند
الحديثة ، تبين كيف أن توحيدا حقيقيا يمكن أن يكون له
وجود تحت مذهب اشراك ظاهر ، داخل وجدان دينى بلغ
حدا عظيما من النقاء دون أن يثير مشكلات ما * ولسبب
أقوى ، لا تجد نفوس أقل تقدما خطأ فى أن تفكر فى صيغ
من الاشراك * ان جميع درجات الضمير الدينى لها وجود
فى اى شعب * ترى ماذا كان تفكير سقراط ، حين طلب ،

وهو يموت ، الى قريطن Criton (١) أن يقدم ذبيحته ، ديكتا
ابيض الى اسكليبيوس ، ذلك ان المرء يمكنه ان يتصور مذهب
توحيد يقوم على انعزال عنيف ، واحتراما لتعال يكون فيه
اى قبول لاقول تقليد دينى مهما كان شأنه ضئيلا ، يبدو كما
لو كان وثنية . لقد كانت هذه حال التوحيد العبرى الذى
كان يقوم الانبياء على حمايته . ولكن يمكن أن يتصور المرء
ايضا فكرة تبدأ من طائفة من الالهة الى تصور ميتافيزيقى
للوحدة الالهية . وفى هذه المرة ، تكون عملية تنسيبه
طبيعية يمكن ان تجلب نفوسا معينة الى مذهب توحيد دون
أن تقسرهم على الدخول فى صراع مع كل بيئتهم الاجتماعية
والتنازع مع قواعد الصيغ الدينية التى أحسوا من خلالها
ما هو الهى ، بدءا من بدء . فهنا لا يوجد تحول ولكن بالحرى
صعود صوب مكان لا يبدو فيه أن الالهة المعينة لا تجدف على
« الاله الواحد » ، ولكنها بالحرى لا تحمل الا قدرا ضئيلا من
الالهى الذى يتركز فى موضع آخر . ذلك يتخطى التقليد
لكنه لا يلغيه على الاطلاق . بل انه يترك قائما من أجل أولئك
الذين لا يصلون الى التعالى به .

على هذا النحو كان يبدو مذهب التوحيد المصرى ، ومع
هذا ، فقد جاء وقت فى تاريخ مصر الدينى ، أوشك أن
يسود فيه التوحيد الخالص — الشبيه بالتوحيد الذى كان
لدى الأنبياء العبريين — فقد كان هناك ملك يدعى أولا
أمعنحتب (أى لتكن آمون راضيا) غير اسمه فجأة الى اخناتون
وهو ما قد يعنى (ذاك الذى يسر منه آتون) وطارده اسم
آمون الى حد أنه حطمه حتى فى ذرى المسلات ، وعلى وجه
عام ، ألغى أسماء جميع الالهة وأرشد ، ويمكن أن يقال عن

(١) قريطن Criton :

كان من اثرياء اثينا وتلميذا لسقراط .

وقد ألفرد أفلاطون « محاوراة » أطلق عليها اسمه هى المحاوراة التى جرت بين سقراط
وقريطن الذى جاء ووجهه فى السجن وعرض رد حريته اليه . وامتدح سقراط احترام
القانون حتى لو كان غير عادل (القرن الرابع) .

طبيب خاطر ، بشر المخلصين له بمبدأ عقيدة اتون • ومن الضروري أن نضع موضع الاعتبار في هذه الحركة عوامل كثيرة • فقد ظهر جليا ، من نصوص تل العمارنة عينها ، أنه كان يوجد سبب سياسى : هو وضع حد لقوة كهنة امون وتقييد طموحهم السياسى بقيد جاد • ولكن هذا لم يكن الدافع الوحيد للملك • وما كان ليقف في مواجهة جميع التقاليد الدينية القديمة الراسخة ، عند شعب ، لو لم تكن لديه رسالة شخصية عليه أن يؤديها ، وتجربة فريدة كان يجب الافصاح عنها :

انك تستقر على الدوام فى قلبى ،

لا يوجد أحد آخر يعرفك

سوى ابنك • • لأنك أحطته علما بتدابيرك وقوتك •

وعلى هذا ، من كان اذن ذلك الاله الذى كان عنيدا ، وغايورا الى هذا الحد ؟ اذا جسر المرء على اطلاق هذه الصفة الغريبة من صفات يهوه (١) ، عليه • ان نشيدا رائعا وضعه فيما يرجح كثيرا ، الملك أو وضع بالهام مباشر منه ، يبينه لنا ، يتغنى به ويسبح بحمده الخلق طرا ، الذين يتהלلون عندما يطلع ، القرص الساطع ، فى أفق السماء • أوليس هو الذى خلق العالم • حتى أصغر الديدان • لقد صنع الانسان ، ليس المصريين وحدهم بل الأجانب كذلك ولكي يقدم لهم آية على عنايته الربانية ، فانه اذا كان قد قدم للبعض مباشرة مياه « نون » عن طريق النهر ، فقد فتح للآخرين نيلا فى السماء يسكب عليهم ماء • على هيئة المطر ، ثم انه وهو الخالق متعدد الشكل ، يظل الواحد الفرد :

انك لا تكف عن جذب ملايين الأشكال من ذاتك فى حين انك باق فى وحدانيتك •

(١) يهوه الاسم الاصلى لاله بنى اسرائيل فى صورة الاله القبلى الذى يشار اليه باسم « ادونائ » Adonae بعد ارتقاؤه الى اله عالمى - (المراجع) •

ولم يكن لاتون مظهر آخر غير مظهر قرص الشمس .
 لا شيء من التماثيل ولا شيء من الاشارات المعقدة . لا شيء
 غير أشعته الطوال التي تنتهى بأيد نحيله مستدقه ، يقدم
 بها الحياة الخالقة للزوجين المدينين ، وعن طريقهما الى العالم
 اجمع . ولم تكن لمعبده ، على الاطلاق ، مقادس مظلمه
 لا يسمح بولوجها . وكان قدس الاقداس مكشوفاً لضوء
 الشمس وكانت تعرض فيه القرايين على المذابح . ولم تكن
 توجد مواكب ، بتاتا ، بما أن الصور كانت قد ألغيت .
 وانما أحيانا كان الملك بمفرده ، وهو النسخة الصادقة لأبيه
 اتون ، يقدم نفسه لشعبه الذى كان يستطيع على هذا النحو
 أن يتمثل فيه ، بطريقة ما ، الاله الذى يتجلى فقط فى قرص
 النهار ، الالهى .

لقد نبعت كل اصالة حركة العمارنة من موقف الملك
 على وجه التحديد ، أما من وجهة علم اللاهوت ، فان مضمون
 نشيد اتون العظيم - اذا استثنينا التلميحات النادرة للمسيرة
 الذاتية - يماثل مضمون نشيد آمون الموجود بمتحف القاهرة
 والذى يسبقه بخمسين عاما ونيف . واذا استثنينا الفقرات
 العديدة التي تتعلق بالمدح الرمزي لزينات آمون التي
 أصبحت غامضة فى أيامنا وتتطلب شرحا مستفيضا ، فاننا
 نجد فيه نفس النغمة ونفس الجمال الأدبي ونفس الاحساس
 المرهف تجاه ظواهر الحياة العجيبة . وفى الحق ، أن مفكرى
 طيبة ، الدينيين كانوا منذ أزمنة طوال ، قد تصوروا الوحدة
 الالهية وعبروا عنها تعبيرا يبلغ حد الكمال . غير أنهم كانوا
 يؤدون ذلك بوسيلة تصويرية وقد استخدموا لغة مشتركة
 فيما يبدو . على أن المرء عندما يقوم بتحليل مناهج تعبيرهم ،
 فلا يمكن أن يتطرق شك الى ذهنه حول فكرهم . ولناخذ مثالا
 لذلك . كان مهندسا العمارة سوتى وحر قد نقشا ، قبل
 ثورة العمارنة بزمان يسير ، على نصب نشيدا لآمون وها هو
 ذا شطر منه :

التحية لك يا قرص (أتون) النهار ،
 الذى خلق الناس وجعلهم يعيشون ،
 الصقر القوى ذو الريش المتعدد الألوان •
 الذى جاء للوجود ليرفع نفسه !
 الذى جاء للوجود من تلقاء ذاته دون أن ينجبه سواه
 حورس الأكبر الذى يقيم فى نوت - السماوية ،
 عند طلوعه يبتهج الانسان
 وعند غيابه يحدث للمرء مثل هذا •
 ذاك الذى صنع ما تنتجه التربة ،
 خنوم وآمون الناس !
 ذاك الذى يدير القطر المزدوج ،
 من أعظم كائن الى أصغره •
 أم الآلهة والناس ، صانعة الخير •
 الفنان الساهر ، الذى لا يعرف الكلال ،
 عندما يخلق اعماله التى لا عد لها •
 الراعى القوى الذى يقود قطيعه •
 حظيرته التى تجعله يعيش !
 العداء السريع الذى يتقدم فى اندفاع !

لقد أثار الشاعر ببراعة ملحوظة - لكى يزيدنا معرفة
 بآمون الذى أصبح هنا قرص الشمس وهى صورته المرئية
 - ذكرى اله الشمس القديم حورس والصقر الذى يرمز
 اليه • ان فكرة الخلق توحى فى الحال بخنوم وبآمون •
 وليست هذه شخصيات الهية ، بل هى الأسماء التى تعبر لمن

يعرف تماما التقاليد الدينية عن القدرة التي تخصص فيها
اله معين * ولا يمكن ان يتصور المرء دون تعسف ان يجعل
من الحكمة قرينة « ليهوه » أو من القوى الفيلونية (١) آلهة
لحاشيته الالهية * وكذلك يلجأ شاعرنا ، الذي لا شك في انه
على مذهب التوحيد ، هنا - الى التعبير عادة في صيغ مشرقة ،
غير انه سرعان ما يصحح الها باخر ، فهو يضع آمون الى
جانب خنوم ، وهو ينسب الابدية الزمنية الى الكائن المتعدد
الاسماء والواحد : فهو لم يولد ! ثم يعرضه في طائفة من
الصور التي يستحيل أن تتراكم ، وان تقاربت عن قصد ،
فهو : فنان وراع وحظيرة ، انه يوحى بصفات اله خالق ،
وبعناية ربانية وبملاذ * وتحمل الثقوب التي يبرزها
النسيج الشعري ، دعوة للفكر ليطمئئ الى اله غير المعروف *

وفي الحق ، لقد افاد كهنة آمون من أعمال المدارس
الدينية العظيمة في الدولة القديمة ، هليوبولس وممفيس
رهروبولس وعرفوا كيف يضعون لالههم ، بتعميق تجربتهم
الدينية ، علم لاهوت صيغ بعد ذلك كل التفكير الديني
المصري بأجمعه * ولهذا فانه سابق جدا لمذهب التلفيق (٢)
المتأخر ويرجع تاريخ خطوطه الأولى فيما يرجع الى الدولة
الوسطى *

ان آمون ، بداية بدء ، أوجد :

انك الأوجد الذي صنع كل ما يوجد

الواحد ، وهو يظل أوجد ، الذي صنع الكائنات *

(١) كان فيلون Philon فيلسوفا افريقيا من أصل يهودي ، ولد في الاسكندرية
حسبوا عام ٢٠ ق م * وكان تصنيفه مزيجا من افلاطون والتورا وله اثر على الادب
المسيحي - (المترجم) *

(٢) مذهب التلفيق Syncretisme - الجمع في تحكم بين آراء أو مذاهب مختلفة
أو متعارضة لتكون مذهباً واحداً - مصطلحات مجمع اللغة العربية - (المترجم) *

وتوحى هذه الصيغة اللفظية التى استخدمها المصرى
هنا بتلك الترجمة التى نجد معادلا دقيقا لها فى اغريقية
« يمبليك » التى لا شك فى أن النماذج المصرية الهمته بها .

év uovotnti Tns évatoi

Evotntos Uéwv.

ولم يقنع علماء اللاهوت برفع مرتبة الهمم الاوحد فوق
جمهرة الالهة الاخرى ، كما تحمل كلمة ماسبرو على الاعتقاد
بذلك . لقد بذلوا محاولة لارجاع الالهة للوحدة . وقد
أتاحوا لامون منذ الدولة الوسطى - بعد مزجه برع -
اكتساب وحدة اله هليوبولس الشمسى ، ثم عمدوا الى وضع
خطة مجملة لمذهب تلفيق يجمعه مع الالهة الاخرى : خبرى
وأتوم وحراختى و « مين » وفى عهد الامبراطورية الحديثة ،
اتخذ آمون بالاضافة الى هذا ، طبيعة الالهة الثمانية وطبيعة
تاتنن . ولكى يبين تماما أن المسألة مسألة شكل خارجى ،
وليست الحقيقة فى قصاراها ، يكون آمون هو بتاح عينه
أحيانا ، وأحيانا أخرى هو الشكل الكامل الذى قام يصنعه
بتاح ، وقد جعل منه نشيد ليدن - الذى يعكس أسمى مراتب
الفكر - خالق التاسوع الذى يكون جسمه ويظل هو ، دون
سواه ، الأزلى : « ان التاسوع يبقى مجتمعا فى أعضائك ،
وان صورتك هى كل اله اتحد فى جسمك : لقد كنت أول
من تفجر ، لقد استهللت البداية » . انه هو الذى خلق كل
الالهة « التى ظهرت للوجود من فمه » . واذا تبقى الهان لم
يعد بصفة خالصة وببساطة من خلق آمون وهما رع وبتاح
فليس مرجع هذا أنهما الها الامبراطورية ، ولكن لأن
شخصيتهما كانت فريدة . وفى الواقع تكون هذه الالهة
وحدة : « ثلاثة هى كل الالهة : آمون ورع وبتاح ، ولا توجد
أشياء لها . آمون هذا اسمه باعتبار أنه خفى ، ورع هو
وجهه ، وجسمه هو بتاح » . ويرى المرء أنه فى مستوى معين
للضمير الدينى ، لم يكونوا يقنعون بوضع الواحد الى جوار

الآخر . بل لقد بذلوا محاولة لشرح تنوع المظاهر ووحدة الكائن : « الاله الاوحد الذى جعل من ذاته ملايين » .

ان آمون اله أبدى . وكانت ألف وسيلة تصويرية تقدمه للمفكر . « لقد قام بصنع نفسه » فى البداية ، ثم صار بعد ما تمثل بالشمس الحركة الكونية التى تتكرر الى الأبد ، كما سبق أن رأينا . وها هى احدى الفقرات التى تمثل اعظم تطور وارتقاء :

ذاك الذى بدأت صيرورته أول مرة ،
آمون الذى انجب نفسه فى البدء دون أن يعرف سره .
ثم يوجد اله قبله ،
ولم يكن يوجد اله آخر معه ليحدثه عن شكله ،
ولم تكن له أم لتضع اسمه ،
ولم يكن له أب نسله وقال « هذا هو ذا أنا ! »
ذاك الذى قام بنفسه بصنع بيضته .
القوى الغامض الميلاد والذى خلق جماله ،
الاله الالهى الذى جاء للوجود من تلقاء ذاته .

كل الالهة جاءت للوجود، عندما أعطى لنفسه البداية .
ان آمون خالق . وفى هذا ، يسترد التقاليد المحلية التى قمنا بتحليلها فى سرعة ونحن نغشى المدن التى نشأت فيها .
وقد استحوذ على غرار نايت وبتاح وعلى غرار أتون فى زمن لاحق ، على صفة جنسية مزدوجة ، فهو أبو الآباء وأم الأمهات . وفى التوراة بالألفاظ كان يقال انه ذرف الدمع « ريمى » وبهذا خلق الناس « رومى » . ان كل وسائل الاله الخالق التى كانت معروفة ، نسبت اليه . ولقد استعير أهمها وهو الخلق بالكلمة Verbe من بتاح : « لقد تكلم

يسمى وجاءت انتانات لوجود : الناس والآلهة والحيوانات
النبيرة والصعيد ، كلها على اية صورته ذات * وحل م يطير
وما يحض « وقد استولى عليه مثل جناح » « يهوه » احساس
بالرضى امام صنته : « انك راض لانك خلقت حل البشرى » *
وهو حاضر فى كل مكان ، فى مصر وفى الاقطار الاجنبية
« حتى فى اطباق وحتى فى احشاء الارض وحتى فى اعماق
البحر » * ان له عيتين وله اذنين فى كل مكان * انه يستمع
للمسلوات ويصغى للشكايات وهو الحامى بالغ الكمال لذاك
الذى وضعه فى قلبه * وهو لا يكف عن مد ذراعيه لذاك
الذى يحبه * ان قلبه رفيق عندما يضرع المرء اليه * انه
يخلص الرجل من العنيف ويفصل بين القوى والتعس » *
انه ملاذ المسجونين والمرضى * انه يشفى العميان ، أى اولئك
الذين أصابتهم أمراض العيون الشائعة فى مصر ، وكذلك
أيضا أولئك الذين انتابهم العمى الروحى * انه لا يجىء
لانقاذ ذاك الذى يدعو فى الظروف الخطيرة ، وحسب ،
ولكنه يجىء أيضا من تلقاء ذاته لغزو القلوب :

الاله الرفيق ، ذو الأفكار الخيرة

اليه ينتمى الرجل المرن ، الطيع لارادته

انه أعظم نفعاً من آلاف ، لذاك الذى وضعه فى قلبه * *

الحامى الكامل ، فى الحق *

جميل الرعاية الذى يغتنم فرصة ، دون أن يرد *

انه ، كما ترى ، العناية الربانية بخلقه التى تسهر على
البشرية وهى فى سبات ، ساعية للخير لأجل قطيعها *

ومع ذلك فان هذا الاله ، لا يمكن أساساً معرفته * انه
ليس خفياً وحسب ، كما يوحى اسمه بذلك ، ولكنه يقع
بמידا عن وسائل البحث البشرى * « لقد استخفى عن ذاك
الذى خرج منه » وهو المصباح الساطع ذو الأشعة العظيمة

الذى لا يرى الا من خلال شعيرته المحبوبة « • ويتبين نشيد
ليدن هنا ، ايضا ، عمقا روحيا يدعو للاعجاب :

انه خفى عن الآلهة : لا يعرف المرء مظهره •

انه أبعد من السماء ، انه أعمق من الجحيم !

ان اى اله لا يعرف شكله الحقيقي •

ان صورته لا تبسط فى مطوى الكتب

ليس لدى المرء عنه ، أية شهادة تبلغ الكمال •

انه بالغ الخفاء حتى ان مجده لا يتكشف •

انه أكبر من أن يفحص ، وأعظم من أن يعرف

ان المرء ليسقط فى الحال ميتا من الرعب •

اذا تلمظ باسمه الخفى الذى لا يستطيع أحد معرفته •

لا يستطيع المرء أن يمنع نفسه ، تجاه هذه القصيدة

المعاصرة ، على وجه التقريب ، لموسى النبى من استشارة

ذكرى الكلمة التى قالها له يهو : « لا يمكن أن يرانى

الانسان ويعيش » • ولقد ذكر أفلاطون ، وأعقبه فيلون

الصعوبة التى يعانىها الانسان فى التقرب عقليا من الله •

وكان المصريون قد رأوا الاتجاه الذى كان يجب السير فيه •

وكما تستدير الأشجار والنبات صوب الضوء ، وكما ترقص

الخليقة بأجمعها ابتهاجا أمام الشمس ، يجب أن يستدير

الانسان صوب الاله ، المصدر الأوحد للحياة والبهجة • انه

بالحب ، يرفع الاله القلوب اليه :

ان الناس سعداء ، عندما تطلع ،

يجل الوهن بالقطيع عندما تلمع

ان حباك يوجد فى سماء الجنوب

ورفقتك فى سماء الشمال •

ان جمالك يغلب القلوب ،
 وحبك يجعل الأذرع تهوى ،
 وشكلك بالغ الكمال يسلب الأيدي القوة ،
 ان القلوب تنسى كل شيء لأنها تطلعت اليك •

لقد كان عن قصد اننا أردنا اختتام هذا الكتاب عن الهة مصر بقصائد دينية تشهد بتجربة روحية عالية • ان هذه النصوص بأجمعها ، يتراوح تاريخها بين عام ١٥٠٠ وعام ١٠٠٠ ق م • ويوجد غيرها كثير من القصائد المعاصرة او اللاحقة • انها تقيم الدليل على العمل الجليل العجيب الذى أنجزه الفكر الدينى المصرى ، الذى لم ينقطع ، حتى انطلقا نوره ، عن اثاره المشاكل اللاهوتية والروحية والخلقية • ان ارتقاء القمم هو الذى يتيح للمرء ان يصدر حكمه على أحد الشعوب ، وقد قمنا - خلال جولتنا الطويلة عبر القطر - بزيارة أكبر عدد من المعابد وحاولنا ان نفهم على قدر الاستطاعة طبيعة آلهتها • وقد رأينا أنواع الحيوان المقدس والأشكال العجيبة التى أضفيت على المعبودات التى كانت نصف حيوانية ونصف بشرية • وحاولنا ان نحيط علما ببعض الاشارات التى كانت توضع عليها والشعارات التى كانت تصحبها • وفى كل هذا الخليط التقليدى الذى ترجع عناصر معينة منه ، بكل تأكيد ، الى عهد ما قبل التاريخ ، عكف علماء اللاهوت دون انقطاع على التدخل لوضع الترتيب والتنظيم • هذا هو اذن دين المصريين الذى ينير لنا طريقة دراسة هذه الآلهة المحلية ، التى تتبنى عددا مختلف القدر من الآراء التى كان يضعها فى عناية كهنة المراكز الهامة والتى كان يذيعها « بيت الحياة » • ومع هذا ، فانهم لم يكفوا - مهما بلغ المستوى الروحى الذى ارتفعنا اليه الا خلال مرحلة اخناتون الوجيهة عن المحافظة على ذخيرة

التقاليد التي استمرت تتكاثف في ازدياد مطرد اذ كان يضاف اليها دون انقطاع . وكان الأمر يتطلب تفسير التعابير باللغة القدم وقد انضمت شروح الى شروح ، حتى انه في العصر المتأخر تجمعت كومة من التوضيحات الرمزية والتفسيرات التي نجد عنها في ان نشق طريقنا وسطها . وعندما وصلت المسيحية الى مصر ، لم تكن قد بقيت للدين المصري قوة نيلتني بالتيار الداخلي الذي كان كهنة آمون قد روهه . لقد تصلب واستغلق (Elle s'était sclérosée et fermée) استخدمنا تعبيرا عزيزا لدى برجسون ، ولم يبق أمامه الا أن يتواري ولكن دون أن يموت ، لأنه ورث الاغريق والعبريين أعز ما كان لديه ، ليعيش مرة أخرى في المثل الأعلى الذي يسعى عالمنا ، على الدوام في شكل أو آخر - الى الارتقاء اليه .

حاشية

منذ عشرات الأعوام ، أقوم ببحث عن علاقة اللغة المصرية القديمة باللغة العربية ، اذ كنت أؤمن بأننا نصل الى استجلاء التاريخ بالآثار وبفقه اللغة جميعاً . ولقد أهاب الباحثون في علم الانسان بفقهاء اللغة لتأييد آرائهم عن أصل قدماء المصريين .

وإراني مضطرا الى التعليق على ما جاء في هذا الكتاب الشعبي الذي وضعه عالم الآثار النابه فرانسوا دوما فيما يتصل بأسماء آلهة قدماء المصريين والى أن ينشر ما وصلت اليه في بحثي نشر علميا ، أحفظ بما أذكره الآن .

في عام ١٩٥١ ألقىيت حديثا على «جمعية الآثار المصرية» عالجت فيه موضوع علاقة اللغة المصرية القديمة باللغة العربية بالمقاييس التي وضعها علماء اللغات للموازنة بين لغة وأخرى وقد نشرت مقدمته صحيفة الأهرام في العدد الصادر بتاريخ ٢٦/٧/١٩٥٤ .

وقد أعلنت في ذلك الحديث ما يأتي :

« والمستقبل كفيل بأن يظهر لنا أن أساس مفردات اللغة المصرية القديمة سامى محض وعلى وجه التخصيص عربى . محض » .

ولقد تأيد هذا القول تمام التأييد من مصادر خارجية .

(١) فى مقال نشره و . فستيل W. Vycichl فى مجلة كوش Kush ، المجلد السابع عام ١٩٥٩ جاءت هذه العبارة :

« ومن وجهات النظر الجديدة هذه لا تنع اللغة المصرية القديمة كما كانت حتى الآن (فى اعتباره) فى حاشية نطاق اللغات السامية ولكن فى صميمها » . ودعاه الى هذا ما أقره ريسلر Rössler من ان لغة البربر سامية تماما » .

(٢) تحول سير الن جاردنر عن رأيه الذى ورد فى الطبعة الثالثة من أجروميته الى الرأى الذى جاء فى كتابه « مصر الفراعنة » ، اكسفورد عام ١٩٦١ وأقتبس منه ما يأتى : « ومن الوجهة الاخرى فان العلاقة باللغات السامية (العربية والعبرية) لا يمكن كذلك ان يتطرق اليها الخطأ اذا لم تكن اعظم » .

والآن ، أقرر أن علاقة اللغة المصرية القديمة بالحامية لا سند له . وأسوق شاهدا :

فى الرسالة التى وضعها ف . كاليس F. Calice بعنوان Grundlegen der agyptisch-semitischen Wortvergleichung. 1936

ذكر فى القائمة الرابعة الألفاظ المصرية التى يوجد ما يقابلها فى اللهجات الحامية فقط ، وقد تبين لى أنها ترجع الى اللغة العربية

ومثال ذلك :

اللفظ المصرى

mm يمسك - يقبض على

يقابله فى اللغة العربية لفظ لم - واللم الجمع الكثير الشديد واللم مصدر الشئ يلمه لما جمعه - اللمة الشئ المجتمع »

واللفظ 3 sh - منجل

يقابله فى العربية خصين وهى الفأس ذات الحد الواحد
وجمعها آخصن *

واللفظ wsm - يعجن

يقابله فى العربية شوب وهو المزج والخلط الشوب
وفيه قلب وابدال

واللفظ نبرى - الحنطة والهة الحنطة

يقابله فى العربية نبر - أنبار الطعام واحدها نبر مثل
سدر ، قلت ومعنى الأنبار جماعة الطعام من البر والتمر
والشعير - (مختار الصحاح) *

وسأقتصر الآن على أسماء الآلهة وهو موضوع الكتاب *

جاء فى الفصل الثانى :

« ان أصل أسماء الآلهة فيما عدا اسم «خنوم» لا يطابق
أى حيوان معروف فى اللغة المصرية أو فى أية لغة أخرى من
مجموعتها الحامية - السامية » *

والواقع أن أسماء الحيوان بما فيها أسماء الطيور
والأسماك والحشرات ترجع الى اللغة العربية ومثال ذلك :

الاله فى اللغة المصرية المقابل فى اللغة العربية

skr صقر

spuw سيد - طائر لين الريش (المترجم) *

hkt هجاة (هجاة الضفدع قاله ابن

سيده والمعروف الهاجة) (الدميضى) *

hr طير البحر أو ساق حر

inpw أبو نوفل من كنى الشعب أبو نوفل

الخ

وجاء ان حابى (حعبى) اله الفيضان ليس مصرى على
اليقين .

يوجد فى اللغة المصرية لفظ آخر يرادفه وهو لفظ
Beh وهو الفيض وتمثيل وتاليه الوفرة ويقابل فى اللغة
العربية البحر وهو « الماء الكثير ملحا كان أو عذبا سسمى
بدلك لعمقه واتساعه وكل نهر عظيم فهو بحر ويقال فلان
بحر أى واسع المعروف » .

hni أما لفظ فقد قوبل بلفظ حفل اذ يقال حفل
الوادى اذا كثر ماؤه .

و « سن » من المنة أى القوة بدليل وضعته المعروفة
ونبات الخس الذى يرسم الى جواره ، جالب القوة واسم
آمون مشتق منه والقوة على الدوام شىء خفى .

وأجد تأييدا لهذا ان اسم مركب آمون ، المقدسة هو
وسر حات أى قوى المقدمة وقد استخدم كلُّب لآمون نفسه .

ولفظ وسر ومعناه قوى يقابل لفظ أزر فى اللغة
العربية .

لقد تمكنت من المقابلة بين أسماء الأصنام التى عبدها
العرب فى الجاهلية وآلهة مصر القديمة وقد ذكرت بعضها
فيما تقدم .

والآصنام التى وصلت إلينا أسماؤها يبلغ عددها حوالى
١٢٠ صنما من ٣٦٠ صنما كانت تضمها الكعبة * .

ويرجع السبق فى هذا للمغفور له أحمد كمال باشا ، اذ
نشر فى مجلة *Recueil de Travaux* عام ١٩٠٢ مقابله بين
٣٢ صنما من بينها اللات والعزى ومناة والهة قدماء
المصريين * .

ويؤيد هذا شاهد من مصر القديمة :

أطلق التعبير «تانتير» ومعناه قطر الاله او الأرض الالهية
ويرادفه «تاوى نترو» الآلهة أو أرض الآلهة ، المزدوجة ، على
المنطقة الصحراوية التى تقع بين النيل والبحر الأحمر ،
وصحراء بلاد العرب (او صحراء سكان الكهوف) ، المنطقة
التي كان قدماء المصريين يعتقدون أنها الموطن الأصلي لأهم
معبوداتهم * ويوجد رأى يقول ان هذا التعبير لم يكن يطلق
على الصحراء التى تقع بين النيل والبحر الأحمر أو جزء
منها وحسب ، أو قطر بنط أو بلاد العرب ولكن على كل
النطاق القديم الذى كان ينتمى للاله حورس أى كل مناطق
العالم الشرقية التى كان لقدماء المصريين علم بها من أقصى
الجنوب الشرقى (بنط) حتى أقصى الشمال الشرقى (قطر
الحثيين) وفى توسع كان يشمل كريت (Kuentz B.I.F.A.
(Oxv p. 178) ويشرح فارينا (Farina, Aegyptus Vi p. 52-53)
هذا الاسم بأنه تعبير يدل على الشرق عامة ، مجموع المناطق
التي كان يبدو للمصريين أن الشمس الاله الأول يجيء منها
(Gauthier noms. Geog. p. VI).

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/١١٩٨٩

ISBN — 977 — 01 — 5483 — 0